

دراسات في الفرق

الشيعة، النصيرية، البـاطنية، الصوفيـة، الخوارج

الدكتور
صابر طعيمة

توزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد
وقف لله تعالى

مكتبة المعارف
الرياض

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

لما كانت مصادر دراسة الفرق والمذاهب الاسلامية، كثيراً ما تتسم بالتوسع والاستطراد، فضلا عن أن كبار مؤلفيها، من أمثال: الشهرستاني في (الملل والنحل) وابن حزم في (الفصل في الملل والأهواء والنحل) والبغدادي في (الفرق بين الفرق) وأبي الحسن الأشعري في (مقالات الاسلاميين) وغيرهم من القدامى والمحدثين، يعرضون أهم قضايا الفرق الاسلامية من خلال تصور تاريخي ; ووقائع انتهوا اليها، يتخذون منها مواقف حسب تقديرهم لها على ضوء ما أحيط بها، وما أحيط بهم من أحوال، بحيث كان عرضهم لبعض هذه القضايا مبهما وغامضا أشبه ما يكون (بالشفرة) التي تحتاج الى ابانة وتفسير أمام غير المتخصصين، فانا قد عنينا في هذه الدراسة الموجزة بأن تكون أمام المهتمين بدراسة هذا الجانب الفكري، الديني السياسي، في تاريخ أمة الاسلام، أملا باستحضار تجربة الأمس الاسلامي، أن نكون أمام تصور جاد ومخلص، للغد الاسلامي إن شاء الله.

وهذه الدراسة الموجزة التي لم نشأ التوسع فيها، بحيث تشمل معظم الفرق الاسلامية، مقتصرين فيها على تناول أهم الفرق الاسلامية التي أثرت في تقديرنا على مسار التاريخ الاسلامي الطويل نأمل من الله أن تحقق هدفها المرجو أمام جيل الدعاة الى الله ودارسي الفرق والمذاهب والاتجاهات الفكرية في تاريخ الاسلام.

هذا وقد تناولنا أربع فرق تاريخية. تتقاسم وتتصارع الجوانب الفكرية والعقيدية في الاسلام على امتداد الساحة الاسلامية، في مواجهة أهل السنة والجماعه، الذين لاذوا الى كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ.

وأول هذه الفرق الأربع: الشيعة، الذين تناولناهم بالتعريف وعرضنا لتاريخهم وفكرهم وعقائدهم، وموقف مجموعاتهم من خلال اتجاهات مذهبية، تندرج تحت المذهب الشيعي، وهم: جماعات الغلاة، والامامية، والزيدية، مع تناول موسع شيئا ما عن (فرقة النصيرية) وبيان حقيقة معتقدها، والحكم عليها، وذلك لأهمية دورها التاريخي في الاتجاه الشيعي المغالي والمحرف.

وكانت القضية الثانية: هي التعريف بالنقيض العقيدي والفكري للمذهب الشيعي، وأعني بها، قضية (الخوارج)، وتتجلى أهمية دراسة هذه الفرقة بعد أن أصبحت بالتصور الفكري الذي نظر به اليها البعض، فوق ما تقوم عليه من مغالاة فيما ذهبت اليه وتأولت فيه، مدخلا تاريخيا: فكريا ودينيا. لظاهرة تكفير المسلم التي شهدتها ديار المسلمين في السنين الأخيرة.

هذا وقد توجه اهتمامنا بالتركيز والتمحيص حول فرقة خارجة، تتميز بمواصفات ومعتقدات عن جملة باقي الفرق الخارجة، وأعنى بها (فرقة الحرورية) من بين الخوارج.

وكانت الفرقة الثالثة هي (الباطنية) وذلك لما لهذه الظاهرة السلوكية في التاريخ من علاقات فكرية ومنهاجية في التناول والهدف والمعتقدات والمذاهب التي قهرها الاسلام بالتوحيد فاختفت بظلمها وظلامها، سواء منها ما كان فارسيا أو مجوسيا أو هنديا، ثم عاد من خلال الباطنية يشب على الاسلام والمسلمين من جديد.

أما القضية الرابعة، فكانت: (الصوفية)، التي شاع نهجها وكثرت مدارسها وطرقها في ديار المسلمين، بعد أن غاب عن المسلمين العمل الاسلامي الصحيح.

ولقد تناولنا في هذه الفرقة: أصل التسمية الصوفية. ورجحنا الرأي الذي رأينا، مع تناول نقدي لأصل التسمية، ومنشأ المذهب وحقيقته مع عرض لبعض البدع والرسوم الصوفية، وذكر لبعض الشطحات والأحوال الخاصة بهم، وذلك من خلال ما سمى بالأدب الصوفي.

والله تعالى أسأل أن ينفع طلاب العلم بهذه الدراسة، وأن يجعل جهدنا فيها، في الميزان يوم القيامة، آملين منه سبحانه أن نكون قد تجنبنا الزلل بعون منه، وخالفنا الضالين، ووقفنا مع الذين أنعم عليهم برضوانه حول كتابه الحكيم وسنة نبيه الكريم:

وصلى الله على نبينا محمد .وسلم

وآخر دعوانا: أن الحمد لله رب العالمين

الرياض

في غرة ربيع الثاني ١٤٠٠ هـ.

دكتور

صابر عبد الرحمن طعيمة

أولا - الشيعة

- منشأ التسمية.
- علي بن أبي طالب والخلافة.
- الشكل السياسي للفكرة الشيعية.
- الشيعة الغلاة.
- القرآن الكريم وغلاة الشيعة.
- نماذج من عدوان الغلاة على كتاب الله.
- الشيعة الامامية.
- التعريف بالشيعة الامامية.
- عقائدهم والحكم عليهم.
- الزيدية.
- علاقة الزيدية بالمعتزلة.
- افتقاد الوحدة الفكرية عند الزيدية.
- تأثر الزيدية بالامامية.

الشيعة

منشأ التسمية:

يرى بعض المؤرخين للتاريخ الاسلامي أن البذرة الأولى لفكرة التشيع أن جماعة قليلة العدد من المسلمين، عقب وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وبنية صادقة وسلامة قصد رأوا في موضوع خلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته أن أهل بيته هم أولى الناس بذلك الأمر، فاتفقوا وعلى غير دعوة مسبقة أو خطة مرسومة فيما بينهم على أن يشيعوا هذا الأمر الذي لم يكن يتعدى في تفكير هذه الجماعة مجرد الرأي والنظر، كان ذلك بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم ومبايعة جمهور المسلمين لأبي بكر رضي الله عنه، وبعد أن بايع على رضى الله عنه هو الآخر.

وأول ما ظهرت الدعوة (للتشيع) ظهرت بسيطة محدودة في عدد قليل من الناس، ولم تكن تمثل رأيا عاما اسلاميا، أو تيارا سياسيا منظما: وحاصلها عند هؤلاء: أنه لا نص على خلافة ولم يحدد رسول الله صلى الله عليه وسلم من يخلفه، وفي ظل الرأي الذي بدأ عقب وفاة الرسول يقول: أن الأنصار أولى بالخلافة من مواجهة رأي ودعوى المهاجرين أنهم أحق بها، ذهب جماعة أطلقوا على أنفسهم: (أصحاب علي) الى القول: بأن الخلافة ميراث أدبي مجتهدين في ذلك بقولهم: لو كان النبي يورث في ماله

لكانت قرابته هي أولى بارثه، وكذلك الإرث الأدبي، وانطلقوا في هذا الرأي لما لم يجدوا أمامهم من طريق صحيح ما يفيد بأن الرسول صلى الله عليه وسلم عين عليا رضي الله عنه أو أحد أقاربه.

كانت هذه هي البداية الأولى والمبكرة التي ظهرت في البيئة العربية الاسلامية قبل أن تتدفق الافكار والمعتقدات الغير الاسلامية لتمتزج بهذه الفكرة وتطورها الى ما عرف بعد ذلك من الفرق والمذاهب والتيارات التي انطلقت من الموقف الشيعي الذي ينسبه أصحابه الى آل بيت علي عليه السلام[1].

الأيديولوجية الشيعية:

أخذت الفرقة الشيعية بعد عصر الخلافة الراشدة، تطور الفكرة التي قامت عليها بفعل عوامل كثيرة، وأخذت تتسع قواعدها وتستحضر مقومات مذهبية وان كانت من غير بيئتها وعقيدتها حتى انتهى بهم الحال الى أن عرفوا في المجال التاريخي للفرق والملل والأهواء والنحل، بذلك الوصف الذي عرفهم به الشهرستاني حين يقول في التعريف بهم: (الشيعة)[2]: هم الذين شايعوا عليا، وقالوا بامامته وخلافته، نصا ووصاية، اما جليا، واما خفيا، واعتقدوا أن الامامة لا تخرج من أولاده، وان خرجت فبظلم يكون من غيره أو (تقية) من عنده، وقالوا، ليست الامامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة، وينتصب الامام بتنصيبهم، بل هي قضية أصولية، هي ركن الدين، لا يجوز للرسول عليه السلام اغفاله أو اهماله وتفويضه الى العامة، ويجمعهم القول بوجوب التعيين، والتنصيب وثبوت عصمة الأئمة وجوبا عن الكبائر والصغائر والقول بالتولي والتبري قولا وفعلا وعقدا الا في حال: (التقية).. وهم خمس فرق: كيسانية، زيدية، امامية، غلاة، واسماعيلية، ويميل بعضهم في الأصول الى الاعتزال وبعضهم الى السنة وبعضهم الى التشبيه.

هذا هو المنطلق العقيدي أو الأيديولوجي الذي بدأت منه وتفرعت وتعددت

---

(١) الشيعة والسيادة الاسرائيلية - آدم متز - ترجمة حسن ابراهيم - النهضة المصرية - القاهرة سنة ١٩٦٠.

(٢) الشهرستاني في كتابه «الملل والنحل» ج ٢ مطبعة صبيح بالقاهرة صفحة ٦٨.

وتنوعت الفرق والمذاهب الشيعية بعد أن تعرضت للوافد والغزو الفكري الأجنبي الذي ظل يفرز افرازات فكرية شعوبية كادت للاسلام وأهله فترة كبيرة وسنحاول في القضايا التي سنعرض لها الالمام في ايجاز بالاطار العام لفكر ومنطلقات وعقائد هذه الفرقة التي تنسب نفسها للاسلام.

علي بن أبي طالب والخلافة:

فيما يرويه البخاري عن ابن عباس: أن عليا رضي الله عنه خرج من عند الرسول في وجعه الذي مات فيه، فقال الناس: يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله؟ قال قد أصبح بحمد الله بارئا، فأخذ بيده العباس رضي الله عنه وقال: أنت والله بعد ثلاث عبد العصا، واني والله لأرى رسول الله صلى الله عليه وسلم سيتوفى في وجعه هذا، اني أعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت. فاذهب بنا اليه نسأله فيمن هذا الأمر فان كان فينا علمناه، وان كان في غيرنا كلمناه. فأوصى بنا. فقال علي: (أما والله لأن سألناه، فمنعناها، لم يعطناها الناس من بعده، واني والله لا أسألها) هذه الرواية التي ساقها الامام البخاري عن ابن عباس في تصوير هذا الموقف الدقيق والجليل للامام علي من موضوع الخلافة التي لم ير علي مبررا لأن يسألها رسول الله طالما هو صلى الله عليه وسلم لم يذكرها لهم، لا يستطيع أحد من علماء الشيعة المعتدلين منهم والمغالين أن يطعن في صحتها فهي عن ابن عباس. والا وقعوا هم أيضا في أن يرفض غيرهم الدلائل التي ينسبونها الى ابن عباس.

ومع أن المصادر الشيعية تقول: ان عمار بن ياسر وسلمان الفارسي وجابر بن عبد الله وابن عباس وأبي بن كعب، كانوا يرون أولوية علي بن ابي طالب على أبي بكر، الا أن عليا رضي الله عنه لم يتردد في مبايعة أبي بكر، وخاصة بعد أن انتهى من اعداد دفن الرسول صلى الله عليه وسلم والصلاة عليه. ولقد صلى علي وراء أبي بكر وعمر وعثمان بعد ذلك وولى أمورا للمسلمين في خلافة الرجال الثلاثة رضي الله عنهم، ولو كان أمام علي رضي الله عنه نص من رسول الله يحدد الخلافة في بيته، أو لأفراد بعينهم، لما قعد الامام علي عن الجهر بهذا الأمر ونصرة صاحبه، هذا ويتعين على دارسي المذاهب والفرق أن يدركوا أنه بالمستوى الذي كان يتصور من على في المطالبة بأمر دعا اليه الرسول في موضوع جليل كالخلافة، فان الخليفة أبا بكر ما

كان سيعرض نفسه أو يقبل الخلافة، لو كان منصوصا عليها لغيره، ومن هنا كانت العلاقة بين علي بن أبي طالب وأبي بكر وعمر وعثمان طوال خلافة كل منهم على خير ما تكون العلاقة بين صفوة من أصحاب رسول الله فلم يقطع رضوان الله عليه علاقته بواحد منهم بل زوج ابنته أم كلثوم من فاطمة رضي الله عنهما لعمر بن الخطاب، ولم يكن واحد منهم بالذي لا يأخذ برأي علي ولا يشركه معه في معظم أمور المسلمين، وليس صحيحا ما يفتريه بعض المؤرخين للفرق من الشيعة من أن عليا كان يرى نفسه أولى بالأمر منهم[1].

وليس صحيحا أنه كان يحتج على الخلفاء بأنه وأهل بيته الثمرة وقريش الشجرة والثمرة خير ما في الشجرة. فلو كان ذلك رأي علي. لكان مبنيا على نص. يفوق الامتثال له وضرورة الاذعان لما يقتضيه الامتثال والاذعان لرأي جماعة المسلمين التي بايعت أبا بكر ثم عمر وعثمان. ومن ثم لو كان هناك من النصوص النبوية أمام علي دع عنك لو كان في كتاب الله شيء حول هذا المعنى المدعي لما بايع علي أبا بكر، والا اتهم بالقعود عن المطالبة بحق، فضلا عن أن أبا بكر ما كان قدقبل الخلافة بينما هي منصوص عليها لغيره[2].

الشكل السياسي للفكرة الشيعية:

طوال عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، بل معظم عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، والعناصر القليلة التي ترى أن الخلافة ميراث أدبي تنحصر في علي بن أبي طالب أو العباس وأبنائه. وأنهم أولى بها من غيرهم، لم تكن تيارا فكريا أو رأيا في موجهة رأي، وقد تكون في هذه المرحلة من قبيل الخواطر أو حديث النفس عند البعض، وخاصة أولئك الذين كانوا حديثي العهد بالاسلام. وحتى هنا والقول بالتشيع لا يمثل ثقلا سياسيا أو رأيا معينا وفي عهد الخلافة أتيح للامامين الجليلين أبي بكر وعمر بعد ذلك أن يضربا حركة الردة وأن يوحدا الأمة العربية تحت لواء الاسلام ثم تفرغ الواحد بعد الآخر لحرب الروم والفرس[3] وحقق المسلمون بوحدتهم ضد أعدائهم

---

(١) الكليني في كتابه (الكافي في الأصول) باب التقية ص ٢٢١٩ طبعة ايران.

(٢) محمد الطاهر النيفر - أهم الفرق الاسلامية - تونس - صفحة ٧٢.

(٣) أحمد أمين - فجر الاسلام - صفحة ٨.

انتصارات عظيمة.

ومن هنا تولت القوى المدحورة امام لواء الاسلام، وخططت قوى البشر والظلام التي توارت بظلمها وظلامها أمام ضيائه الذي أشرق على المظلومين فاستردوا به حقهم في الحياة لمؤامرة ينفذون منها إلى وحدة الأمة التي صنعها الاسلام. ولم يجدوا أمامهم ثغرة ينفذون منها سوى أن يشيعوا في الناس فكرة أن آل بيت رسول الله أولى وأحق بالخلافة من أولئك الذين تقلدوها. وكان الهدف الخبيث يومها سياسيا بالدرجة الأولى فقد استهدفوا اشعار المسلمين بأنهم انما يقاتلون خلف من اغتصبوا الخلافة أو على الأقل من لا يستحقونها.

وعن تطوير الفكرة الشيعية واستغلالها ضد المسلمين يقول أستاذ الشريعة وأصول الدين بالجامعة التونسية الأستاذ النيفر[1]: فتولى مهرة رجال الفرس أمرها وكانوا قوة مؤهلة لها. فمنهم من تولى السعي لافساد دين العرب الذين انتصروا بتعاليه، وجمعه لكلمتهم على الفرس وغيرهم. ومنهم من تولى السعي للافساد السياسي بتحويل الخلافة الى العلويين. ولما لم يجدوا منهم لزهدهم في الدنيا من يواتيهم عل كل عمل ولو غير مشروع في الدين حولوها الى العباسيين، ثم صاروا يكيدون للعباسيين.

ويقول العلامة المحقق أبو بكر العربي الأندلسي في كتابه (العواصم من القواصم)[2]: تشيع قوم من الفرس خاصة لأنهم مرنوا أيام الحكم الفارسي على تعظيم البيت المالك. فلما دخلوا الاسلام. نظروا الى النبي صلى الله عليه وسلم نظرة كسروية. ونظروا الى أهل بيته، نظرتهم الى البيت المالك، فلما مات النبي صلى الله عليه وسلم رأوا أن أهل بيته أحق بالخلافة من غيرهم.

وتشيع آخرون لأنهم رأوا الانتقام من الاسلام، فتظاهروا بالغلو فيه خديعة ومكرا، ومن ضروب التشيع الغلو.

وفي هذا يقول الشيخ رشيد رضا: ان زعماء الفرس لم يكونوا أبدا مخلصين لهم ولا لدينهم بل كانوا زنادقة من اليهود والفرس يريدون من التشيع تفريق كلمة العرب

---

(١) محمد الطاهر النيفر - (أهم الفرق الاسلامية) صفحة ٧١.

(٢) أبو بكر العربي (العواصم من القواصم).

وضرب المسلمين بعضهم ببعض لاسقاط ملكهم ولا يزال الغلاة منهم يلعنون عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو الذي كان يزيد أهل البيت على الخمس ويفضلهم على أولاده[1].

أثر الثقافة الفارسية في الفكرة الشيعية:

مع تطور الفتح الاسلامي وتحريره أمما وشعوبا غير عربية وانضوائها تحت راية الاسلام، خمدت ثقافات غير اسلامية أمام المد الاسلامي وكانت هذه الثقافات ترتكز على عقيدة في الاله عند الفرس واليهود قوامها التجسيم والتشبيه والحلول والتناسخ وغير ذلك[٣]، لكنها مع اتساع الساحة الاسلامية واستغلال السماحة الاسلامية في كل ضروب الحياة وخاصة حرية الرأي التي لم يحجر فيها الاسلام على انسان، برزت هذه الثقافات في شكل أحقاد شعوبية وقومية ضد الاسلام وأهله[٢] فتطورت فكرة التشيع حتى ظهر من يقول: أن الامامة ليست من المصالح التي تفوض إلى الأمة، بل هي ركن الدين وقاعدة الاسلام، ولا يجوز للنبي اغفالها ولا تفويضها الى الأمة، بل يجب عليه تعيين إمام لهم ويكون معصوما.. وأخذ هذا المبدأ الذي اقتحم أصحابه الحياة الاسلامية لكي يدسوا على المسلمين هذه القاعدة في التوسع والاستطراد حتى قالوا: ان عليا رضي الله عنه، هو الذي عينه صلوات الله وسلامه عليه بنصوص، ينقلونها ويؤولونها، بل يؤلفونها في أغلب الأحوال، وهي في معظم ما يستشهدون به وما يقدمونه، تطرح أفكارا ونصوصا لم يعرفها المسلمون ولا نقلة الشريعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلماء الأمة، وأهم وأخطر ما استشهد به الشيعة انطلاقا من هذه القاعدة بعد عصر اتساع رقعة الفتح الاسلامي بأثر من الدس الفارسي واليهودي فكرة (الوصي) فقد لقبوا عليا ب (الوصي).. يريدون أن يعتقد المسلمون بأن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى لعلي بالخلافة. فكان عندهم: وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو بدوره لا بد له من (الوصي) وهكذا، أي إن الخلافة عندهم ليست بـ (الشورى) أو الانتخاب بل هي بطريق

---

(١) رشيد رضا: (تفسير المنار) ج ١ صفحة ١٠.

(٢) د. صابر طعمية (التراث الاسرائيلي في العهد القديم وموقف القرآن منه) ص ٤٢٠.

النص من رسول الله[1] وقد أداهم هذا بالطبع الى أمور منها القول بعصمة الأئمة: علي ومن بعده، فلا يجوز عليهم الخطأ ولا يصدر منهم الا الصواب، ومنها رفع مقام علي على غيره من الصحابة بمن فيهم أبو بكر وعمر.

هذا ومنذ البداية المبكرة قد انقسم التيار الشيعي الى عدة مواقف وجملة تفسيرات فيما ذهبوا اليه حول الامامة والخلافة وغيرهما. والصوت العاقل المعتدل الذي حاول الباحث أن يعثر عليه بين تاريخ الفرق (الشيعية) مثل: ابن أبي الحديد الذي كان من معتزلة الشيعة ومعتدليهم قليل جدا، وربما يكون على ضوء ما عندهم من قواعد يتعاملون بها مع غيرهم مثل (التقية) التي جعلوا منها تقريرا وتشريعا بأن يكون لكل ظاهر باطن.. وقواعد الظاهر والباطن من الأمور التي لا تخضع لقواعد ثابتة يكون الرجل غير صادق فيما ذهب اليه. لكنه وعلى ضوء التراث المنسوب اليه يقول ابن أبي الحديد عن علي رضي الله عنه رأيا ربما يختلف به عن رأي الكثرة الكثيرة من الشيعة اذ يقول: ان عليا أفضل الناس في الآخرة وأعلاهم منزلة في الجنة، وأفضل خلق الله في الدنيا. وأكثرهم خصائص ومزايا ومناقب، وكل من عاداه او حاربه أو أبغضه فإنه عدو الله سبحانه وتعالى وخالد في النار مع الكفار والمنافقين الا أن يكون من ثبتت توبته ومات على توبته وحبه عليا.. فاما الأفاضل من المهاجرين والأنصار الذين قبله فلو أنه أنكر امامتهم وغضب عليهم فضلا عن أن يشهر عليهم السيف أو أن يدعو الى نفسه لقلنا إنهم من الهالكين كما لو غضب عليهم رسول الله صلى الله عليهم وسلم وآله، لأنه قد ثبت أن رسول الله (هذا فيما يرويه ابن أبي الحديد) قال لعلي حربك حربي وسلمك سلمي وأنه قال اللهم: وال من والاه وعاد من عاداه، وقال له، لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق لكنا رأيناه رضي الله عنه رضي امامتهم وبايعهم وصلى خلفهم فلم يكن لنا أن نتعدى فعله ولا نتجاوز ما اشتهر عنه.

واذا أدركنا أن هذا هو مذهب ابن أبي الحديد الشيعي الاعتزالي المعتدل والذي يبدو واضحا من بين سياق ما أورده ارتباطه بما يؤثر عن علي لا بما يمكن أن يكون قد نص عليه رسول الله أو وجه اليه في هذا الأمر فكم تكون عقيدة الغلاة منهم.

الشيعة الغلاة

تطورت العقيدة الشيعية سلبا وايجابا هبوطا وصعودا في ظل مذاهب متفرقة وفدت من الدس الفارسي واليهودي الذي أشرنا اليه حتى انتهت بجماعة من الشيعة عرفوا أمام المؤرخين باسم (الشيعة الغلاة) وهو الذين لم يقتصروا على القول بأن عليا أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أنه على ضوءما ادعوا تصريحا وتلويحا تجب امامته قبل غيره بل زادوا في عقيدتهم التشيعيـة المغالية في علي ما يخرجهم عن ملة الاسلام وما يحول بينهم وبين اعتناق عقيدة التوحيد من قريب أو بعيد. وفي الوقت نفسه ما يؤكد تاريخيا غزو الأفكار الفارسية واليهودية لقطاع من طوائف الشيعة، وتحقيق الهدف الشعوبي المعادي للاسلام بتجريد الغلاة من الملة الاسلامية ووقوعهم تحت أسر عقيدة غير اسلامية في مضمونها وما تؤدي اليه[1] فمن هذه الطائفة المغالية من اعتقد (بالحلول) وبأن عليا قد حل فيه جزء الله[2] وأنه اتحد بجسد علي وأصبح عند هذه الطائفة المغالية بشريا والهيا في آن واحد، وذلك هو كما يقول وينص معتقد النصارى في تحريفاتهم الانجيلية عن (الناسوت واللاهوت) في شخص عيسى ابن مريم أي عن الألوهية والبشرية في آن واحد[3] في شخص واحد. وهذا ما لا يقره مسلم على ضوء عقيدة التوحيد في القرآن الكريم التي تقول ردا على النصارى فيما ادعوه على عبد الله ورسوله عيسى ابن مريم (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه في الأرض جميعا ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير[4]. ويقول جل شأنه – ردا على دعوى الغلو في حب جماعة من الناس لجماعة دون الله ورسوله: (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه. قل: فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء – ولله ملك

---

(١) محمد رشيد رضا. تفسير المنار جزء ١. صفحة ٢٦٣.

(٢) محمد الطاهر النيفر. (أهم الفرق الاسلامية) طبع تونس ص ٧٥.

(٣) صابر طعمية: التراث الاسرائيلي في العهد القديم وموقف القرآن الكريم منه – طبع بيروت صفحة ٤٢٠.

(٤) المائدة. آية ١٧.

السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير)[1]

ومن هذه الطائفة من رفع عليا فوق مرتبة النبوة وجرده من البشرية ليعتقد فيه بالألوهية مدعين في ذلك أنه كان يعلم الغيب وأنه أخبر عن الملاحم قبل وقوعها ثم صدقه الواقع، ويعتقدون أنه بجزء الألوهية المدعي على علي - نعوذ بالله من هذه العقيدة ونعيذ الامام رضي الله عنه منها - كان يحارب الكفار ويقلع الحصون مثلما فعل في باب خيبر، وينسبون اليه ما يبرأ الى الله منه قوله (والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسمانية ولا بحركة غذائية، ولكن قلعته بقوة ملكوتيه) ولا جدال في الدور الحاقد الذي جره وجود عبد الله بن سبأ الحبر اليهودي المدسوس على الحياة الاسلامية بين جماعة الشيعة الغلاة الذين لم يكن في بدء أمر جماعة الشيعة بينهم من يحمل مثل هذه العقائد الوثنية[2] التي تنسب الى علي مثل هذا الكفر الصريح.

لقد امتد الغلو عند طائفة الشيعة حتى أصبح كفرا صراحا سواء منه ما يتعلق بعقيدتهم في علي أو في الأئمة من بعده.. انهم يؤلفون حديثا يستحيل صدوره ممن صحب رسول الله وأخذ الاسلام على يديه فضلا عن علي رضي الله تعالى عنه وهو الصحابي الجليل الذي عرف بطهر العقيدة وسمو النفس.

ان كتاب (الكافي في الأصول) المطبوع في ايران والذي ناقشه أخيرا المفكر الاسلامي الباكستاني (احسان الهي ظهير) مناقشة جادة في كتابه (السنة والشيعة) يورد حديثا ما عرفته كتب السنة المطهرة الا بالكذب والتدليس حيث يروي (الكافي في الأصول) هذه الرواية المكذوبة على علي رضي الله عنه والتي تقول: عن المفضل بن عمر عن أبي عبد الله كان أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه كثيرا ما يقول: أنا قسيم الله بين الجنة والنار.. ولقد أقرت لي جميع الملائكة والروح والرسل (نعوذ بالله) بمثل ما أقروا لمحمد صلى الله عليه وسلم وآله... ولقد حملت مثل حمولته، وهي حمولة الرب، وان رسول الله يدعي فيكسي وادعي فأكسي، ولقد أعطيت خصالا ما سبقني اليها أحد قبلي،: علمت المنايا والبلايا والأنساب وفصل الخطاب فلم يفتني ما سبقني

---

(١) المائدة. الآية ١٨.

(٢) د. صابر طعمية الماسونية والصهيونية والشيوعية. غاية وهدفا - دار الفكر العربي بالقاهرة ص ٢٨٠.

اليها أحد قبلي ولم يعزب عني مل غاب عنى ، أبشر باذن الله وأؤدي عنه[1].

والغريب في الأمر أن هذه الخصال التي ادعاها الشيعة الغلاة على علي ونسبوها اليه وانطلقوا في تحريفاتهم وأهوائهم على ضوئها ليست خاصة به بل انسحب الزعم الفاسد على الأئمة الاثني عشر ، ولا فرق عندهم في النظر لهؤلاء الأئمة حتى بين الأول والأخير ، فيروي (الكليني) رواية عن عبد الله بن جندب أنه كتب اليه علي بن موسى) وهو الامام الثامن عندهم - يقول: أما بعد فنحن أبناء الله في أرضه عندنا علم البلايا والمنايا وأنساب العرب ومولد الاسلام وإنا لنعرف الرجل اذا رأيناه بحقيقة الايمان وحقيقة النفاق . وان شيعتنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم ، أخذ الله علينا وعليهم الميثاق[2].

هذا وقد استشرى الافتراء في الخروج عن الدين والعدوان عليه عند طائفة الغلاة من الشيعة فزعموا على محمد الباقر أنه قال: قال علي رضي الله عنه ولقد أعطيت الست ، علم المنايا والبلايا والوصايا وفصل الخطاب واني لصاحب الكرات ودولة الدول واني لصاحب العصا والميسم والدابة التي تكلم الناس[3].

زيف هذا المعتقد وبطلانه:

من البداهة في ضوء مقررات الاسلام وقواعده المستمدة من كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وسنة نبيه المطهرة أن الذين يعتقدون هذه العقيدة على ضوء هذه النصوص المفتراة يكونون قد خرجوا عن دائرة الايمان لقول الله تعالى في الذكر الحكيم (قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله[4]).

وقوله سبحانه (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو[5]) وهو سبحانه بهذه الآية يقصر علم الغيب عليه وحده سبحانه.

---

(١) احسان الهي ظهير « السنة والشيعة » ادارة ترجمان السنة. باكستان ص ٦٦.

(٢) الكافي في الأصول - كتاب الحجة ص ٢٢٣ جـ١ ط ايران نقلا عن (الشيعة والسنة) احسان ظهير ص ٦٨.

(٣) الكافي في الاصول ص ١٩٨ جـ١ ط ايران.

(٤) سورة النمل. الآية ٦٥.

(٥) الأنعام. الآية ٥٨.

النص من رسول الله[1] وقد أداهم هذا بالطبع الى أمور منها القول بعصمة الأئمة: علي ومن بعده، فلا يجوز عليهم الخطأ ولا يصدر منهم الا الصواب. ومنها رفع مقام علي على غيره من الصحابة بمن فيهم أبو بكر وعمر.

هذا ومنذ البداية المبكرة قد انقسم التيار الشيعي الى عدة مواقف وجملة تفسيرات فيما ذهبوا اليه حول الامامة والخلافة وغيرهما. والصوت العاقل المعتدل الذي حاول الباحث أن يعثر عليه بين تاريخ الفرق (الشيعية) مثل: ابن أبي الحديد الذي كان من معتزلة الشيعة ومعتدليهم قليل جدا، وربما يكون على ضوء ما عندهم من قواعد يتعاملون بها مع غيرهم مثل (التقية) التي جعلوا منها تقريرا وتشريعا بأن يكون لكل ظاهر باطن.. وقواعد الظاهر والباطن من الأمور التي لا تخضع لقواعد ثابتة يكون الرجل غير صادق فيما ذهب اليه. لكنه وعلى ضوء التراث المنسوب اليه يقول ابن أبي الحديد عن علي رضي الله عنه رأيا ربما يختلف به عن رأي الكثرة الكثيرة من الشيعة اذ يقول: ان عليا أفضل الناس في الآخرة وأعلاهم منزلة في الجنة، وأفضل خلق الله في الدنيا. وأكثرهم خصائص ومزايا ومناقب، وكل من عاداه او حاربه أو أبغضه فإنه عدو الله سبحانه وتعالى وخالد في النار مع الكفار والمنافقين الا أن يكون ممن ثبتت توبته ومات على توبته وحبه عليا.. فاما الأفاضل من المهاجرين والأنصار الذين قبله فلو أنه أنكر امامتهم وغضب عليهم فضلا عن أن يشهر عليهم السيف أو أن يدعو الى نفسه لقلنا إنهم من الهالكين كما لو غضب عليهم رسول الله صلى الله عليهم وسلم وآله. لأنه قد ثبت أن رسول الله (هذا فيما يرويه ابن أبي الحديد) قال لعلي حربك حربي وسلمك سلمي وأنه قال اللهم: وال من والاه وعاد من عاداه، وقال له، لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق لكنا رأيناه رضي الله عنه رضي امامتهم وبايعهم وصلى خلفهم فلم يكن لنا أن نتعدى فعله ولا نتجاوز ما اشتهر عنه.

واذا أدركنا أن هذا هو مذهب ابن أبي الحديد الشيعي الاعتزالي المعتدل والذي يبدو واضحا من بين سياق ما أورده ارتباطه بما يؤثر عن علي لا بما يمكن أن يكون قد نص عليه رسول الله أو وجه اليه في هذا الأمر فكم تكون عقيدة الغلاة منهم.

بالقوم الى الكفر بالهيئة - رسما وكما وكيفا - التي عليها كتاب الله تعالى منذ تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس [1]؛ ثم طور الشيعة الغلاة موقفهم مع الزمن حتى انتهى الى الكفر الصريح بكتاب الله تعالى وصريح ما جاء فيه[2]، ومثل هذا القول وحده يكفي لأن يجزم المسلم الذي يؤمن بالله ورسوله: بأن كل من ينتهي به الاعتقاد الى قبول شيء من معطيات هذه العقيدة التي تقول بتحريف القرآن بالخروج عن ملة الاسلام ونعوذ بالله سبحانه وتعالى من ذلك.

القرآن الكريم وغلاة الشيعة:

في كتاب (الخصال) لابن بابويه القمي دراسات موسعة حول القرآن الكريم تناول فيها هذا العالم الشيعي موقف الشيعة من القرآن الكريم المتداول اليوم بين أيدي المسلمين.

ومن قبل كان صاحب الكافي في الأصول قد تعرض هو الآخر لهذه القضية وخاصة في كتاب (الحجة) - باب ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة - من هذا الكتاب (الكافي) الجزء الأول.

وكذلك تناول (تفسير الصافي) للمحسن الكاشي في المقدمة السادسة القرآن الكريم وجميعهم انتهوا الى القول بأن القرآن الكريم زيد فيه ونقص منه.

وفيما رواه الكليني في (الكافي) ما يدللون به على ما يذهبون اليه في هذا الموضوع الجليل. فقد روى الكليني في (الكافي): (ان أبا الحسين موسى عليه السلام كتب الى علي بن سويد وهو في السجن: ولا تلتمس دين من ليس من شيعتك، ولا تحب دينهم فانهم الخائنون الذين خانوا الله ورسوله وخانوا أماناتهم وهل تدري ما خانوا أماناتهم؟ ائتمنوا على كتاب الله فحرفوه وبدلوه).

ومثل هذه الرواية رواية أبى بصير، كما رواها الكلينى عن أبى بصير عن أبى عبد الله عليه السلام قال قلت له: قول الله عز وجل (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق) قال: فقال ان الكتاب لم ينطق ولن ينطق، ولكن رسول الله هو الناطق بالكتاب:

---

(١): . صابر طعمية (هذا القرآن.. قصة الذكر الحكيم) ص.١٤.

(٢) (الكليني) (الكافي في الاصول - كتاب فضائل القرآن) باب النوادر ص ٦٣٤ ج ٢ عام ١٣٨١ هـ.

قال الله جل ذكره «وهذا كتابنا ينطق - بصيغة المجهول - عليكم بالحق» قال: قلت جعلت فداك، انا لا نقرأها هكذا، فقال: هكذا والله نزل به جبرائيل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم وآله، ولكنه فيما حرف من كتاب الله[1].

هذا ويروى بابويه القمى فى كتابه (الخصال) الرواية التى يقولون بها عن: محمد بن عمر الحافظ البغدادي، قال: حدثنا عبد الله بن بشر قال: حدثنا الأجلح عن أبى الزبير عن جابر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يجيء يوم القيامة ثلاثة يشكون المصحف والمسجد والعترة يقول المصحف: يا رب حرقوني ومزقوني..

والمفسر الشيعي المعروف الشيخ محسن الكاشي صاحب (التفسير الصافي) هو الذي يقول: لولا أنه زيد في كتاب الله ونقص، ما خفي حقنا على ذي حجي ولو قد قام قائمنا صدقه القرآن[2]. هذا والرواية المتوسع فيها كأساس لاعتقاد الشيعة الغلاة بتحريف القرآن الكريم. تؤكد خروج الشيعة الغلاة وغيرهم ممن يذهب هذا المذهب عن دين الاسلام فضلا عن تزييفه لحقائق العلم والتاريخ واجماع الأمة على امتداد أربعة عشر قرنا وهي ليست الا ذلك النشاز الفارسي اليهودي الذي دس على أمة الاسلام يقول الطبرسى في كتابه (الاحتجاج) وهو كتاب لا يختلف حوله الشيعة جميعا الغلاة منهم والمعتدلون اذا كان يمكن أن يكون في التشيع اعتدال، يقول المحدث الشيعي زاعما نسبة ما يقول الى الرجل الجليل أبي ذر الغفاري، وفي رواية أبي ذر الغفاري الذي ادعى عليه هذه الرواية ما هو فوق العجب، فيها: انه لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع على القرآن وجاء به الى المهاجرين والأنصار وعرضه عليهم لما قد أوصاه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما فتحه أبو بكر خرج في أول صفحة فتحها فضائح القوم، فوثب عمر وقال: يا علي اردده فلا حاجة لنا فيه، فأخذه علي عليه السلام وانصرف ثم أحضر زيد بن ثابت وكان قارئا للقرآن فقال له عمر: جاءنا بالقرآن وفيه فضائح المهاجرين والأنصار، وقد رأينا أن نؤلف القرآن ونسقط منه ما كان فيه من فضيحة وهتك المهاجرين والأنصار فجاوبه زيد إلى ذلك،

---

(١) كتاب الروضه من الكافي صفحة ٥٠ ج ٨ طبع طهران.

(٢) تفسير الصافي لمحسن الكاشي، المقدمة السادسة ص. ١ نقلا عن الشيعة والسنة احسان الهي ظهير ص ٨٤.

ثم قال: فان أنا فرغت من القرآن على ما سألتم وأظهر على القرآن الذي ألف قد بطل كل ما فعلتم، قال عمر فما الحيلة؟ قال زيد أنتم أعلم بالحيلة، فقال عمر ما حيلة دون أن نقتله ونستريح منه، فدبر في قتله على يد خالد بن الوليد، فلم يقدر على ذلك، فلما استخلف عمر، سألوا عليا عليه السلام ان يرفع اليهم القرآن فيحرفوه فيما بينهم، فقال عمر: يا أبا الحسن ان جئت بالقرآن الذي كنت جئت به الى أبي بكر حتى نجتمع عليه، فقال: هيهات، ليس إلى ذلك سبيل. إنما جئت به إلى أبي بكر، لتقوم الحجة عليكم ولا تقولوا يوم القيامة (انا كنا عن هذا غافلين) أو تقولوا ما جئتنا به، ان القرآن الذي عندي لا يمسه الا المطهرون. والأوصياء من ولدي، فقال عمر: فهل وقت لاظهاره معلوم؟ فقال عليه السلام: نعم اذا قام القائم من ولدي يظهره ويحمل الناس عليه[1].

ونحن هنا لا نريد أن نتعرض لهذا المعتقد الكافر بكتاب ربنا الذي بين أيدي المسلمين منذ تركه رسول الله في الناس، لكن لنا عليه دراسة نقدية على المتن او النص الذي ساقه الطبرسى عن رواية أبي ذر حول كتاب ربنا.

ويتمثل نقدنا للنص في الآتي:

أولا: أبو ذر الغفاري صحابي جليل ومن الأولين ومن الملازمين لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمقربين وله في الحق صولة وفي مقاومة ما يراه لا يعبر عن الحق والعدل في دين الله مواقف، وهو من غفار ذات الشأن والتى سمعت له وأطاعت يوم أسلم، لم يحدثنا الكليني في (الكافى) ولا القمى في الخصال ولا الكاشي في (الصافي) ولا غيرهم من علماء الشيعة فضلا عن علم الرجال وسيرة المهاجرين من أصحاب رسول الله، بأن الرجل الذي يروى واقعة عرض على للقرآن على المهاجرين والانصار، ووثوب عمر في وجه علي ليرده كما زعموا عليه قامت قيامته وثار لكتاب ربه واشتغل بأمره في محنة كتلك؟ مع أنه قد أخذ مواقف صلبة من عثمان ومعاوية رضي الله عن الجميع في قضايا أقل وأقل من قضية الذكر الحكيم، هذه واحدة؟ هل يريد الشيعة الغلاة أن يسجلوها على أبي ذر الغفاري هو الآخر (جندب بن عبادة) وبأنه قعد عن

---

(١) (الاحتجاج) للطبرسى ص ٧١، ٧٧ ط ايران عام ١٣٠٢ هـ.

نصرة كتاب ربه؟.

ثانيا: رواية أبي ذر هذه المدعاة عليه تقول (.. جمع علي القرآن وجاء به الى المهاجرين والانصار وعرضه عليهم، لما قد أوصاه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم). ونحن نسأل من الذي اشترك مع علي في الجمع من أصحاب رسول الله، وهل الخليفة الذي بويع كان يعلم بما يقوم به علي أم أنه لا جمع أصلا؟ والقرآن كان عند علي وحده دون سائر المسلمين مجموعا على عهد رسول الله. واذا كان كذلك فلماذا آثر به رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما زعموا - عليا دون غيره من المسلمين بينما النص يقول (وعرض عليهم لما قد أوصاه بذلك رسول الله) أي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يريد أن يطلع على المهاجرين والانصار على القرآن الكريم، يقول النص (.. فلما فتحه أبو بكر خرج في أول صفحة فتحها فضائح القوم ..) ونحن هنا أمام احتمالين اما أن يكون المهاجرون والانصار يعلمون ما في القرآن عنهم من فضائح، وهنا لم يكن هناك من مبرر أي مبرر لأن يطلبوا رده الى علي حيث لا حاجة لهم به فهم في هذه الحالة على علم بالفضائح وهي على هذا الكذب معروفة عنهم، واذا لا حرج واما أن يكون ما في القرآن عن المهاجرين والانصار سرا مكتوبا فيكون رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم كتاب الله عن الناس وجعله سرا بينه وبين علي ثم أوكل اليه مهمة وصية ابلاغه للناس في الوقت الذي لم يعلم الناس عما فيه شيئا، ومعنى هذا أيضا تجريد الأمة كلها فضلا عن صفوة أصحاب رسول الله من علاقتهم بالقرآن والمامهم به وحفظهم له مكتوبا على السعف واللخاف وفي صدور الرجال، وهذا خلاف الواقع فلقد كان من بين حفظة القرآن في عهد النبي وفي حياته مجموعات شكلت قوة عسكرية متميزة داخل الجيش الذي ذهب لحماية الاسلام من تأويل البعض لما في كتاب الله.

ثالثا: النص يقول (.. ثم أحضر زيد بن ثابت وكان قارئا للقرآن فقال له عمر: ان عليا جاءنا بالقرآن، وفيه فضائح المهاجرين والأنصار، وقد رأينا أن نسقط منه ما كان فيه من فضيحة وهتك المهاجرين والأنصار..).

ونحن هنا نسأل السادة الأئمة: الكليني، والقمي، وغيرهما أي نص كان يحفظه زيد

للقرآن؟ النص الذي كان مع علي كما تدعون وفيه فضائح المهاجرين والأنصار، أم النص الذي كان يحفظه مع مئات من المسلمين ويوجد مكتوبا متفرقا عند صفوة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم باملائه لجميع آيات الذكر الحكيم[1]؟

ثم أن العلاقة الأخوية بين زيد بن ثابت وعلى بن أبي طالب رضي الله عنهما كانت على أكرم وأطهر وأخلص ما تكون العلاقة بين أخوين تحابا في الله وأخذا معا من رسول الله فكيف جاء النص هنا؟ ووضع زيدا شريكا لأبي بكر وعمر في تآمرهما المدعى على كتاب الله وعلى علي رضي الله عنه، ونضيف فيما نراه - حول الخلل الذي ينطوي عليه النص المنسوب زيفا وعدوانـا لأبي ذر، نقول كيف فكر عمر فيما أدعى عليه النص في قتل علي حين قال له زيد (.. فان أنا فرغت من القرآن على ما سألتم وأظهر علي القرآن الذي ألفه أليس قد يبطل كل ما عملتم)؟ ولماذا لم يحاول جادا خاصة وانه كما يقول النص فكر في الاستعانة بخالد بن الوليد؟ ومع أن بعض المؤرخين يرون أن العلاقة بين علي بن أبي طالب وعمر بن الخطاب أقرب وأكمل منها بينه وبين خالد بن الوليد يريدون أن يعكسوا المعنى الذي أشاعوه عن شجاعة علي بن أبي طالب وعون الله له بأن ذلك ليس قوة جسدية ولا غذائية ولكن قوة ملكوتية روحانية، ولعلهم أرادوا أن يوحوا بعدم قدرة خالد بن الوليد على قتله الى تقرير مثل هذا المعنى المزعوم.

رابعا: النص الذي ساقه الطبرّي في الاحتجاج يضع عليا أمام هذه التساؤلات - (.. فلما استخلف عمر سألوا عليا أن يرفع اليهم القرآن، فيحرفوه فيما بينهم فقال: يا أبا الحسن: ان جئت بالقرآن الذى كنت جئت به الى أبي بكر حتى نجتمع عليه، فقال: هيهات ليس الى ذلك سبيل، انما جئت به الي أبي بكر لتقوم الحجة عليكم ولا تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين، أو تقولوا ما جئتنا به ان القرآن الذي عندي لا يمسه الا المطهرون والاوصياء

---

(١) د. صابر طعيمة في كتاب (قصة الذكر الحكيم.. تدوينا وتفكيرا) صادر عن دار الجيل بيروت ط ١٩٧٩ م ص ٩٥.

من ولدى ، فقال ، فهل وقت لاظهاره معلوم ، فقال عليه السلام نعم اذا قام القائم من ولدى ، يظهره ويحمل الناس عليه) التساؤلات التى يطرحها النص هنا عند هذه النقاط منها: لماذا لم يسلم الامام على لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما القرآن المدعى بأنه كان معه لعمر وقد طلبه بعد موت أبي بكر ليجتمع الناس عليه؟ والجواب الباطل الذي قد يساق في مواجهة هذا السؤال: خشية التحريف وهنا نبادر ألم تكن احتمالات التحريف هذا واردة حين ذهب به أي القرآن المدعى بأنه ألفه دون غيره من المسلمين، وأبو بكر في الخلافة وبجواره عمر بل قد يكون المناخ والظروف بعد عامين وأكثر من موت الرسول مهيئا لأن يقوم على بالأمر الذي أنيط به ، واذا ما تعرض القرآن للتحريف في عهد عمر فان عليا سيصبح في حل من اعلان ذلك لجمهور الأمة وهم جميعا حديثو عهد برسول الله... وهل كان عمر بن الخطاب بهذا المستوى من الجاهلية الذي حاول كاتب النص أن يلبسه اياه حين يسأل عليا فيقول (... نعم اذا قام القائم من ولدي يظهره ويحمل الناس عليه) فأنا نسأل كيف ساق المصنفون هذه النبوءة ولا مقدمات لها ولا برهان عليها؟ فاذا كان علي الوصي على هذا القرآن كما زعم الغلاة، ولم يقدر على اظهاره واذا كان صفوة أصحاب رسول الله الذين حملوا كلمة الله ونشروا آيته غير مؤتمنين على كتاب ربهم، بل وأرادوا تحريف الصحيح الذي عرض عليهم واعتمدوا الباطل الذي في أيديهم كما ادعى عليهم وعلى الله الغلاة من القدامى والمحدثين، فكيف يتصور أن يقوم به من ولد على أحد ليظهره ويحمل الناس عليه، واذا كان كما يدعي النص الآثم الذي بين أيدينا والذي يفتري الكذب على الله وعلى كتابه وعلى نبيه وعلى أصحابه جميعا وعلي إبن أبي طالب قبل غيره رضوان الله عليهم جميعا بأن كتاب الله لم يكن مشاعا ولا متداولا ولا معروفا بين المسلمين عامتهم وخاصتهم وأن الصفوة منهم وقعوا في الفضائح والمعاصي التي سجلها القرآن المدعي عند الغلاة ، فكيف اذن قام الاسلام في الناس وكيف عبد المسلمون ربهم طوال أربعة عشر قرنا وكيف صمدوا في وجه أعدائهم الفرس والروم واليهود والنصارى، ولماذا صح ما في أيدي المسلمين على امتداد قارات الدنيا بعد

ربعة عشر قرنا كتاب الله الذي ألجم أفواه أعدائه وأخرس ألسنتهم بعد أن رصدوا له العلماء والدارسين لكي يتعرفوا على ما يمكن أم يكون فيه من خلل أو من جهد بشري، وصدق الله العظيم (.ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا).

نماذج من عدوان الغلاة على كتاب الله:

بعد أن ناقشنا فساد الزعم الشيعي القائل بتحريف القرآن الكريم على أيدي صفوة من أصحاب رسول الله، وبينا تهافت النص الأهم والأقدم عندهم والذي ينسبه الكليني الى أبي ذر رضي الله عنه، والرجل رضي الله عنه أبرأ ما يكون وأخلص ما يكون لله ولرسوله، نود أن نشير هنا الى نماذج من وضعهم للآيات المفتراة وسوقهم الكذب على كتاب الله فضلا عن العدوان على الله ورسوله.

يكتب أحد أعلام الشيعة الذي يلقبونه بشيخ الاسلام وخاتمة المجتهدين: الملا محمد باقر المجلسي فيقول: (ان المنافقين غصبوا خلافة علي، وفعلوا بالخليفة كذا، والخليفة الثاني - أي كتاب الله - فمزقوه[1]).

ثم يكتب في كتاب آخر، وبغير حياء هذه المرة حيث يوجه اتهاما نبرىء منه الخليفة الورع رضي الله تعالى عنه عثمان بن عفان حين يقول الملا محمد باقر المجلسي (ان عثمان حذف من هذا القرآن ثلاثة أشياء، مناقب أمير المؤمنين على وأهل البيت، وذم قريش والخلفاء الثلاثة ومثل آية - يا ليتني لم أتخذ أبا بكر خليلا[2] - وعلى هذا الزعم الفاسد تصبح الآية الكريمة - إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا[3] - ليست من القرآن على حد ما يزعمه الشيعي الملا محمد باقر المجلسى من أن الخليفة عثمان حذف - يا ليتني لم أتخذ أبا بكر خليلا.

هذا ويسوق (الكليني) هو الآخر بعض النماذج المدعاة في كتاب (الحجة) من

(١) (حياة القلوب) ملا باقر المجلى - باب حجة الوداع نمرة ٤٩ ص ٦٨١ ج ٢.
(٢) تذكرة الأئمة - ملا باقر المجلى - ص ٩ عن كتاب (الشيعة والسنة) احسان الهي ظهير ص ١١٣.
(٣) سورة المائدة. الآية رقم ٤٠.

(الكافي) في الجزء الأول فيدعي على أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام أنه نزل جبريل بهذه الآية القرآنية المزعومة على هذا النسق: (ان الذين كفروا وظلموا آل محمد - حقهم لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها أبدا، وكان ذلك على الله يسيرا).

ويروي الكليني أيضا عن نفس الرواية السابقة مدعيا أن جبريل نزل بهذه الآية على محمد صلى الله عليه وسلم هكذا (فبدل الذين ظلموا آل محمد حقهم في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم، أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون).

هذا ويروي الشيعي علي بن ابراهيم القمي عن أبيه عن الحسين ابن خالد في آية الكرسي ان أبا الحسن موسى الرضا - أحد الأئمة الاثني عشر - قرأها على النحو التالي - ألم الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم، له ما في السموات وما في الأرض، وما بينهما وما تحت الثرى عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم[١].

وقد ذكر الكليني في صحيحه المزعوم (الكافي) مدعيا على المدعو أبي بصير عن أبي عبد الله أن قولا لله كان في القرآن هكذا، ثم حذف (ومن يطع الله ورسوله في ولاية علي والأئمة من بعده فقد فاز فوزا عظيما) زاعما أنها هكذا أنزلت، وبداهة بل ويعرف الشيعة أن جملة (في ولاية علي والأئمة من بعده) مدسوسة على النص الذي هو في القرآن المجيد (ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما).

هذا ويقول (الكاشي) في تفسيره تحت آية (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين) أنها كانت هكذا - يا أيها النبي جاهد الكفار بالمنافقين ولا يتصور بالقطع كم يكون البلاء الذي يمكن أن يلحق بالاسلام والمسلمين من تركيبة النص الذي ادعوه على الله وعلى نبيه.

ويزيدون الطين بلة حين يورد (الكليني) في (الكافي في الأصول) كتاب (الحجة باب نكت ونتف) من التنزيل في الولاية: رواية عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله

---

(١) صحة الآية الكريمة في كتاب الله تعالى: (الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم. له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه. يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم. ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم). آية رقم ٢٥٥، من البقرة.

عليه السلام هذا النص العجيب على أنه من الذكر الحكيم (ولقد عهدنا الى آدم من قبل كلمات في محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ذريتهم فنسي) وهذا والله هو عين الكذب والافتراء على الله وكتابه ورسوله.

هذا والقول المفتري من الشيعة الغلاة حول القرآن الكريم لا يتسع له المقام فالموضوع في منطلقاته وغاياته انما ينحصر في التوجيه والتأثير اليهودي الفارسي الذي كان وليد الاحتكاكات الاسلامية في عصور المد والانكماش الاسلاميين، وكان الهدف أن يتعرض كتاب الله لما تعرضت له كتب اليهود والنصارى في الكتاب المقدس عندهم بعهديه القديم والجديد على السواء.. ولكن هيهات فرب العالمين هو المتكفل بحفظ كتابه الى يوم أن يقوم الناس لرب العالمين.

الشيعة الامامية:

نظرة مجملة:

الموقف الشيعي الذي بدأ في أول أمره وجهات نظر مجردة عن الهوى لم يتجاوز في بعض مراحله حديث النفس حول من أولى بالأمر والخلافة بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انتهى هذا الموقف تماما خلال عصر أبي بكر وعمر بعد أن بايعهما علي رضي الله عنه وصلى وراءهما وساهم في الحياة الاسلامية من خلال خلافتهما[1] هذا الموقف سرعان ما أصبح ثغرة استغلت لنفاذ أفكار وأهداف غير اسلامية من القوى التي قهرتها عقيدة التوحيد وقضت على ظلمها وظلامها، ووفدت الافكار الفارسية والشعوبية اليهودية بتراثها تحمل بصمات وثنية أشورية بابلية مصرية قديمة في عقدة الإلـه عندهم الذي يحل ويرتحل في العهد القديم وفي الفدرا والمشنا والجمارا وغيرها[2].

وما الخلاف الفقهي والفكري الذي انفجر بين طوائف الشيعة الا المدخل الطبيعي لتكوين الأفكار والمذاهب التي جدت واستحدثت مع التاريخ وما الامامية

---

(١) آدم ميتز «الشيعة والسيادة الاسرائيلية» ترجمة د. حسن ابراهيم - النهضة المصرية القاهرة.

(٢) د. صابر طعمية «التراث الاسرائيلي في العهد القديم وموقف القرآن الكريم منه» - دار الجيل - بيروت - ص ٣٣١.

الا نموذج من النماذج التى عرضنا لبعضها عند الحديث عن الغلاة الذين عرضنا لهم في ايجاز.

التعريف بالامامية:

يعرفهم الشهرستاني في موسوعته (الملل والنحل) فيقول عنهم «هم القائلون بامامة علي عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم نصا ظاهرا ويقينا صادقا من غير تعريض بالوصف بل اشارة اليه بالعين» ونود أن نشير الى أن القائلين «بالامامة» هكذا بهذه الدعوى لم يكونوا على عصر علي، ولم يكونوا فرقة أو جماعة تحمل هذه العقيدة. والا لو كانوا فرقة أو تيارا يعتنق هذه العقيدة وكان لأصحابه أدنى سند صحيح يمكن أن يرضاه جمهور المسلمين منسوبا الى النبي لأقرهم على هذه العقيدة كل من أبي بكر وعمر، ولما سكت علي رضي الله عنه على عدم العمل بها، أو حتى لو كانوا تيارا أو فرقة تقول بهذه العقيدة في عهد الخلافة بحق علي ولم تصح دعواهم وثبت فساد مقولتهم، لأ نبرى الجميع أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وغيرهم من صفوة أصحاب رسول الله لدحض مفترياتهم على الاسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم، ولم يصح شيء من هذا ولا ذاك.. ولكن هذه الدعوة نشأت بعد الفتح الاسلامي، ولبعثرة شمل الأمة وتمزيق وحدتها، ثم النفاذ الى القيادة الاسلامية الراشدة والتشكيك في اخلاصها لقيادة جماعة المسلمين، وهذا هو المخطط الفارسي اليهودي الذي وجد صدى واستجابة له من بعض العناصر التي لم تكن تدرك خطورة ما يجره على المسلمين والاسلام، هذا الانسياق لأعداء الاسلام والتأثر بما تنطوي عليه عقائدهم من رموز وشعائر وطقوس ترتبط بأنماط مادية صرفة.

نعود الى الموقف الأساسي لفكر الامامية لكي نعرفه على ضوء ما ذهب اليه الشهرستاني الذي يقول: الامامية هم الذين يقولون بامامة علي عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم نصا ظاهرا ويقينا صادقا من غير تعريض بالوصف بل اشارة اليه بالعين، قالوا وما كان في الدين الاسلامي أمر أهم من تعيين الامام حتى تكون مفارقته الدنيا على فراغ قلب من أمر الأمة، فانه اذا بعث لرفع الخلاف وتقرير الوفاق فلا يجوز أن يفارق الدنيا ويتركهم هملا يرى كل واحد منهم رأيا ويسلك كل واحد طريقا لا يوافقه في ذلك غيره، بل يجب أن يعين شخصا هو المرجوع اليه.

وينص على واحد هو الموثوق به المعول عليه، وقد عين عليا عليه السلام في مواضع تعريضا وفي مواضع تصريحا، أما تعريضاته فمثل أن بعث أبا بكر ليقرأ سورة البراءة على الناس في المشهد، وبعث بعده عليا ليكون هو القارىء عليهم والمبلغ اليهم وقال: نزل عليَّ جبريل فقال: يبلغه رجل منك أو قال من قومك، وهو يدل على تقديمه عليا عليه السلام، ومثل ما كان يؤمر علي أبي بكر وعمر غيرهما من الصحابة في البعوث، وقد أمر عليهما عمرو بن العاص في بعث وأسامة بن زيد في بعث، وما أمر على أحدا قط.. وأما تصريحاته فمثل ما جرى في نأنأة الاسلام حين قال: من الذي يبايعني على ماله فبايعته جماعة، ثم قال من الذي يبايعني على روحه وهو وصي وولي هذا الأمر من بعدي، فلم يبايعه أحد حتى مد أمير المؤمنين علي عليه السلام يده اليه فبايعه على روحه، ووفى بذلك حتى كانت قريش تعير أبا طالب: أنه أمر عليك ابنك، ومثل ما جرى في كمال الاسلام وانتظام الحال حين نزل قوله تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) فلما وصل الى (غدير خم) أمر فنادوا: الصلاة جامعة، ثم قال عليه السلام وهو على الرحال: من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر معه الحق حيث دار ألاهل بلغت ثلاثا).

يقول الامام الشهرستاني: ادعت الامامية أن هذا نص صريح في الامامة فانا ننظر من كان النبي صلى الله عليه وسلم مولى له، وبأي معنى فيطرد ذلك في حق علي؟.. وقد فهمت الصحابة من التولية ما فهمناه حتى قال عمر حين استقبل عليا طوبي لك يا علي أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة. قالوا: وقول النبي عليه السلام، أقضاكم علي، نص في الامامة إذ لا معنى له الا أن يكون أقضى القضاة فى كل حادثة، الحاكم على المتخاصمين في كل واقعة وهو معنى قوله تعالى: (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) فأولوا الأمر من اليه القضاء والحكم، حتى في مسألة الخلافة، لما تخاصم المهاجرون والأنصار كان القاضي في ذلك هو أمير المؤمنين على دون غيره، فان النبي كما حكم بأخص وصف له فقال: أفرضكم زيد أقرأكم أبي، أعرفكم بالحلال والحرام معاذ، كذلك حكم لعلي بأخص وصف له وهو قوله: أقضاكم علي والقضاء يستدعي كل علم وليس كل علم يستدعي القضاء.

يقول الشهر ستاني وهو يعقب في ايجاز على هذه الرواية التي يتضح من السياق

العـام الـذي أوردها فيـه الشهر ستـاني شكـه فيها ورفضـه لها.. ثم ان الامامية تخطت هذه الدرجة الى الوقيعة في كبار الصحابة: طعنا وتكفيرا ظلما وعدوانـا وقـد شهـدت نصوص القرآن عـلى عدالتهم والرضا عن جملتهم، قال تعالى (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) وكانوا اذ ذاك ألفا وأربعمائة، وقال تعالى ثناء على المهاجرين والأنصار (والذين اتبعوهم بإحسان)، (السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه).

وقوله تعالى (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة).

وقال (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض).

وفي ذلك دليل على عظم قدرهم عند الله وكرامتهم ودرجتهم عند الرسول فليت شعري كيف يستجيز ذو دين الطعن فيهم ونسبة الكفر اليهم، وقد قال النبي عليه السلام (عشرة في الجنة، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد بن زيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح) الى غير ذلك من الأخبار الواردة في حق كل واحد منهم على الانفراد وان نقلت هنات من بعضهم فليتدبر النقل فان أكاذيب الروافض كثيرة ثم ان الامامية لم يثبتوا في تعيين الأئمة بعد الحسن والحسين وعلي بن الحسين على رأي واحد بل اختلافاتهم أكثر من اختلافات الفرق كلها حتى قال بعضهم إن الناجي من الفرق النيف والسبعين المذكورة في الخبر هو من الشيعة خاصة ومن عداهم فهم خارجون عن الأمة وهم متفقون في سوق الامامة الى جعفر بن محمد الصادق مختلفون في النصوص عليه بعده من أولاده اذ كان له خمسة أولاد وقيل ستة محمد واسحق وعبد الله وموسى واسماعيل وعلي.. ومن ادعى منهم النص والتعيين: محمد وعبد الله وموسى واسماعيل وعلي (ثم منهم) من مات واعقب، ومنهم من لم يعقّب. ومنهم من قال بالتوقف والانتظار والرجعة، ومنهم من قال بالسوق والتعدية. كما سيأتي اختلافاتهم عند ذكر طبائعهم وكانوا في الأول على مذهب أئمتهم في الأصول ثم لما اختلفت الروايات عن أئمتهم وتمادى الزمان امتازت كل فرقة بطريقة وصارت الامامية بعضها معتزلة اما وعيدية واما تفصيلية وبعضها اخبارية اما مشبهة واما

سلفية ومن ضل الطريق وتاه لم يبال الله به في أي واد هلك).

هذا هو ما انتهى اليه الشهرستاني في التعريف بالامامية وابراز أوجه الخلاف والفرقة عندهم والحكم عليهم.

ومن البداهة أن مثل هذه العقيدة التي تحصر امامة المسلمين في سلسلة عضوية بزعم أنها تتصل ببيت الرسول انما هي ثمرة من ثمرات الغزو الفكري الفارسي للمسلمين، فضلا عن محاكاة اليهود في معتقدهم العنصري المزعوم عن علاقاتهم المتميزة بربهم دون غيرهم. واصطفائهم دون سواهم من خلقه[١].

الزيدية:

الزيدية فرقة من الفرق الشيعية القائلة بالامامة في بيت علي وحصرها في أولاد فاطمة غير أنهم لم يتجاوزوا موقفهم هذا بحيث لم يخضعوا في القول به لتيارات سياسية ومذهبية وافدة تخرجهم من ملة الاسلام كما وقع غيرهم.

والزيدية في تاريخ الفرق الاسلامية هم: أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي عليه السلام، حصروا موقفهم في الامامة في أولاد فاطمة عليها السلام.. ورفضوا أن تكون الامامة في غير بيت فاطمة، الا أنهم لم يقصروها على سلسلة محددة من أولاد فاطمة اذ جوزوا أن يكون كل فاطمي عالم زاهد شجاع سخي خرج بالإمامة يكون إماما واجب الطاعة سواء أكان من أولاد الحسن أو أولاد الحسين ومن هنا قالت جماعة من الزيدية بامامة: محمد وابراهيم الامامين ابني عبد الله ابن الحسن بن الحسن الذين خرجا بالامامة في أيام المنصور، وقتلا بسبب قولها هذا.

هذا ويعتقد الزيدية بأنه يجوز خروج امامين في قطرين في زمن واحد يستجمعان خصال الامامة من العلم والزهد والشجاعة والسخاء ويكون كل واحد منهما واجب الطاعة.

---

(١) د. صابر طعمية «التراث الاسرائيلي في العهد القديم وموقف القرآن منه» دار الجيل ببيروت عام ١٩٧٩ م ص ٤٨.

علاقة الزيدية بالمعتزلة:

لما كان اتباع زيد يقولون بأن كل فاطمي عالم زاهد شجاع سخي خرج بالامامة يكون واجب الطاعة أراد أن يتحلى بالشرط الأول وهو العلم وأن يلم بالأصول والفروع فوقع في يد واصل بن عطاء رأس المعتزلة، الذي لم يكن على يقين بأن جد زيد الامام علي بن أبي طالب على صواب في الحروب التي جرت بينه وبين أصحاب الجمل وأصحاب الشام، وفي الوقت الذي كان فيه واصل بن عطاء على غير يقين من الفريقين المتخاصمين المتقاتلين: علي أم أصحاب الجمل والشام على صواب لم يتردد زيد في أخذ الفكر الاعتزالي من واصل وأصبح أصحاب زيد أقرب ما يكونون في جملة معتقدهم الى (المعتزلة) وربما يكون زيد والزيدية من بعده قد أخذوا من واصل بن عطاء القول بجواز امامة المفضول مع قيام الأفضل، فقد كان يقول[1]: علي بن أبي طالب أفضل الصحابة الا أن الخلافة فوضت الى أبي بكر لمصلحة رآها أصحاب رسول الله وقاعدة دينية راعوها، وذلك لكي تسكن ثائرة الفتنة وتطيب قلوب العامة فان الناس كانوا حديثي العهد بالحروب التي جرت في أيام النبوة، وسيف علي بن أبي طالب من دماء المشتركين من قريش لم يجف بعد والضغائن في صدور القوم من طلب الثأر كما هي فما كانت القلوب تميل اليه كل الميل ولا تنقاد له الرقاب كل الانقياد، وكانت المصلحة أن يقوم بهذا الأمر من عرف باللين والرفق والتودد والتقدم في السن والسبق في الاسلام والقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكان زيد ينطلق في موقفه هذا مما يعلمه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لما كان في مرضه الذي مات فيه وأراد تقليد الأمر لعمر بن الخطاب رضي الله عنه زعق الناس[2] وقالوا يا رسول الله لقد وليت علينا فظا غليظا، فما كانوا يرضونه أميرا للمؤمنين لشدة وصلابة وغلظ له في الدين وفظاظة على الأعداء حتى أسكتهم أبو بكر رضي الله عنه بحلمه ووداعته.

هذا ويجوز عند الزيدية أن يكون المفضول اماما والأفضل قائما فيرجع اليه في الأحكام ويحكم بحكمه في القضايا التي يراها.

---

(١) الشهرستاني «الملل والنحل» ج١ ص٢٠٨، دار المعرفة بيروت. عام ١٩٧٥م.
(٢) الشهرستاني «الملل والنحل» ج١ ص ٢٠٩، دار المعرفة بيروت.

افتقاد الوحدة الفكرية عند الزيدية:

لما كان زيد يتتلمذ على واصل بن عطاء المعتزلي الذي يجوز الخطأ على جد زيد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فضلا عن أنه يتكلم في القدر على غير ما ذهب اليه أهل البيت فانه قد جرت مناظرة بين زيد وبين أخيه محمد الباقر، غاضبا عليه أن يأخذ العلم من واصل بن عطاء الذي يشترط الخروج في كون الامام اماما، حتى انه قال لزيد على مذهبك والدك ليس بامام، فانه لم يخرج قط ولا تعرض للخروج.

هذا ومما يلاحظ على تاريخ الزيدية أن موقفهم القائل بجواز قيام الامام المفضول والأفضل قائم يرجع اليه في الأحكام ويحكم بحكمه دفع شيعة الكوفة الى أن يرفضوا زيدا وخاصة بعد أن عرفوا مقالته في الشيخين أبي بكر وعمر وأنه لا يتبرأ منهما، وهكذا انقسمت الزيدية الى عدة مواقف وتيارات وهي لما تزل بعد في مراحل التكوين. قبل أن تصطبغ بأفكار سياسية أو أية معتقدات أخرى.

تأثر الزيدية بالامامة:

يقول الشهرستاني[١]: لما قتل زيد بن علي وصلب قام بالامامة بعده يحيى بن زيد ومضى الى خراسان، واجتمعت عليه جماعة كثيرة، وقد وصل الخبر من الصادق جعفر بن محمد رضي الله عنه بأنه قتل كما قتل أبوه وصلب كما صلب أبوه فجرى عليه الأمر كما أخبر، وقد فوض الأمر بعده الى محمد وابراهيم الامامين وخرجا بالمدينة ومضى ابراهيم الى البصرة واجتمع الناس عليهما فقتلا أيضا وأخبرهما الصادق بجميع ما تم عليهم وعرفهم بأن أباه عليه السلام أخبره بذلك كله وأن بني أمية يتطاولون على الناس حتى لو طاولتهم الجبال لطالوا عليها، وهم يستشعرون بفضل أهل البيت ولا يجوز أن يخرج واحد من أهل البيت حتى يأذن الله تعالى بزوال ملكهم وكان يشير الى أبي جعفر ابن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس أنا لا نخوض في الأمر حتى يتلاعب بها هذا وأولاده، أشارة الى المنصور، فزيد بن علي قتل بكناسة الكوفة، قتله هشام ابن عبد الملك ويحي بن زيد قتل بجوزجان خراسان قتله أميرها، ومحمد الامام قتله بالمدينة عيسى بن ماهان، وابراهيم الامام قتل بالبصرة أمر بقتلهما

(١) الشهرستاني «الملل والنحل» ج١ ص ١١٠ - ٢١١ طبعة دار المعرفة ببيروت عام ١٩٧٥.

المنصور، ولم ينتظر أمر زيد بعد ذلك حتى ظهر بخراسان ناصر الأطروش، فطلب مكانه ليقتل، فاختفى واعتزل الى بلاد الديلم والجبل، دعى الناس الاسلام على مذهب زيد بن علي فدانوا بذلك ونشأوا عليه وبقيت في الزيدية في تلك البلاد، ظاهرين، وكان يخرج واحد بعد واحد من الأئمة ويلي أمرهم وخالفوا بني أعمامهم من الموسوية في مسائل الأصول ومالت أكثر الزيدية بعد ذلك عن القول بامامة المفضول وطعنت في الصحابة، طعن الامامية... ثم أصبحوا فرقا وأصنافا ثلاثة جارودية و سليمانية، وبترية. وتوسعوا في موقفهم ومعتقدهم الزيدي حتى خرج بعضهم على عقيدة امامه مثلما فعل الجارودية أصحاب أبي الجارود الذين زعموا بعد زيد أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على علي بالوصف دون التسمية. والامام بعد النبي كان يجب فيما زعموا أن يكون عليا. لكن الناس قصروا، حيث لم يتعرفوا الوصف ولم يطلبوا الموصوف وانما نصبوا أبا بكر باختيارهم فكفروا بذلك.

وبهذه المقالة فان بعض الفرق التي انبثقت من الزيدية كالجارودية تكون قد خرجت على امامها فى الاعتقاد.

هذا وقد اختلفت الجارودية في التوقف وسوق الامامة فساق بعضهم الامامة من علي الى الحسن ثم الى الحسين ثم الى علي بن الحسين زين العابدين، ثم الى زيد بن علي ثم منه الى الامام محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين. وقالوا بامامته.

وهكذا كما نرى فان الزيدية التي بدأت من أصول غير فارسية وغير يهودية فلم تبدأ مقولتها بالحلول أو بالتجسد وبررت عقيدتها في القول بجواز اتباع الامام المفضول حتى مع وجود الأفضل ولم يكفر زيد أيا من الخليفتين أبي بكر وعمر، سرعان ما رأينا افزازات مذهبية انبثقت من الزيدية، كتلك التي أشرنا اليها عند الشهرستاني الى المنهج الذي بدأ منه القائلون « بالامامية » حتى أنهم أي الجارودية قد كفروا الذين بايعوا أبا بكر اذ أنهم على ضوء دعوى الجارودية لم يتعرفوا الوصف ولم يطلبوا الموصوف وهذا لا شك يحتاج من الأئمة الزيدية إلى إعادة النظر في المقولات التي وفدت على مذهبهم وخاصة بعد قتل الامام زيد حتى لا تصبح الفرقة الزيدية فاقدة لكل منطلقاتها وتغدو في صف القائلين بالامامية الذين انتهى بهم الأمر الى القول

في الأئمة بالحلول والتجسد ووقعوا أسرى الثقافة الشعوبية التي وفدت على الساحة الاسلامية بتأثير اليهود والنصارى وحتى يمكن أن تقترب أهداف وغايات بعض الفرق الاسلامية وبعضها الآخر حتى وان اختلفت الوسائل بحيث لا نرى ذلك التناقض الذي يحيط بكل فرقة تجاه الأخرى على أمل في الله أن ترجع كل هذه الفرق الى ربها وأن تدرك: أن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا ليسوا من الاسلام في شيء مهما كانت الركائز والمنطلقات والغايات المدعاة.

النصيرية

- التعريف بالنصيرية
- الاعتقاد بأن عليا سكن السحاب.
- التخميس والحجاب والباب.
- تناسخ الأرواح.
- تعظيم الخمر وشجرة العنب.
- الخطاب السري بينهم.
- أباحة الزواج من البنات والأخوات والأمهات.
- أعياد النصيرية وقداستهم.
- عيد الفراش وعيد عاشوراء.
- عيد النيروز وعيد المهرجان.
- أهم قداساتهم وأعيادهم الشعبية.
- قداس الطيب وقداس البخور.
- طوائف النصيرية.
- فتوى شيخ الاسلام ابن تيمية.
- انقسام العقيدة النصيرية.
- الحكم على معتقدات النصيرية.

فرقة النصيرية:

يعرف النصيرية الشيخ نصر الدين محمد بن ابراهيم بن ساعد الأنصارى الأفغاني السنجاري المتوفي ٧٩٤ هـ. في كتابه (ارشاد القاصد الى أسنى المقاصد) بأنهم أتباع نصير غلام على بن أبي طالب الذين ألّهوا عليا بن أبي طالب عليه السلام وعلى هذا: فالنصيرية طائفة من غلاة الشيعة واستدلوا على ما ذهبوا اليه بما يرويه عنهم الشهر ستاني من قولهم: ظهور الروحاني بالجسد الجسماني أمر لا ينكره عاقل: أما في جانب الخير، فكظهور جبريل عليه السلام ببعض الأشخاص والتصور بصورة اعرابي والتمثل بصورة البشر، وأما في جانب الشر فكظهور الشيطان بصورة الانسان حتى يعمل الشر بصورته وظهور الجن بصورة بشر حتى يتكلم بلسانه، فلذلك نقول: زعم النصيرية، أن الله تعالى ظهر بصورة أشخاص ولما لم يكن بعد رسول الله ﷺ شخص أفضل من على عليه السلام وبعده أولاده المخصوصون هم خير البرية فظهر الحق بصورتهم ونطق بلسانهم فأخذ بيدهم فعن هذا أطلقنا اسم: الالهية عليهم.

هذا ويعلل النصيرية ما ذهبوا اليه بقولهم أثبتنا هذا الاختصاص لعلي دون غيره لأنه كان مخصوصا بتأييد من عند الله تعالى فيما يتعلق بباطن

الأسرار. قال النبي ﷺ «أنا أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر» وعن هذا شبهه بعيسى بن مريم وقال: (أي النبي) - فيما زعموا - (لولا أن يقول الناس فيك ما قالوا في عيسى بن مريم لقلت فيك قولا:).

وربما أثبتوا له شركة في الرسالة (أي الرسالة الالهية) أو النبوة اذ قال (أي النبي) - فيما زعموا - «فيكم من يقاتل على تأويله كما قاتلت على تنزيله الا وهو خاصف النعل» فعلم التأويل وقتال المنافقين ومكالمة الحية وقلع باب خيبر لا بقوة جسدية من أهم الأدلة - عندهم - على أن فيه (أي في على) جزءا إلهيا وقوة ربانية أو يكون هو الذي ظهر الاله بصورته وخلق بيده وأمر بلسانه وعلى ضوء هذه العقيدة الوثنية، قالوا: كان موجودا قبل خلق السموات والأرض قال - أي على - (كنا ظلالا على يمين العرش فسبحنا فسبحت الملائكة بتسبيحنا) فتلك الظلال وتلك الصورة المعربة عن الاظلال هي خفية وهي مشرقة بنور الرب تعالى اشراقا لا ينفصل عنها، سواء كانت في هذا العالم أو في ذلك العالم، وعن هذا قال (أي على) - في زعمهم - (أنا من أحمد كالضوء من الضوء) يعني لا فرق بين النورين الا أن أحدهما أسبق والثاني لحق به.

ويتضح من هذا النص أن النصيرية من غلاة الشيعة الذين ألهوا عليا حيث زعموا أن الروح الالهية ظهرت فيه كما ظهر جبريل بصورة بشر وهو روحاني في جانب الخير وظهر الشيطان بصورة انسان وهو روحاني كذلك في جانب الشر فلا بأس أن يظهر الله بصورة على.

وهذا قياس باطل فان الله هو الذي خلق جبريل وخلق الشيطان كما خلق الكائنات كلها وجعل لكل كائن من خلقه خصائص فظهور جبريل بصورة انسان من خصائص طبيعة الملك وكذلك ظهور الشيطان، فأين هذا من الله الخالق الذي تفرد بوحدانيته في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)[1].

---

(١) ١١: الشورى.

ولولا ما صح من الأخبار عن جبريل ما صدقنا ذلك لأن مثل هذا من أمور الغيب التي يجب التوقف فيها عند ما جاء في الاخبار الصحيحةولا يقاس عليها غيرها من الخلائق فكيف بالله الذي خلق السموات والأرض ومن فيهن؟ تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا وشتان بين تمثل مخلوق بمخلوق وما يدعيه النصيرية من تمثل الخالق بمخلوق[1].

واذا كان الله تعالى في زعمهم ظهر بصورة أشخاص وقد قالوا في دعواهم: «ولما لم يكن بعد رسول الله ﷺ شخص أفضل من على - عليه السلام - وبعده أولاده المخصصون هم خير البرية فظهر الحق بصورتهم ونطق بلسانهم وأخذ بأيديهم فعن هذا أطلقنا اسم الالهية عليهم» وهذا يعني أن رسول الله ﷺ أفضل من على وأولاده فلماذا لم يظهر الله تعالى في صورة من هو أفضل وهو محمد ﷺ؟ وهذا ما لم يقل به أحد سوى ما ذكر عنهم في بعض النصوص.

وحين أدرك النصيرية أن هذا الزعم لا يقبله عقل أرادوا تفضيل عليٍّ على رسول الله ﷺ باللجوء الى فكرتهم الباطنية فادعوا أن الله خص عليا بذلك لأنه خصه بتأييد من عنده تعالى فيما يتصل بباطن الأسرار ويتعلق بها، أما الرسول فلم يكن له سوى حكم بالظاهر والله يتولى السرائر» وبنوا على ذلك ما يعتبرونه حجة لهم وهو أن الرسول ﷺ قاتل المشركين وكفرهم ظاهر أما عليٌّ رضي الله عنه فقاتل المنافقين وكفرهم باطن.

ان عبارة «أنا أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر» ليست حديثا ولكنها كلمة حق وصح في معناها ما روى أن رسول الله ﷺ سمع خصومة بباب حجرته فخرج اليهم فقال: «انما أنا بشر وانه يأتيني الخصم فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فاحسب انه صدق فاقضي له بذلك فمن قضيت له بحق أخيه فانما هي قطعة من النار فليأخذها أو ليتركها[2].

---

(١) البحث العلمي الذي لدى (الندوة العالمية للشباب الاسلامي) بالرياض الذي أتيح لنا الاطلاع عليه، وهو العمدة فيها نرجع اليه في بعض المعلومات المعاصرة عن النصيرية. وقد تناولناه ببعض التصرف.

(٢) رواه مسلم وغيره.

والله هو الذي يتولى السرائر حقا لانه هو الذي تفرد بعلمها (يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور)[1] (ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم إينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم)[2] (والله يعلم ما تسرون وما تعلنون)[3] وأدرك أحد الصحابة في بعث من البعوث رجلا - فقال: (لا إله إلا الله) فطعنه فوقع في نفسه من ذلك شيء فذكره للنبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «أقال: (لا اله الا الله) وقتلته؟ فقال: قلت: يا رسول الله انما قالها خوفا من السلاح قال: أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا»[4].

فالعلم بالسرائر عند الله ولم يعطه الله لأفضل خلقه محمد ﷺ فلا يعطيه لأحد آخر واذا كان على بن أبى طالب رضي الله عنه - في زعمهم - هو الذي يتولى السرائر فمن ذا الذي كان يتولى السرائر قبله؟.

وانما هدف النصيرية من هذا الزعم الفاسد الى شيء آخر وهو اتهام من خالف عليا بالنفاق والا فان كثيرا ممن خالفه رضي الله عنه لم تكن تعوزهم النية الطيبة وسلامة المقصد والاخلاص لله رب العالمين ان لم يكن بنفس سلامة مقصد على، فلم يكونوا أبدا منافقين.

ثم استدلوا بكلام مكذوب على أن النبي ﷺ أراد أن يقول في على رضي الله عنه مقالا: لولا أنه خشى أن يقول الناس فيه مما قالوه في عيسى بن مريم - وهذه العبارة التي أوردوها أرادوا أن يتخلصوا بها من تهمة الكفر - حيث ادعى النصارى في عيسى ما ادعاه النصيرية في على فقال الله تعالى فيهم: (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا ولله

---

(١) ١٩: غافر.
(٢) ٧: المجادلة.
(٣) ١٩: النحل
(٤) رواهه مسلم وغيره.

ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير)[1].

واسترسل القوم في الدعاوى الكاذبة وأدلتها التي يدافعون بها عن باطلهم في علم التأويل وعلم التنزيل وانتهوا الى التجسيم فقالوا: «أو يكون هو الذي ظهر الاله بصورته وخلق بيده وأمر بلسانه».

وزعموا ان عليا كان موجودا قبل خلق السموات والأرض ولجأوا الى اشراك على في الرسالة مع الرسول ﷺ وقالوا: «ان عليا من رسول الله كالضوء من الضوء ولا فرق بين النورين الا أن أحدهما أسبق والثاني لا حق به».

وهذا تناقض منهم فهم تارة يجعلون عليا الها وتارة أخرى يجعلونه شريكا لمحمد ﷺ في الرسالة ثم ذهبوا الى ما ذهب اليه بعض الغلاة من الشيعة الذين حكى الرازي مقالتهم فقال[2].. انهم قوم يزعمون أن الباري خلق روح على وأولاده وفوض العالم اليهم فخلقوا هم الأرض والسموات قالوا: ومن هنا قلنا في الركوع: سبحان ربي العظيم وفي السجود: سبحان ربي الأعلى لان الاله الأعلى على وأولاده وأما الاله الأعظم فهو الذي فوض اليهم العالم».

٢ - الاعتقاد بأن عليا رضي الله عنه يسكن السحاب:

يزعم النصيرية ما يزعمه نفر من الغلاة «ان مسكن على السحاب واذا مر بهم السحاب قالوا: السلام عليك يا أبا الحسن ويقولون ان الرعد صوته والبرق سوطه وهم من أجل ذلك يعظمون السحاب. وكأنهم حين قتل عليّ رضي الله عنه وادعوا أنه لم يقتل جعلوا له مسكنا لا يراه أحد ولا يستطيع الناس الوصول اليه للتفتيش عنه فقالوا: انه في السحاب وأي سحاب هذا الذي يذهب ويتكثف وينقشع ويوجد في وقت واحد بأماكن عدة تمتد في سماء

---

(١) ١٧: المائدة

(٢) انظر: (الصلة بين التصوف والتشيع) لكامل مصطفى الشبيبي نقلا عن (اعتقادات فرق المسلمين والمشركين) للرازي ص ١٤٥ ط دار المعارف بمصر.

المعمورة كلها[1].

٣ - التخميس:

يرى النصيرية في عقيدة حلول الاله ان الاله لم يحل في على وحده ولكنه حل في خمسة أشخاص هم النبي صلى الله عليه وسلم وعلى وفاطمة والحسن والحسين فادعوا أن روح الاله حلت فيهم وان هؤلاء الأشخاص الخمسة آلهة.

٤ - الحجاب والباب:

قالوا: على هو الرب ومحمد هو الحجاب وسلمان هو الباب وذلك على الترتيب وقد ورد هذا في نص السؤال الذي أجاب عنه شيخ الاسلام ابن تيمية وكلمة السر عندهم ثلاثة أحرف وهي: ع (= على) م (= محمد) س (= سلمان)[2] فسلمان الفارسي هو الباب الذي يفضي الى العلم والحكمة واسرار الباطن وباطن الاسرار.

وخصوا سلمان الفارسي بهذا لما روي من أخبار في سيرته[3] من أنه توفي في سنة ٣٦ هـ. وقد عمر قبل الاسلام فعاش ٢٥٠ سنة أو ٣٥٠ حتى ذكروا أنه أدرك بعض أصحاب عيسى بن مريم وادعوا أنه كان مطلعا على العلوم السرية وغيبياتها وطبيعة النبوة فهو الواسطة بين النصرانية والاسلام واستندوا كذلك على حديث «سلمان منا أهل البيت»[4].

٥ - حبهم لابن ملجم:

يحبون ابن ملجم قاتل على رضي الله عنه ويقولون: انه خلص اللاهوت من الناسوت ويخطئون من يلعنه[5].

---

(١) صبح الأعشى للقلقشندي ص ٢٥٠ ج ١٣ ط الأميرية بمصر.

(٢) مذاهب الاسلاميين ٢٤٢ ج ٢.

(٣) انظر الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ص ٦٠ ج ٢ وحليفة الاولياء لابي نعيم ص ١٥٨ ج ١.

(٤) رواه الطبراني والحاكم.

(٥) صبح الأعشى ص ٢٥٠ ج ١٣.

٦ - تناسخ الأرواح:

ويعتقدون بتناسخ الأرواح فالمؤمن يتحول عندهم سبع مرات قبل أن يأخذ مكانه بين النجوم فان الانسان اذا مات شريرا ولد من جديد نصرانيا أو مسلما حتى يتطهر أو يكفر عن سيئاته أما الذين لا يعبدون عليا فيولدون من جديد على شكل كلاب أو ابل أو بغال أو حمير أو أغنام .

٧ - تعظيم الخمر وشجرة العنب:

يعظم النصيريون الخمر ويرون أنها من النور ولزمهم من ذلك أن عظموا شجرة العنب التي هي أصل الخمر فشجرة العنب مقدسة عندهم لا يجوز اقتلاعها لان من ثمرها تصنع الخمر وهم يعظمون الخمر[١].

٨ - الخطاب السري بينهم:

يرى النصيرية ان خطاب الديانة والدعوة والبلاغ عنهم سر مصون لا يجوز لأحد أن يذيعه ولو أدى ذلك الى قتله ويحلفون على كتمانه فلا يعرفه الا من كان من أهل دينه وعقيدته فيجب اخفاء مقالتهم يقول القلقشندي[٢] «ولهم خطاب بينهم من خاطبوه به لا يعود يرجع عنهم ولا يذيعه ولو ضرب عنقه قال: وقد جرب هذا كثيرا وهم ينكرون انكاره ويخفون مقالتهم ومن اذاعها فقد أخطأ عندهم ويرون انهم على الحق وان مقالتهم مقالة أهل التحقيق ومن أنكر عندهم ذلك فقد أخطأ.. وايمانهم في الحلف على معتقدهم: انني وحق العلى الأعلى وما اعتقده في المظهر الأسني وحق النور وما نشأ منه والسحاب وساكنه والا برئت من مولاي على العلي العظيم وولائي له ومظاهر الحق وكشفت حجاب سلمان بغير اذن وبرئت من دعوة الحجة «ابن نصير» وخضت مع الخائضين في لعنة ابن ملجم وكفرت بالخطاب واذعت السر المصون وانكرت دعوى أهل التحقيق وقلعت أصل شجرة العنب من الأرض بيدي حتى أجتث أصولها وامنع سبيلها وكنت مع قابيل

---

(١) صبح الأعشى ص ٢٥٠ ج ١٣.

(٢) المصدر السابق ٢٥٠ ج ١٣.

على هابيل ومع النمرود على ابراهيم وهكذا مع كل فرعون قام على صاحبه الى أن ألقى العلى العظيم وهو على ساخط وأبرأ من قول « قنبر » وأقول: انه بالنار ما تطهر »[١].

وقوله: أبرأ من قول: « قنبر » يشير الى ما نسب إلى علي بن أبي طالب في قوله: الذي تداوله الغلاة من الشيعة:

لما رأيت الأمر أمرا منكرا أججت ناري ودعوت قنبرا

و « قنبر » - كما حكى - مولى من موالى علي بن أبي طالب ومن أحفاده نعيم بن سالم بن قنبر الذي روى عن أنس[٢].

وقنبر هذا لم أجد له ترجمة تعرف به أو حتى تخبر عنه بين كتب التاريخ أو موسوعات التراجم، وكان يجب لو صح وجوده أن يشار اليه في كتب التاريخ بتوسع لكن الواقع غير ذلك تماما.

٩ - اباحة الزواج من البنات والأخوات والأمهات:

نقل القلشندي عن النصيرية أنهم لا يحرمون البنات ولا الأخوات ولا الأمهات فقال:[٣] « وهي طائفة ملعونة مرذولة مجوسية المعتقد لا تحرم البنات ولا الأخوات ولا الأمهات قال: ويحكى عنهم في هذا حكايات ».

١٠ - الاسم والمعنى:

يعتقد النصيرية في حياة الأنبياء أن النبي « اسم » لا بد له من « معنى » يترجم عنه والمعنى: هو الذي يمتلك القدرة على التنفيذ فهو القادر المقتدر فالاسم عندهم أول الناس: آدم، والمعنى: شيث. هو يعقوب والمعنى: يوسف فيعقوب لم يجاوز منزلته فقال: (سوف أستغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم)[٤].

---

(١) أصبح الأعشى ص ٢٥١ ج ١٣.

(٢) مذاهب الاسلاميين ٢٤٤ ج ٢.

(٣) صبح الأعشى ص ٢٥٠ ج ١٣.

(٤) ٩٨: يوسف.

أما يوسف فقال: (لا تثريب عليكم اليوم)[1]. فلم يعلق الأمر على أحد لانه هو الاله الذي يملك التصرف وهكذا كان لكل نبي معنى ومحمد: ﷺ هو الإسم وعلى: هو المعنى وكذلك الأئمة من بعده[2].

١١ - الأيتام:

يقول النصيرية بالأيتام الخمسة الذين يخلقون العالم واليهم توجه الصلوات الخمس اليومية وهؤلاء الأيتام عند النصيرية هم: المقداد بن الأسود وأبو ذر الغفاري وعبد الله ابن رماحة الأنصاري وعثمان بن مظعون وقنبر بن كدان الدويس[3].

ولا يذكر النصيرية من هؤلاء ما جعلهم أهلا لهذا الاختصاص المزعوم سوى اضطهادهم وتحملهم الأذى في بداية اسلامهم وما كانوا عليه من زهد وتقشف في حياتهم وخروجهم على عثمان وموالاتهم لعلي وآل البيت.

ومنهم من لم يقاتل مع علي لأنه توفي في خلافة عثمان مثل المقداد بن الأسود ولكنهم يذكرون أن المقداد أوذى أيام عثمان لمعارضته لسياسته وهو مولى الأسود بن عبد يغوث وقد كان تبناه في الجاهلية فلما نزلت آية (ادعوهم لآبائهم) عاد في نسبه القديم المقداد بن عمرو[4].

وقد أورد الدكتور عبد الرحمن بدوى[6] خلاصة لتعاليم النصيرية ستخلصها من كتيب صغير لهم بعنوان «كتاب تعليم ديانة النصيرية» ومنه مخطوط في المكتبة الأهلية بباريس وهو على طريقة السؤال والجواب ويتألف من ١٠١ سؤال.

ونحن نورد هنا خلاصة لبعض الأسئلة والاجابة عنها على ضوء ما جاءت عند الدكتور عبد الرحمن بدوي:

---

(١) ٩٢: يوسف.

(٢) انظر فتوى شيخ الاسلام ابن تيمية وسيأتي نصها.

(٣) مذاهب الاسلاميين ص ٤٨٨ ج ٢.

(٤) ٥: الأحزاب.

(٥) الصلة بين التصوف والتشيع ص ٥١.

(٦) مذاهب الاسلاميين ص ٤٧٤ ج ٢.

١ - من الذي خلقنا؟

جـ - علي بن أبي طالب أمير المؤمنين.

٢ - من أين نعلم ان علياً إله؟

جـ - مما قاله هو عن نفسه في خطبة البيان وهو واقف على المنبر اذ قال: «أنا سر الأسرار، أنا شجرة الأنوار. أنا دليل السموات، أنا سائق الدعوة، أنا شاهد العهد، أنا زاجر الغيوم. أنا محرك العواصف، أنا مزن السحائب، أنا حجة الحجج. أنا جوهر القدم. أنا الأول والآخر، أنا الباطن والظاهر، أنا نور الأئمة البررة.

٣ - من الذي دعا الى معرفة ربنا؟.

جـ - محمد كما قال هو في خطبة حنمه بقوله: انه - أي على - «ربي وربكم».

٤ - اذا كان هو (أي على) الرب فكيف تجانس مع المتجانسين؟ (أي اتخذ صورة انسانية).

جـ - انه لم يتجانس بل احتجب في محمد في دور تحوله واتخذ اسم علي.

٥ - كم مرة تحول ربنا ليتجلى في صورة انسانية؟

جـ - سبع مرات فقد احتجب:

أ - في شخص آدم باسم هابيل.

ب - وفي شخص نوح باسم شيث.

جـ - وفي شخص يعقوب باسم يوسف.

د - وفي شخص موسى باسم يوشع.

هـ - وفي شخص سليمان باسم آصف.

و - وفي شخص عيسى باسم باطره

ز - وفي شخص محمد باسم علي.

٦ - كيف احتجب هكذا ثم ظهر؟

جـ - هذا سر تحوله الذي لا يعلمه الا الله كما قال هو.

٧ - هل سيظهر مرة أخرى؟

جـ - نعم كما هو بدون تحول في مجده وجلاله.

٨ - ما الظهور الالهي؟

جـ - هو ظهور الباري بواسطة الاحتجاب بالانسانية وألطف غلاف في جوف غلاف.

٩ - وضح هذا أكثر.

جـ - لما دخل « المعنى » في « الباب » احتجب « بالاسم » واتخذه لنفسه كما قال مولانا جعفر الصادق.

١٠ - لكن ما « المعنى » وما « الاسم » وما « الباب »؟

جـ - هؤلاء الثلاثة لا ينفصلون كما في قولنا باسم الله الرحمن الرحيم فالله هو « المعنى » والرحمن هو « الاسم » والرحيم هو « الباب » وهكذا.

١١ - ما القرآن:

جـ - هو البشرى بظهور مولانا في صورة بشرية.

١٢ - من الذي علم محمدا القرآن؟

جـ - مولانا الذي هو « المعنى » على لسان جبريل.

١٣ - هل يحق للمؤمن أن يبوح لانسان آخر بسر الأسرار؟

جـ - لا يبوح به الا لاخوانه في الدين والآباء بسخط الله.

١٤ - ما هو القداس الأول؟

جـ - هو الذي يقام قبل دعاء النوروز.

١٥ - وما دعاء النوروز؟

جـ - تقديس الخمر في الكأس.

١٦ - من من شيوخنا نشر الدعوة في كل البلاد؟.

جـ - أبو عبد الله الحسين بن حمدان.

١٧ - لماذا نسمي نحن باسم «الخصيبية»؟

جـ - لأننا نتبع تعاليم شيخنا أبي عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي.

أعيادهم وقداساتهم.

للنصيرية أعياد وقداسات منها ما هو خاص بهم ومنها ما ليس خاصا بهم.

أولا - أهم أعيادهم

١ - عيد الغدير:

ويحتفلون به في ١٨ من ذي الحجة وهو عيد عند الشيعة عامة وسبب اتخاذهم هذا اليوم عيدا ما ذكروه من مؤاخاة النبي صلى الله عليه وسلم لعلي يوم غدير «خم» وهو غدير على ثلاثة أميال من الجحفة حول شجر كثير وهي الغيضة التي تسمى «خما» وذلك في أثناء رجوعه من حجة الوداع حيث نزل بالغدير وآخى بين الصحابة ولم يؤاخ بين علي وأحد منهم فرأى النبي ﷺ منه انكسارا فضمه اليه وقال: «اما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لانبي بعدي» والتفت الى أصحابه وقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» وكان ذلك في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة سنة عشر من الهجرة.

وقد ذكر المحققون من رجال الحديث ان عبارة «اللهم وال من ولاه وعاد من عاداه» (كذب) ودعاء النبي ﷺ مستجاب وهذا الدعاء ليس بمجاب فقد قاتل عليا من كان من السابقين ممن بايع تحت الشجرة الذين صح أن رسول الله ﷺ قال فيهم «لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة» فعلم ان هذا الدعاء ليس من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم[1]..

وأحاديث المؤاخاة لعلي كلها موضوعة والنبي ﷺ لم يؤاخ أحدا ولا آخى بين مهاجري ومهاجري والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار كانت في السنة الأولى من

---

(١) منهاج السنة ص ١٦ ج٤

الهجرة أما قوله ﷺ: « اما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لانبي بعدي » فقد قاله في غزوة تبوك ولم يتكرر منه[1].

٢ - عيد الفراش:

ويحتفلون به في ذكرى مبيت على رضي الله عنه في فراش النبي ﷺ حين تآمرت قريش على قتل رسول الله وأزمعوا على أن يجمعوا من كل قبيلة فتى جلدا يضربونه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه بين القبائل فلا يقدر بنو عبد مناف على حربهم جميعا فأمر رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب أن ينام على فراشه ويتسجى ببرده ثم خرج عليهم رسول الله ﷺ فطمس الله على أبصارهم فلما أصبحوا خرج اليهم على فعلموا أن النبي ﷺ قد نجا.

٣ - عيد عاشوراء:

ويحتفلون به في العاشر من شهر محرم شأنهم في هذا شأن سائر الشيعة وهو ذكرى مصرع الحسين بن علي بن أبي طالب في كربلاء لكن النصيرية يعتقدون أن الحسين لم يمت بل اختفى مثل عيسى بن مريم.

٤ - عيد النيروز:

أي اليوم الجديد بالفارسية ويحتفل به طول الربيع وهو عيد فارسي الأصل قيل: أنه اليوم الذي خلق فيه النور وبعضهم يزعم أنه أول الزمان الذي ابتدأ الفلك فيه بالدوران والنصيرية يحتفلون به[2].

٥ - عيد المهرجان:

ويحتفل به في أول الخريف وهو عيد فارسي كذلك وبينه وبين النوروز ١٦٧ يوما وهذا يعني أنه في وسط زمان الخريف.

---

(١) المصدر السابق ص ٩٦، ٩٧ ج ٤

(٢) صبح الأعشى ص ٤٠٩ ج ٢

٦ - عيد الميلاد:

في الليلة الرابعة والعشرين من كانون أول وهي آخر السنة الرومية لان عيسى عليه السلام ظهرت ولادته في هذه الليلة من السيدة العذراء مريم بنت عمران.

٧ - أعياد شعبية:

وهي أعياد مسيحية الأصل مثل عيد القيامة أو الفصح، عيد الغطاس، عيد السعف، عيد العنصرة.... الخ.

وأعياد النصارى التي يحتفل بها النصيرية لا تدل على نسبتهم الى النصرانية فان مثل هذا ينتقل اليهم بالتجاوز أو التأثر ببعض المعتقدات ولا يستدل به على أن أصلهم نصارى.

وقد ألف أبو سعيد ميوت بن القاسم الطبراني كتابا عن أعياد النصيرية وهو المعروف بكتاب مجموع الأعياد للطبراني ومن عناوين هذا الكتاب:

١ - أخبار يوم الغدير وشرفه.

٢ - القصيدة الغديرية لسيدنا أبو عبد الله الخصيبي.

٣ - خطبة يوم الغدير التي خطبها مولانا أمير المؤمنين.

٤ - ذكر عيد المباهلة.

٥ - ذكر عيد الفراش.

٦ - ذكر عيد يوم عاشوراء.

٧ - ذكر ليلة نصف شعبان وهي آخر السنة الخصيبة.

٨ - دعاء ليلة نصف شعبان.

٩ - ذكر ليلة الميلاد.

١٠ - ذكر يوم النوروز وهو رابع نيسان وأول السنة الفارسية وعيد الميلاد عيد نصراني وعيد النيروز عيد ايراني:

ثانيا: أهم قداساتهم:

يقيم النصيرية ما يسمونه قداسات وقد أورد الدكتور عبد الرحمن بدوي نصوص ثلاثة قداسات[1] ونحن نوردها بنصها:

- ١ -

بسم الله الرحمن الرحيم

قداس الطيب لكل أخ حبيب

أيها المؤمنون اسمعوا وأطيعوا وانظروا الى مقامي هو الذي فيه (نحن) مجتمعون انزعوا الغل والحسد والحقد من قلوبكم يكمل لكم دينكم ويستجب الله لدعائكم واعلموا ان الله حاضر موجود بينكم يسمع ويرى (إنه عليم بذات الصدور)[2] اياكم يا مؤمنون من الضحك والقهقهة في أوقات الصلاة مع الجهال فمنها تحبط الأعمال وتتغير الأحوال لأنها من طريق ابليس اللعين - لعنه الله تعالى.

اسمعوا ما يقول لكم الامام لأنه قائم فيكم في طاعة العلى العلام.

ان هذا قداس الطيب بعد عقد النية على الصلاة الحقيقية التي خص بها السيد المسيح إلى حين إعطاء كل نفس هواها قال في القداس المبارك: سبحان من جعل من الماء كل شيء حي سبحان من يحيى الميت في صرصر[3] بقدرته العلى الكبير الله أكبر أسألك اللهم مولاي بحق هذا قداس الطيب بحق السيد محمد الحبيب الذي اخضر في يده القصب أن تحل في دياركم البركة يا أصحاب هذا الفضل وهذا الطيب وتقدس أرواح اخواننا المؤمنين البعيد منهم والقريب يا مولاي يا أمير النحل يا علي يا عظيم.

---

(١) مذاهب الاسلاميين ص ٤٩٠ ج ٢

(٢) ٤٣ - اتلأنفال. ٥ - هود. ٣٨: فاطر. ٧: الزمر. ٢٤: الشورى. ١٣: الملك.

(٣) الصرصر: شدة الصوت. والصرصرة حشرة تشبه الجراد تكثر بالمراحيض.

بسم الله الرحمن الرحيم

قداس البخور، في روح بدور، في محل الفرح والسرور

قال: كان سيدنا محمد بن سنان الزهري يقوم بالصلاة مرة ومرتين في يده يا قوته حمراء وقيل مرجانة صفراء يتبخر بها في عيد النور ويقول: يا أيها المؤمنون بخروا أقداحكم، انجزوا أعمالكم، تنا لوا بها الآمال، ويقول: الحمد لله الذي جعل نوره تاما وفضله عاما علينا وعلى سائر اخواننا براح وريحان وجنة الله والنعيم أسألك اللهم مولاي بحق هذا قداس البخور وبحق البراء بن معروف[1] وبحق أبي الحسن المدني وتلميذه أبي الطاهر سابور تحل في دياركم البركة يا أصحاب هذا الفضل وهذا البخور، يا أمير النحل يا علي يا عظيم.

- ٢ -

بسم الله الرحمن الرحيم

قداس الآذان، وبالله المستعان

وهو:

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر كبيرا، والحمد لله كثيرا، وجهت وجهي الى محمد المحمود طالبا سره المقصود المتقرب بتجلى الصفات وعين الذات وفاطر الفطر ذو الجلال والحسن ذو الكمال اتبعوا ملة أبيكم ابراهيم الخليل هو الذي سماكم مسلمين حنيفا مسلما وما أنا من المشركين[2].

---

(١) هكذا في الأصل والمعروف من الصحابة هو البراء بن معرور وبذا يتضح التحريف.

(٢) مزج هنا بين عدة آيات: (فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا ٩٥ آل عمران) و(ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين ٧٨ الحج). و (ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ٦٧ آل عمران).

ديني سلسل طاعة الى القديم الازل أقركما أقر السيد سلمان حين أذن المؤذن في أذنه وهو يقول: « شهدت أن لا اله الا هو العلي المعبود ولا حجاب الا السيد محمد المحمود ولا باب الا السيد سلمان الفارسي ولا ملائكة الا الملائكة الخمسة الايتام الكرام ولا رب الا ربي شيخنا وسيدنا الحسين بن حمدان الخصيبي سفينة النجاة وعين الحياة حي على الصلاة حي على الفلاح تفلحوا يا مؤمنون حي على خير العمل الله أكبر، الله أكبر، قد قامت الصلاة على أربابها وثبتت الحجة على أصحابها الله مولاي يا علي أسألك أن تقيمها وتديعها ما دامت السموات والأرض وتجعل محمدا خاتمها والسيد سلمان زكاتها والمقداد يمينها وأبا ذر شمالها.

نحمد الله بحمد الحامدين ونشكر الله بشكر الشاكرين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين أسألك اللهم مولاي بحق هذا قداس الأذان وبحق متى وسمعان والتواريخ والأعوام بحق يوسف بن ما كان بحق الأحد عشر كوكبا الذين رآهم يوسف بالمنام تحل في دياركم البركة بالتمام يا مولاي يا علي يا عظيم.

وهذه القداسات تنضح بالشرك الصريح في أسلوب ركيك وعبارات قلقة وتصنع بالغ وسجع متكلف تخلط بين ما عليه غلاة الصوفية ومعتقدات النصيرية والقداس الثالث هو الذي يفصح عن كثير من عقائدهم.

طوائف النصيرية

تنقسم النصيرية الى أربع طوائف

(١) - الحيدرية:

نسبة الى « حيدر » لقب علي بن أبي طالب[٢].

(٢) - الشمالية:

وهم يقولون: أن عليا هو السماء ويسكن في الشمس[٣] والشمس هي محمد ويذهبون مدى بعيدا في تأليه محمد ويلقبون أيضا بلقب الشمسية.

---

(١) مذاهب الإسلاميين ٤٩٥ ج ٢

(٢) والحيدر: الأسد.

(٣) - الكلازية أو القمرية:

ويعتقدون أن عليا يقيم في القمر ويرون أن الإنسان إذا شرب الخمر الصافية يقترب من القمر وينتسبون الى الشيخ محمد بن كلازى.

(٤) - الغيبية:

ويقولون: ان الله تجلى ثم اختفى والزمان الحالي هو زمان الغيبة ويقررون ان « الغائب » هو الله الذي هو على وهم يجردون الله عن الصفات مثل الاسماعيلية[١].

وقد اعترف المنصفون من الشيعة بأباطيل غلاتهم وأنكروا عليهم. يقول الصدوق القمى استاذ الشيخ المفيد[٢]:

« « اعتقادنا في الغلاة والمفوضة انهم كفار بالله جل اسمه وانهم شر من اليهود والنصارى والمجوس والقدرية والحرورية من جميع أهل البدع والأهواء المضلة وانهم ما صغرهم الله جل جلاله تصغيرهم لشيء بقوله - تعالى - (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون)[٣].

فتوى شيخ الاسلام ابن تيمية في النصيرية

سئل رحمه الله تعالى:

ما تقول السادة العلماء أئمة الدين - رضي الله عنهم أجمعين ؛ واعانهم على اظهار الحق المبين، واخماد شغب المبطلين في « النصيرية » القائلين باستحلال الخمر وتناسخ الأرواح وقدم العالم وانكار البعث والنشور والجنة والنار في غير الحياة الدنيا وبأن « الصلوات الخمس » عبارة عن خمسة أسماء وهي: علي، وحسن، وحسين، ومحسن،

---

(١) نسبة الى اسماعيل بن جعفر الصادق.

(٢) الصلة بين التصوف والتشيع ص ١٤٦ نقلا عن اعتقادات الصندوق.

(٣) ٧٩، ٨٠ آل عمران.

(٤) مجموع الفتاوى ١٤٥ ج ٣٥.

وفاطمة، فذكر هذه الأسماء الخمسة على رأيهم يجزيهم عن الغسل من الجنابة والوضوء وبقية شروط الصلوات الخمس وواجباتها وبأن « الصيام » عندهم عبارة عن اسم ثلاثين رجلا واسم ثلاثين امرأة يعدونهم في كتبهم ويضيق هذا الوضع عن ابرازهم وبأن الههم الذي خلق السموات والأرض هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه فهو عندهم الاله في السماء والامام في الأرض فكانت الحكمة في ظهور اللاهوت بهذا الناسوت على رأيهم - ان يؤنس خلقه وعبيده وليعلمهم كيف يعرفونه ويعبدونه.

وبأن النصيري عندهم لا يصير نصيريا مؤمنا يجالسونه ويشربون معه الخمر ويطلعونه على أسرارهم ويزوجونه من نسائهم حتى يخاطبه معلمه وحقيقة الخطاب عندهم أن يخلفوه على كتمان دينه ومعرفة مشائخه وأكابر أهل مذهبه وعلى أن لا ينصح مسلما ولا غيره الا من كان من أهل دينه وعلى أن يعرف ربه وأمامه بظهوره في أنواره وأدواره فيعرف انتقال الاسم والمعنى في كل حين وزمان.

فالاسم عندهم في أول الناس آدم والمعنى هو شيث والاسم يعقوب والمعنى هو يوسف ويستدلون على هذه الصورة - كما يزعمون - بما في القرآن العظيم حكاية عن يعقوب ويوسف - عليهما الصلاة والسلام - فيقولون: اما يعقوب فانه كان الاسم فما قدر أن يتعدى منزلته فقال: (سوف أستغفر لكم ربي) وأما يوسف فكان المعنى المطلوب فقال: (لا تثريب عليكم اليوم) فلم يعلق الأمر بغيره لأنه علم أنه الاله المتصرف ويجعلون موسى هو الاسم ويوشع هو المعنى ويقولون: يوشع ردت له الشمس لما أمرها فأطاعت أمره وهل ترد الشمس الا لربها؟ ويجعلون سليمان هو الاسم وآصف هو المعنى القادر المقتدر ويقولون: سليمان عجز عن احضار عرش بلقيس وقدر عليه آصف لأن سليمان كان الصورة وآصف كان المعنى قادر المقتدر وقد قال قائلهم:

هابيـــل شيـــث يوسف يوشع آصـف شمعون الصفا حيـدر

ويعدون الأنبياء والمرسلين واحدا واحدا على هذا النمط الى زمن رسول الله ﷺ فيقولون: محمد هو الاسم وعلى هو المعنى ويوصلون العدد على هذا الترتيب في كل زمان الى وقتنا هذا.

فمن حقيقة الخطاب في الدين عندهم أن عليا هو الرب وأن محمدا هو الحجاب وأن سلمان هو الباب وأنشد بعض أكابر رؤسائهم في شهور سنة سبعمائة فقال:

أشهـــــد أن لا الـــــه الا حيـــدرة الأنزع البطـــين[1]
ولا حجــــاب عليـــه الا محمـــد الصـــادق الأمـــين
ولا طريـــــق اليـــه الا سلمان ذو القوة المتـــــين

ويقولون: ان ذلك على هذا الترتيب لم يزل وكذلك الخمسة الأيتام والاثنا عشر نقيبا وأسماؤهم مشهورة عندهم ومعلومة من كتبهم الخبيثة وانهم لا يزالون يظهرون مع الرب والحجاب والباب في كل كور ودور أبدا سرمدا على الدوام والاستمرار ويقولون ان ابليس الأبالسة هو عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ويليه في رتبة الأبليسية أبو بكر - رضي الله عنه - ثم عثمان - رضي الله عنهم أجمعين وشرفهم وأعلى رتبهم عن أقوال الملحدين وانتحال أنواع الضالين والمفسدين - فلا يزالون موجودين في كل وقت دائما حسبما ذكر من الترتيب ولمذاهبهم الفاسدة شعب وتفاصيل ترجع الى هذه الأصول المذكورة.

وهذه الطائفة الملعونة استولت على جانب كبير من بلاد الشام. وهم معروفون مشهورون متظاهرون بهذا المذهب وقد حقق أحوالهم كل من خالطهم وعرفهم من عقلاء المسلمين وعلمائهم ومن عامة الناس أيضا في هذا الزمان لأن أحوالهم كانت مستورة عن أكثر الناس وقت استيلاء الافرنج المخذولين على البلاد الساحلية فلما جاءت أيام السلام[2] انكشف حالهم وظهر ضلالهم والابتلاء بهم كثير جدا.

فهل يجوز لمسلم أن يزوجهم أو يتزوج منهم؟ وهل يحل أكل ذبائحهم والحالة هذه أم لا؟

وما حكم الجبن المعمول في أنفحة ذبيحتهم؟

وما حكم أوانيهم وملابسهم؟

وهل يجوز دفنهم بين المسلمين أم لا؟

وهل يجوز استخدامهم في ثغور المسلمين وتسليمها اليهم؟

---

(١) في بعض النسخ «على الأنزع البطين» والأنزع الذي لا شعر في جبهته.

(٢) المراد بالافرنج: الصليبيون. فلما جاءت... الخ: أي عادت دولة الاسلام الى هذه البلاد.

أم يجب على ولي الأمر قطعهم واستخدام غيرهم من رجال المسلمين الكفاة وهل يأثم إذا آخر طردهم؟ أم يجوز له التمهل مع أن في عزمه ذلك؟ وإذا استخدمهم وأقطعهم أو لم يقطعهم هل يجوز له صرف أموال بيت المال عليهم وإذا صرفها وتأخر لبعضهم بقية من معلومه المسمى فأخره ولي الأمر عنه وصرفه على غيره من المسلمين أو المستحقين أو أرصده لذلك فهل يجوز له فعل هذه الصور؟ أم يجب عليه؟

وهل دماء النصيرية المذكورين مباحة وأموالهم حلال أم لا؟ وإذا جاهدهم ولي الأمر أيده الله تعالى بإخماد باطلهم وقطعهم من حصون المسلمين وحذر أهل الاسلام من مناكحتهم وأكل ذبائحهم والزمهم بالصوم والصلاة ومنعهم من إظهار دينهم الباطل وهم الذين يلونه من الكفار - هل ذلك أفضل وأكثر أجرا من التصدي والترصد لقتال التتار في بلادهم وهم بلاد الصين[1] وديار الافرنج على أهلها؟ أم هذا أفضل من كونه يجاهد النصيرية المذكورين مرابطا؟ ويكون أجر من رابط في الثغور على ساحل البحر خشية قصد الفرنج أكبر أم هذا أكبر أجرا وهل يجب على من عرف المذكورين ومذاهبهم أن يشهر أمرهم ويساعد على إبطال باطلهم وإظهار الاسلام بينهم فلعل الله تعالى أن يهدي بعضهم إلى الاسلام وأن يجعل ذريتهم وأولادهم مسلمين بعد خروجهم من ذلك الكفر العظيم أم يجوز التغافل عنهم والاهمال؟ وما قدر[2] المجتهد على ذلك الكفر العظيم والمرابط له والملازم عليه؟ ولتبسطوا القول في ذلك مثابين مأجورين إن شاء الله تعالى إنه على كل شيء قدير وحسبنا الله ونعم الوكيل.

جواب شيخ الاسلام ابن تيمية بخطه

فأجاب شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية:

الحمد لله رب العالمين هؤلاء القوم المسمون بالنصيرية هم وسائر أصناف القرامطة الباطنية أكفر من اليهود والنصارى بل وأكفر من كثير من المشركين، وضررهم على أمة محمد ﷺ أعظم من ضرر الكفار المحاربين مثل كفار التتار والفرنج وغيرهم فإن

---

(١) في بعض النسخ « بلاد الصين » ولعله الصواب.

هؤلاء يتظاهرون عند جهال المسلمين بالتشيع وموالاة أهل البيت وهم في الحقيقة لا يؤمنون بالله ولا برسوله ولا بكتابه ولا بأمر ولا ينهى ولا ثواب ولا عقاب ولا جنة ولا نار ولا بأحد من المرسلين قبل محمد ﷺ ولا بملة من الملل السالفة بل يأخذون كلام الله ورسوله المعروف عند علماء المسلمين يتأولونه على أمور يفترونها يدعون أنها علم الباطن من جنس ما ذكر من المسائل ومن غير هذا الجنس فانه ليس لهم حد محدود فيما يدعونه من الالحاد في أسماء الله تعالى وآياته وتحريف كلام الله تعالى ورسوله عن مواضعه اذ مقصودهم إنكار الايمان وشرائع الاسلام بكل طريق مع التظاهر بأن لهذه الأمور حقائق يعرفونها من جنس ما ذكر السائل ومن قولهم: ان « الصلوات الخمس » معروفة لسرارهم و « الصيام المفروض » كتمان أسرارهم و « حج البيت العتيق » زيارة شيوخهم وان (يدا أبي لهب) هما أبو بكر وعمر وان (النبأ العظيم) والامام المبين هو علي ابن أبي طالب.

ولهم في معاداة الاسلام وأهله وقائع مشهورة وكتب مصنفة فإذا كانت لهم مكنة سفكوا دماء المسلمين كما قتلوا مرة الحجاج وألقوهم في بئر زمزم وأخذوا مرة الحجر الاسود وبقي عندهم مدة وقتلوا من علماء المسلمين ومشايخهم ما لا يحصى عدده الا الله تعالى وصنفوا كتبا كثيرة مما ذكره السائل وغيره.

وصنف علماء المسلمين كتبا في كشف أسرارهم وهتك أستارهم وبينوا فيها ما هم عليه من الكفر والزندقة والالحاد الذي هم به أكفر من اليهود والنصارى ومن براهمة الهند الذين يعبدون الأصنام وما ذكره السائل في وصفهم قليل من الكثير الذى يعرفه العلماء في وصفهم.

ومن المعلوم عندنا أن السواحل الشامية إنما استولى عليها النصارى من جهتهم وهم دائما مع كل عدو للمسلمين فهم مع النصارى على المسلمين ومن أعظم المصائب عندهم فتح المسلمين للسواحل وانقهار النصارى بل ومن أعظم المصائب عندهم انتصار المسلمين على التتار ومن أعظم أعيادهم أن يستولي النصارى - والعياذ بالله - على ثغور المسلمين فإن ثغور المسلمين ما زالت بأيدي المسلمين حتى جزيرة قبرص يسر الله فتحها عن قريب وفتحها المسلمون في خلافة أمير المؤمنين « عثمان بن عفان » رضي الله عنه فتحها معاوية بن أبي سفيان إلى اثناء المائة الرابعة.

فهؤلاء المحادون لله ورسوله كثروا حينئذ بالسواحل وغيرها فاستولى النصارى على الساحل ثم بسببهم استولوا على القدس الشريف وغيره فان أحوالهم كانت من أعظم الأسباب في ذلك ثم لما أقام الله ملوك المسلمين المجاهدين في سبيل الله تعالى « كنور الدين الشهيد وصلاح الدين » واتباعهما وفتحوا السواحل من النصارى وممن كان بها منهم وفتحوا أيضا أرض مصر فإنهم كانوا مسئولين عليها نحو مائتي سنة[1] واتفقوا هم والنصارى فجاهدهم المسلمون حتى فتحوا البلاد ومن ذلك التاريخ انتشرت دعوة الاسلام بالديار المصرية والشامية.

ثم أن التتار ما دخلوا بلاد الاسلام وقتلوا خليفة بغداد وغيره من ملوك المسلمين إلا بمعاونتهم ومؤازرتهم فان منجم « هولاكو » الذي كان وزيرهم وهو « النصر الطوس » كان وزيرا لهم بألموت وهو الذي أمر بقتل الخليفة وبولاية هؤلاء.

ولهم « ألقاب » معروفة عند المسلمين تارة يسمون « الملاحدة » وتارة يسمون « القرامطة » وتارة يسمون « الباطنية » وتارة يسمون « الاسماعيلية » وتارة يسمون « النصيرية » وتارة يسمون « الخرمية » وتارة يسمون « المحمرة » وهذه الأسماء منها ما يعمهم ومنها ما يخص بعض أصنافهم كما أن الأسلام والايمان يعم المسلمين ولبعضهم اسم يخصه أما لنسب وأما لمذهب وأما لبلد وأما لغير ذلك.

وشرح مقاصدهم يطول وهم كما قال العلماء فيهم: ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض وحقيقة أمرهم انهم لا يؤمنون بنبي من الأنبياء والمرسلين لا بنوح ولا ابراهيم ولا موسى ولا عيسى ولا محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ولا بشيء من كتب الله المنزلة لا التواراة ولا الانجيل ولا القرآن ولا يقرون بأن للعالم خالقا خلقه ولا بأن له دينا أمر به ولا أن له دارا يجزي الناس فيها على أعمالهم غير هذه الدار.

وهم تارة يبنون قولهم على مذاهب الفلاسفة الطبيعيين أو الالهيين وتارة يبنونه على قول المجوس الذين يعبدون النور ويصمون إلى ذلك الرفض.

ويحتجون لذلك من كلام النبوات: اما بقول مكذوب ينقلونه كما ينقلون عن النبي ﷺ أنه قال: « أول ما خلق الله العقل » والحديث موضوع باتفاق أهل العلم

---

(١) يقصد بهم الفاطميين فانهم اسماعيلية باطنية.

بالحديث ولفظه« ان الله لما خلق العقل فقال له: اقبل فأقبل فقال له أدبر »
فيحرفون لفظه فيقولون: «أول ما خلق العقل » ليوفقوا قول المتفلسفة اتباع
«أرسطو في أول الصادرات عن واجب الوجود هو العقل واما بلفظ ثابت عن
النبي ﷺ فيحرفونه عن مواضعه كما يصنع أصحاب رسائل« اخوان الصفا » ونحوهم
فانهم من أئمتهم.

وقد دخل كثير من باطلهم على كثير من المسلمين وراج عليهم حتى صار ذلك في
كتب طوائف من المنتسبين إلى العلم والدين وإن كانوا لا يوافقونهم على أصل كفرهم
فإن هؤلاء لهم في اظهار دعوتهم الملعونة التي يسمونها الدعوة « الهادية » درجا متعددة
ويسمون النهاية « البلاغ الأكبر والناموس الأعظم » ومضمون البلاغ الأكبر جحد
الخالق تعالى والاستهزاء به وبمن يقر به حتى قد يكتب أحدهم اسم الله في أسفل رجله
وفيه أيضا جحد شرائعه ودينه وما جاء به الأنبياء ودعوى أنهم كانوا من جنسهم
طالبين للرئاسة فمنهم من أحسن في طلبها حتى قتل ويجعلون محمدا وموسى من القسم
الأول ويجعلون المسيح من القسم الثاني وفيه من الاستهزاء بالصلاة والزكاة والصوم
والحج ومن تعطيل نكاح ذوات المحارم وسائر الفواحش ما يطول وصفه ولهم اشارات
ومخاطبات يعرف بها بعضهم بعضا وهم اذا كانوا في بلاد المسلمين التي يكثر فيها أهل
الايمان فقد يخفون على من لا يعرفهم واما اذا كثروا فانهم يعرفهم عامة الناس فضلا
عن خاصتهم.

وقد اتفق علماء المسلمين على أن هؤلاء لا تجوز مناكحتهم ولا يجوز أن ينكح
لرجل مولاته منهم ولا يتزوج منهم امرأة ولا تباح ذبائحهم.

وأما الجبن المعمول بأنفحتهم ففيه قولان مشهوران للعلماء كسائر انفحة الميتة
وكأنفحة ذبيحة المجوس وذبيحة الفرنج الذين يقال عنهم: انهم لا يذكرون الذبائح
فمذهب أبي حنيفة وأحمد في احدى الروايتين انه يحل هذا الجبن لأن أنفحة الميتة
طاهرة على هذا القول لأن الأنفحة لا تموت بموت البهيمة وملاقاة الوعاء النجس في
الباطن لا ينجس ومذهب مالك والشافعي وأحمد في الرواية الأخرى ان هذا الجبن
نجس لأن الأنفحة عند هؤلاء نجسة لأن لبن الميتة وأنفحتها عندهم نجس ومن لا تؤكل
ذبيحته فذبيحته كالميتة وكل من أصحاب القولين يحتج بآثار ينقلها عن الصحابة

فأصحاب القول الأول نقلوا انهم أكلوا جبن المجوس وأصحاب القول الثاني نقلوا انهم ما كانوا يظنون انه من جبن النصارى فهذه مسألة اجتهاد للمقلد أن يقلد من يفتي بأحد القولين.

وأما «أوانيهم وملابسهم» فكأواني المجوس وملابس المجوس على ما عرف من مذاهب الأئمة والصحيح في ذلك ان أوانيهم لا تستعمل إلا بعد غسلها فان ذبائحهم ميتة فلا بد أن يصيب أوانيهم المستعملة ما يطبخونه من ذبائحهم فتنجس بذلك فأما الآنية التي لا يغلب على الظن وصول النجاسة اليها فتستعمل من غير غسل كآنية اللبن التي لا يضعون فيها طبيخهم أو يغسلونها قبل وضع اللبن فيها وقد توضأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه من جرة نصرانية فما شك في نجاسته لم يحكم بنجاسته بالشك.

ولا يجوز دفنهم في مقابر المسلمين ولا يصلي على من مات منهم فإن الله سبحانه وتعالى نهى نبيه ﷺ عن الصلاة على المنافقين كعبد الله ابن أبي ونحوه وكانوا يتظاهرون بالصلاة والزكاة والصيام والجهاد مع المسلمين ولا يظهرون مقالة تخالف دين الاسلام لكن يسرون ذلك فقال الله: (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون »[1]. فكيف بهؤلاء الذين هم مع الزندقة والنفاق يظهرون الكفر والإلحاد؟.

وأما استخدام مثل هؤلاء في ثغور المسلمين أو حصونهم أو جندهم فانه من الكبائر وهو بمنزلة من يستخدم الذئاب لرعي الغنم فانهم من أغش الناس للمسلمين ولولاة أمورهم وهم أحرص الناس على فساد المملكة والدولة وهم شر من المخامر الذي يكون في العسكر فإن المخامر قد يكون له غرض اما مع أمير العسكر وأما مع العدو وهؤلاء مع الملة ونبيها ودينها وملوكها وعلمائها وعامتها وخاصتها وهم أحرص الناس على تسليم الحصون على عدو المسلمين وعلى إفساد الجند على ولي الأمر وإخراجهم عن طاعته.

والواجب على ولاة الأمور قطعهم من دواوين المقاتلة فلا يتركون في ثغر ولا في غير ثغر فان ضررهم في الثغر أشد وان يستخدم بدلهم من يحتاج الى استخدامه من

---

(١) ٨٤: التوبة.

الرجال المأمونين على دين الاسلام وعلى النصح لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم بل اذا كان ولي الأمر لا يستخدم من يغشه وإن كان مسلما فكيف بمن يغش المسلمين كلهم؟

ولا يجوز له تأخير هذا الواجب مع القدرة عليه بل أي وقت قدر الاستبدال بهم وجب عليه ذلك.

وأما اذا استخدموا وعملوا العمل المشروط عليهم فلهم أما المسمى وأما اجرة المثل لأنهم عوقدوا على ذلك فإن كان العقد صحيحا وجب المسمى وإن كان فاسدا وجبت أجرة المثل وإن لم يكن استخدامهم من جنس الاجارة اللازمة فهي من جنس الجعالة الجائزة لكن هؤلاء لا يجوز استخدامهم فالعقد عقد فاسد فلا يستحقون إلا قيمة عملهم فان لم يعملوا عملا له قيمة فلا شيء لهم، لكن دماءهم وأموالهم مباحة. إذا أظهروا التوبة ففي قبولها منهم نزاع بين العلماء فمن قبل توبتهم اذا التزموا شريعة الاسلام أقرهم على أموالهم ومن لم يقبلها لم تنقل إلى ورثتهم من جنسهم فان مالهم يكون فيأ لبيت المال لكن هؤلاء إذا أخذوا فانهم يظهرون التوبة لأن أصل مذهبهم التقية وكتمان أمرهم وفيهم من يعرف وفيهم من قد لا يعرف فالطريق في ذلك ان يحتاط في أمرهم فلا يتركوا مجتمعين ولا يمكنوا من حمل السلاح ولا أن يكونوا من المقاتلة ويلزمون شرائع الاسلام: من الصلوات الخمس وقراءة القرآن ويترك بينهم من يعلمهم دين الاسلام ويحال بينهم وبين معلمهم.

فان أبا بكر الصديق رضي الله عنه وسائر الصحابة لما ظهروا على أهل الردة وجاءوا اليه قال لهم الصديق اختاروا اما الحرب المجلية واما السلم المخزية قالوا: يا خليفة رسول الله هذه الحرب المجلية قد عرفناها فما السلم المخزية؟ قال: تدون قتلانا ولا ندى قتلاكم وتشهدون ان قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار ونقسم ما أصبنا من أموالكم وتردون ما أصبتم من أموالنا وتنزع منكم الحلقة والسلاح وتمنعون من ركوب الخيل وتتركون تتبعون أذناب الابل حتى يرى الله خليفة رسوله والمؤمنين أمرا بعد ردتكم فوافقه الصحابة على ذلك الا في تضمين قتلى المسلمين فان عمر رضي الله عنه قال له: هؤلاء قتلوا في سبيل الله فأجورهم على الله يعني هم شهداء فلا دية لهم فاتفقوا على قول عمر في ذلك.

وهذا الذي اتفق الصحابة عليه هو مذهب أئمة العلماء والذين تنازعوا فيه تنازع فيه العلماء.

فمذهب أكثرهم أن من قتله المرتدون المجتمعون المحاربون لا يضمن كما اتفقوا عليه آخرا وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد في أحدى الروايتين.

ومذهب الشافعي وأحمد في الرواية الأخرى هو القول الأول فهذا الذي فعله الصحابة بأولئك المرتدين بعد عودهم إلى الإسلام يفعل بمن أظهر الاسلام والتهمة ظاهرة فيه فيمنع أن يكون من أهل الخيل والسلاح والدرع التي تلبسها المقاتلة ولا يترك في الجند من يكون يهوديا ولا نصرانيا ويلزمون شرائع الإسلام حتى يظهر ما يفعلونه من خير أو شر ومن كان من أئمة ضلالهم وأظهر التوبة أخرج عنهم وسير الى بلاد المسلمين التي ليس لهم فيها ظهور فاما أن يهديه الله تعالى وأما أن يموت على نفاقه من غير مضرة للمسلمين.

ولا ريب أن جهاد هؤلاء وأقامة الحدود عليهم من أعظم الطاعات وأكبر الواجبات وهو أفضل من جهاد من لا يقاتل المسلمين من المشركين وأهل الكتاب فأن جهاد هؤلاء من جنس جهاد المرتدين، والصديق وسائر الصحابة بدأوا بجهاد المرتدين قبل جهاد الكفار من أهل الكتاب فأن جهاد هؤلاء حفظ لما فتح من بلاد المسلمين وأن يدخل فيه من أراد الخروج عنه وجهاد من لم يقاتلنا من المشركين وأهل الكتاب من زيادة أظهار الدين وحفظ رأس المال مقدم على الربح.

وأيضا فضرر هؤلاء على المسلمين أعظم من ضرر أولئك بل ضرر هؤلاء من جنس ضرر من يقاتل المسلمين من المشركين وأهل الكتاب وضررهم في الدين على كثير من الناس أشد من ضرر المحاربين من المشركين وأهل الكتاب.

ويجب على كل مسلم أن يقوم في ذلك بحسب ما يقدر من الواجب فلا يحل لأحد أن يكتم ما يعرفه من أخبارهم بل يفشيها ويظهرها ليعرف المسلمون حقيقة حالهم ولا يحل لأحد أن يعاونهم على بقائهم في الجند والمستخدمين ولا يحل لأحد السكوت عن القيام عليهم بما أمر الله به ورسوله ولا يحل لأحد أن ينهي عن القيام بما أمر الله به ورسوله فان هذا من أعظم أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله تعالى وقد قال الله تعالى لنبيه ﷺ: (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين

واغلظ عليهم)[1] وهؤلاء لا يخرجون عن الكفار والمنافقين.

والمعاون على كف شرهم وهدايتهم بحسب الامكان له من الأجر والثواب ما لا يعلمه الا الله تعالى فان المقصود بالقصد الأول هو هدايتهم كما قال الله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس)[2]. قال أبو هريرة: كنتم خير أمة للناس تأتون بهم في القيود والسلاسل حتى تدخلوهم الاسلام فالمقصود بالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هداية العباد لصالح المعاش والمعاد بحسب الامكان فمن هداه الله سعد في الدنيا والآخرة ومن لم يهتد كف الله ضرره عن غيره.

ومعلوم أن الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو أفضل الاعمال كما قال ﷺ: «رأس الأمر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد فى سبيل الله تعالى»[3] وفي الصحيح عنه ﷺ انه قال: «ان في الجنة لمائة درجة ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين السماء إلى الأرض أعدها الله عز وجل للمجاهدين في سبيله» وقال ﷺ: «رباط يوم وليله في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه»[4] ومن مات مرابطا مات مجاهدا وجرى عليه عمله وأجرى عليه رزقه من الجنة وأمن الفتنة والجهاد أفضل من الحج والعمرة كما قال تعالى: (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستون عند الله والله لايهدي القوم الظالمين الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم) والحمد لله رب العالمين وصلاته وسلامه على خير خلقه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



هذا وقد أورد المستشرق الفرنسي (ماسينيون) في عام ١٩٣٧م مجملا عن كتب

---

(١) ٩: التحريم.

(٢) ١١٠: آل عمران.

(٣) رواه الترمذي.

(٤) متفق عليه.

النصيرية لخصه الدكتور عبد الرحمن بدوي في موسوعته « مذاهب الاسلاميين » ويمكن الرجوع اليها ومنها[1]: -

- المفضل الجعفي (المتوفي حوالى سنة ١٨٠هـ) معتمد بوصفه راويا للكتب التالية المنسوبة الى الامام جعفر الصادق والمتوفي سنة ١٤٨هـ. ويلقب (بالعالم): -
- كتاب السراط للعالم، مخطوط باريس رقم ١٤٤٩ عربي ورقة ٢٨٦ - ٢١٨٢ وهو رقم ٥ عند ديسو.
- كتاب الأساس للعالم مخطوط باريس رقم ١٤٤٩ عربي ورقة ٣١ - ٧٩.
- كتاب الأشياء والأظلة مخطوط باريس رقم ١٤٥٠ عربي.
- كتاب الهفت (الباكورة) ٢٢، ٣٢، ٥٩، ٦١ وقد نشره عارف تامر وعبده خليفة في بيروت المطبعة الكاثوليكية فى ١٩ + ١٥٣ صفحة

هذا ومن مؤلفي النصيرية الأقدمين (الخصيبي) أبو عبد الله الحسين بن أحمد ابن حمدان ويلقب بشيخ بيراق ولد سنة ٢٦٠ هـ وتوفي في حلب سنة ٣٤٦ أو ٣٥٧هـ وكتب الخصيبي معتبرة من أهم كتب الشيعة في إيران

وهناك من الكتب الشيعية والمؤلفين الشيعة القدامى والمحدثين ما يدل على انقطاع الأواصر الفكرية والروحية فضلا عن الالتزام بالقواعد النشرية بينهم وبين جمهور المسلمين[2].

هذا ومن المرجح اعتبار النصيرية من أقدم الشيعة الغلاة إذ صح أنهم ينتسبون إلى (نصير غلام علي بن أبي طالب) وهم يمثلون عند بعض المستشرقين من الناحية الكلامية (الجناح المحافظ) للحركة الشيعنة التي يتألف جناحها التقدمي والفعلي من الاسماعيلية والدروز.

---

(١) دكتور عبد الرحمن بدوي - مذاهب الاسلاميين جـ ٢ ص ٤٢٧ ط دار العلم للملايين الطبعة الأولى عام ١٩٧٣م « الملل والنحل » الشهر ستاني جـ ٢ القاهرة ص ١٤١.

(٢) أورد الشهر ستاني أسماء عدد من مؤلفيهم فمن الزيدية أبو خالد الداسطي ومنصور بن الأسود وهارون بن سعيد العجلي ووكيع بن الجراح ويحى بن آدم وعبد الله بن موسى وعلى بن صالح والفضل بن ركن والجارودية وغيرهم: جـ ٢ ص ١٤٢ طبعة القاهرة.

انقسام العقيدة النصيرية:

سكن على المدى الطويل النصيريون في مناطق لواء اللاذقية في سوريا وكذلك في المناطق الجبلية وبعد أن كانت العقيدة الرئيسية للنصيرية أن عليا ابن أبي طالب اله او حلت فيه الألوهية، أصبح عندهم فيما زعموا بشريا إلاهيا في آن واحد وأنه يسكن السحاب والرعد صوته والبرق ضحكه، وهم لهذا يعظمون السحاب[٢]، انقسموا إلى « النصيرية الشمالية » التي تسكن السواحل في لواء اللاذقية، و« النصيرية الكلانرية » وهم الذين يسكنون الجبال، واعتقد النصيرية الشمالية أن عليا حال في القمر بينما اعتقد الكلانرية أنه حال في الشمس[٣].

ومن الممكن أن يقال أن أثر الثقافة اليهودية التي طرأت على فكر الجماعات الشيعية قد أفرخ جملة اعتقادات وجدت استجابة لبيئة تستقبل كل ما يمكن أن يميز فكرها عن غيرها، في موقفها المذهبي أو الاقليمي وعلى هذا فحملة المعتقدات التي ترتكز عليها الفرقة النصيرية تتمثل في الآتي:

- علي بن أبي طالب اله، أو حلت فيه الألوهية وهو يسكن السحاب والرعد صوته والبرق ضحكه وهم لهذا يعظمون السحاب ومن الملاحظ على هذا المعتقد عند النصرية أنه أغفل علاقة أتباعه بالرسول الخاتم محمد ﷺ[١]

- سلمان الفارسي هو رسول علي وكلمة السر عندهم ثلاثة أحرف وهي: ع (= علي) م (= محمد) س (= سلمان الفارسي).

- وهم يخفون مقالتهم ومن أذاعها فقد أخطأ عندهم ويرون أنهم على الحق وأن

---

(١) (القلقشندى في صبح الأعشى جـ ١٣ ص ٢٥٠ نقلا عن « مذاهب الاسلاميين » د. عبد الرحمن بدوي.

(٢) ارشاد القاصد إلى أسنى المقاصد - تأليف شمس الدين محمد بن ابراهيم بن مساعد الأنصاري الأفغاني.

(٣) الملل والنحل - الشهرستاني - جـ ٢ ص ١٤٠ طبعة القاهرة.

مقالتهم مقالة أهل التحقيق، ومن أنكر ذلك فقد أخطأ[1].

ولهم (اعتقاد) في تعظيم الخمر ويرون أنها من النور ولزمهم من ذلك أن عظموا شجرة العنب التي هي أصل الخمر حتى استعظموا قلعها.

- ويحبون ابن ملحم قاتل علي رضى الله عنه، ويقولون أنه خلص اللاهوت من الناسوت ويخطئون من يلعنه.

هذا وللنصيرية قسم نقله القلقشندي (في صبح الأعشى) جـ ١٣ ص ٢٥٠ عن ابن فضل الله العمري في كتابه التعريف بالمصطلح الشريف وهذا القسم يبين هو الآخر عن بعض معتقدات النصيرية ونصه «انني وحق العلي الأعلى وما أعتقده في المظهر الأسنى وحق النور وما نشأ منه والسحاب وساكنه والا برئت من مولاي (علي) العلي العظيم وولائي له ومظاهر الحق وكشفت حجاب سلمان بغير اذن وبرئت من دعوة الحجة (نصير) وخضت مع الخائضين في لعنة ابن ملجم، وكفرت بالخطاب وأذعت السر المصون وأنكرت وعدي لأهل التحقيق والا قلعت أصل شجرة العنب من الأرض بيدي حتى اجتثثت أصولها وأضعت سبيلها وكنت مع قابيل على هابيل، ومع النمرود على ابراهيم، وهكذا مع كل فرعون قام على صاحبه إلى أن ألقى العلي العظيم، وهو علي ساخط، وأبرأ من قول قنبر انه بالنار ما تطهر).

ومن النظر لهذا القسم نجده يقرر أن النصيرية يلقبون عليا بلقب «العلي العظيم» وأن سلمان الفارسي هو صاحب الحجاب أي الباب الذي يفضي إلى العلم والحكمة وأسرار الباطن وباطن الأسرار وأن الخطاب هو الديانة والدعوة والبلاغ، وأن مباديء النصيرية سر مصون لا يجوز اذاعته، وإن شجرة العنب مقدسة عندهم بحيث لا يجوز اقتلاعها لأن من ثمرها تصنع الخمر التي يعظمونها، وما ورد في القسم من قوله: أبرأ من قول (قنبر) يشير إلى ما قاله علي بن أبي طالب: «لما رأيت الأمر أمرا منكرا.. أججت ناري ودعوت قنبرا».

وكما سبق القول فإن من بين عقائد النصيرية قولهم: بتناسخ الأرواح وقدم العالم

---

(١) القلقشندي - صبح الأعشى - جـ ١٣ ص ٢٥٠ نقلا عن (التعريف بالمصطلح الشريف) لابن فضل الله العمري.

وانكار وجود البعث والنشور والجنة والنار في غير الحياة الدنيا كما أنهم ينكرون الصلوات الخمس لأنهم يرمزون لها بذكر أسماء: علي وحسين وحسن ومحسن وفاطمة « فهؤلاء الخمس مجرد ذكر أسمائهم يغنيهم عن الصلوات الخمسة كما يغنيهم عن الغسل من الجنابة والوضوءوبقية شروط الصلاة وواجباتها إلى غير ذلك مما تقوم عليه عقائدهم، ويخالف ما هو معلوم من الدين بالضرورة.

هذا ومن الجدير بالذكر في هذا المقام تقرير أن العقيدة الرئيسية عند « النصيرية » هي: تأليه علي بن أبي طالب، فعلى ضوء ما أورده الدكتور عبد الرحمن بدوي في كتاب « مذاهب الاسلاميين » الجزء الثاني صفحة ٤٨٨، يوصف علي بن أبي طالب في (كتاب المجموع) أحد كتب النصيرية بأنه، أحد صمد لم يولد ولم يلد، وأنه قديم لم يزل، وجوهرة نور، ومن نوره تسطع الكواكب، وهو نور الأنوار، تجرد عن الصفات، يشق الصخور، ويسجر البحور، ويدبر الأمور، ويخرب الدول، خفي الجوهر وهو معنى:

والشهادة عندهم « أشهد أن لا إله إلا علي بن أبي طالب ».

وعلي فيما يعتقدون هو الذي خلق محمد وسماه(الاسم) ومحمد هو حجاب علي ومسكنه، ومحمد خلق سلمان الفارسي من نوره وجعله (بابا) له والمكلف بنشر دعوته، ومن حروف بداية هذه.الأسماء الثلاثة يتكون (عين - ميم - سين) وعند ادخال المستجيب في الدعوة يقسم بسر « عين - ميم - سين »، ومحمد خلق الأيتام الخمسة والخمسة الأيتام (يتيم: لا نظير له) هم الصدورات الخمسة الالهية الذين توجه اليهم الصلوات الخمسة اليومية.

و« الأيتام » هم عند النصيرية، المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وعبد الله ابن رواحة الأنصاري، وعثمان بن مظعون، وقنبر بن كدان الدوسي[1].

وللنصيرية قداسات خاصة بهم أشرنا اليها في الصفحات السابقة ومن بين ما ورد في سياق بعضها (... اسمعوا ما يقول لكم الامام لأنه قائم فيكم في طاعة العلي العلام ان هذا القداس الطيب بعد عقد النية (علي) الصلاة الحقيقية التي خص بها السيد

---

(١) د. عبد الرحمن بدوي - مذاهب الاسلاميين - جـ ٢ ص ٤٨٨.

المسيح الى سين، **وإعطاء كل نفس هذاها**، قال في القداس المبارك: سبحان من جعل من الماء كل شيء حي..) [١].

هذا ويتداول بين الطوائف «النصيرية» قداسا شهيراً عندهم يسمى (قداس الاذان وبالله المستعان) وهو على الوجه التالي: «الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر كبيرا. والحمد لله كثيرا، وجهت وجهي إلى محمد المحمود طالبا سره المقصود، المتقرب بتجلي الصفات وعين الذات وفاطر الفطر ذو الجلال والحسن ذو الكمال، اتبعوا ملة أبيكم ابراهيم الخليل، هو الذي سماكم المسلمين، حنيفا مسلما، وما أنا من المشركين ديني سلسل، طاعة إلى القديم الأزل، أقر كما أقر السيد سلمان حين أذن المؤذن في أذنه وهو يقول: أشهد أن لا اله الا هو العلي المعبود ولا حجاب الا السيد محمد المحمود ولا باب إلا السيد سلمان الفارسي، ولا ملائكة الا الملائكة الخمسة **الأيتام** الكرام. ولا رب الا ربي شيخنا و (هو) شيخنا وسيدنا الحسين بن حمدان الخصيبي سفينة النجاة. وعين الحياة، حي على الصلاة، حي على الفلاح، تفلحوا يا مؤمنين على خير العمل. يعينه الأجل، الله أكبر، الله أكبر، قد قامت الصلاة على أربابها وثبتت الحجة على أصحابها، الله مولاي، يا علي أسألك أن تقيمها وتديمها مادامت السموات والأرض. وتجعل السيد **محمدا** خاتمها والسيد سلمان زكاتها، والمقداد يمينها، وأبا ذر شمالها..[٢].

هل بقي أمام الدارس بعد الاطلاع على مثل هذه النصوص والرموز أدنى شك في أن فرقة «النصيرية» تقوم على مرتكزات غير اسلامية وأن طقوسها وشعائرها لا تتفق وعقيدة **الاسلام؟** نعتقد أن النماذج التي أتينا على بعضها تكفي للتعريف بهذه الفرقة المذهبية التي بدأت بمنطلق غير اسلامي، يحمل جرثومة الشعوبية وبصمات العقائد الوثنية.

الحكم على معتقدات النصيرية:

□بعد هذا العرض الموجز للتعريف بالنصيرية كجناح متطرف في الفكر الشيعي **خلط ما بين الوافد من التحريفات** المسيحية القائلة بالتجسيد المعبر عنه بالناسوت واللاهوت أي البشرية والألوهية في جسد الانسان، .والتخريجات اليهودية القائلة

---

(١) د. عبد الرحمن بدوي - مذاهب الاسلاميين - جـ ٢ ص ٤٩١.

(٢) د. عبد الرحمن بدوي - مذاهب الاسلاميين - جـ ٢ ص ٤٩٤.

بالحلول، يتضح أمامنا مدى دقة وصحة فتوى الامام بن تيمية في النصيرية حين سئل عنهم وقال: « هؤلاء القوم الموصوفون المسمون بالنصيرية هم وسائر **أصناف** القرامطة الباطنية أكفر من اليهود والنصارى بل وأكفر من كثير من المشركين، وضررهم على **أمة محمد** « ﷺ » أعظم من ضرر الكفار المحاربين مثل كفار الترك **والإفرنج** وغيرهم.

ومن هنا فإن الحاجة ماسة في مجال دراسة الفرق والمذاهب التي تنسب إلى الاسلام أن تقوم لجان علمية دينية صادقة اخلاصا لله ولرسوله بعمل دراسات موسعة وجادة عن منطلقات هذه الفرق في أمسها وعما انتهى إليها أمرها اليوم بين أمة الاسلام باعتبار أنها أمام العالم المعاصر وخاصة القوى المعادية للاسلام ، تعطي صورا ونماذج لا يمكن أن تكون تعبيرا عن الاسلام الصحيح.

التقريب بين الفرق الاسلامية

شهد النصف الثاني للقرن الرابع عشر الهجري، متغيرات فكرية واقتصادية في العالم أجمع وعلى الساحة الاسلامية في مختلف ديار المسلمين على وجه الخصوص. ذلك أن معظم الشعوب الاسلامية، وخاصة تلك التي تقع فيما اصطلح عليه بالمنطقة العربية، قد هبت تنفض عن كاهلها عبء ووزر السنين التي أثقل كاهلها فيها الاستعمار الأوروبي وريث الأحقاد القديمة والحرب الصليبية.

واستهدف المسلمون أن تكون الصحوة التي منحهم الله اياها في هذه الفترة في اتجاه الله تعالى، لكن الذي حدث هو أن أسباب توحيد أمة الاسلام لم تتوفر بعد، بل ان الذي حدث. أن الافرازات الشعوبية والمذهبية والقومية التي لبثت ثوب الدين، بعد أن كانت تعمل عملها في السر والخفاء أطلت على المسلمين من جديد وفي ثوب اسلامي لا يطرح خلافا، ولا يبرز تناقضا، لكنه يخفي كل مخططه وحقده ضد الاسلام والمسلمين.

أن بعض هذه المذاهب، تحاول التنصل، مما تقوم عليه عقيدتها، بغية التدليل على صحة ما يقوله جمهور الأئمة من علماء السلف، وبأمل التدليل أيضا على أنه لا خلاف بين الفرق الاسلامية وجمهور الأئمة، مثلما فعل الشيخ (آية الله منتظري) العضو البارز

في الثورة الايرانية في حوار مجلة (المجتمع) معه [1] حين قال: (... تصور أن نهج البلاغة، لا **يعتمد** عليه بالفقه رغم أنه متواتر عن الشريف الرضي، بأنه عن علي عليه السلام. وحين سئل عن كتاب (بحر الأنوار) قال: (لا .. لا بحر الأنوار فيه روايات ضعيفة).

وحين سئل عن صحة كتاب (الكافي في الأصول) بحكم ما هو معروف تاريخيا عندهم من أن (الكافي) عمدة في مسائل العقيدة والشريعة، قال: (...لا ...لا ... ليس كله.. فيه روايات كثيرة وفيه الضعيف.)[2].

وحين سأله المحرر عن مجهود العلماء في قضية توجيه العامة من المسلمين من أجل وحدة أمة الاسلام التي رفعوا شعارها مؤخرا وطلب اليه بأن يقوموا بتوجيه العامة مثلا نحو أن تكون المساجد والقبور واحدة،: أجاب (... ان للعوام **تفكيراً خاصاً** بهم، ولا يمكن توجيههم ومخاطبتهم بشكل عفوي، وانما يجب التحطيط وإيجاد الوقت المناسب لتفهيمهم ذلك)[3].

ثم عاد وقال وبما يناقض ذلك وما أفصح عنه (... عندما وجد الامام الخميني أن هذه السنة صالحة أو مناسبة جداً، أصدر بيانا للحجاج الشيعة أن يشتركوا مع اخوانهم السنة في صلاتهم ومساجدهم وشعائرهم.)[4]

ومع أنه قد يصدر بين الحين والآخر مثل هذه التصريحات التي قد تكون (التقية) **وسيلتها، لتحقيق أهداف قريبة أو بعيدة على السواء. فانا لم نسمع عن لجان علمية جلست على مقررات المذاهب والفرق الشيعية أو راحت تطهر كتب عقائدهم** وشرائعهم مما امتلأت به من تخريجات وتحريفات تخرجها من عداد كتب العقيدة السوية والاسلام الصحيح. وما الشعار الذي طرح في بعض ديار المسلمين لتقريب المذاهب الاسلامية أو وحدتها الا هدنة فكرية، وتنظيمية، استهدف من ورائها جر

---

(١) العدد ٤٧٠ السنة العاشرة من مجلة (المجتمع) الكويتية ٢ ربيع الآخر ١٤٠٠هـ ١٩ فبراير ١٩٨٠ صفحة ٢٠.

(٢) المصدر السابق صفحة ٢٠ العمود الثاني.

(٣) المصدر السابق صفحة ٢١ العمود الأول.

(٤) » » ٢١ » » .

المسلمين أصحاب العقيدة الصحيحة، واللائذين بكتاب الله وسنة نبيه إلى التورط في متاهة التقريب بين الصحيح والفاسد، والحق والباطل، وما المذهب النصيري الذي عرضنا به في الصفحات الماضية الا بعض دليل على تطور فكر الغلاة في أداء الدور المرسوم له ضد الاسلام وضد المسلمين في أوطانهم، خدمة لأعدائهم. وتعبيرا عن أداء الغلاة وفرقهم لدورهم المرسوم... وهذا ماحدا بالكاتب والمفكر الشيخ ابراهيم سليمان **الجبهان في كتابه: (تبديد الظلام وتنبيه النيام) إلى أن يصرخ بصوت عال في الرسالة الثانية من كتابه المذكور ويقول[1]: (.. قد يظن بعض الناس أن الطوائف الشيعية التي يزيد** تعدادها على سبعين فرقة، كل فرقة تدعي الحق في جانبها، لا تتفق فيما بينها على أصول مشتركة وأن لكل طائفة عقيدتها الخاصة، وطقوسها التي لا يعتد بها غيرها، ولكن دراستي لعقيدة التشيع أكدت بما لا يدع مجالا للشك، بأن الأصول الالحادية للتشيع مشتركة بين جميع الطوائف، وأن الاختلاف بين كل طائفة وأخرى. شكلي لا جوهري، بل هو أقل بكثير من الاختلاف الواقع بين أحد المذاهب الاسلامية. وبين ما بقي منها. لأن الدين عند كل طائفة منهم عبادة رجل. والرجل الذي تعبده هذه الطائفة تكفر به الطوائف الأخرى وتلعنه وتبرأ منه).

وهذا ما يقوله أيضا: محب الدين الخطيب في (شرح المنتقى من منهاج السنة) حيث يقرر: أن الاختلافات الجوهرية لم تكن موجودة بين هذه الطوائف الا في العصر الأول، لظهور هذه النزعة **الخبيثة**، حيث كان يوجد بين المتشيعين غلاة وأنصاف غلاة. أما منذ القرن الثاني وحتى الآن فانه لا يوجد على وجه الأرض **شيعي غير مغال..... ويكفي أن نتتبع تراجم أعلام الشيعة لنراهم بين كذابين** وموتورين وملاحدة ومشعوذين وملعونين على لسان أئمتهم[1]

---

(١) ابراهيم سليمان الجبهان (تبديد الظلام وتنبيه النيام) مكتبة الحرمين بالرياض - الطبعة الثانية عام ١٤٠٠هـ - ١٩٧٩م - صفحة ٢٠

(٢) محب الدين الخطيب (شرح المنتقى من منهاج السنة) نقلا عن ابراهيم سليمان الجبهان في (تبديد الظلام وتنبيه النيام) صفحة ٢١

الفرق الباطنية واتجاهاتها العقيدية

التعريف بالمذهب الباطني:

الباطنية: لقب اصطلاحي، تندرج تحته اتجاهات لطوائف وفرق مختلفة، القاسم المشترك فيما بينها. أو الصفة العامة التي تغلب عليها هي: تأويل النص الظاهر بالمعنى الباطن، تأويلا يذهب مذاهب شتى، قد يصل بالمذاهب الباطنية، التي تعمل التأويل في النص، إلى حد التناقض فيما بينها، بحيث تصبح الفرق الباطنية خارجة عن ملة الاسلام، بل فرقا من فرق الكفر[1].

ويغلب على دارسي الفرق والمذاهب العقيدية أن يعرفوا النهج الباطني في تناول النصوص: بأنه المنهج. الذي يعالج النصوص على أنها رموز واشارات، الى حقائق خفية، وأسرار مكتوبة، ومن ثم يعالجون الشعائر الدينية، والأحكام العملية على أنها رموز وأسرار[2]. وأن العامة من الناس هم الذين يقفون أمام الظواهر، والقشور، ويقنعون بها، أما أهل الباطن (الباطنيون) فهم الذين ينفذون إلى المعاني الخفية المستورة، التي هي من شأن العلم الحق عندهم،: علم الباطن[3]. وقد اعتقد عدد من العامة على امتداد التاريخ في بعض ديار المسلمين، بهذه العقيدة، في بعض صورها وطلاسمها، وذلك عقب غيبة العمل الاسلامي المستنير، وبتأثر من نشاط الجماعات الباطنية التي تبدو في بعض مظاهر سلوكها قائمة على الزهد والتقشف والاكثار من الصلاة والأكل من كسب اليد[4].

وقد استقرأ أبو حامد الغزالي في كتابه (فضائح الباطنية) الاتجاهات التي اندرجت تحت منهج: التأويل الباطني، أي تفسير النص الظاهر بالمعنى الباطن

---

(١) (عبد القاهر البغدادي): (الفرق بين الفرق) ط- بيروت ص ٢٢

(٢) (المسعودي): (مروج الذهب) جـ ٤ صفحة ٦٦

(٣) أبو حامد الغزالي (فضائح الباطنية) تحقيق وتقديم الدكتور عبد الرحمد بدوي دار المعارف بمصر صفحة ٥٦.

(٤) ابن الاثير (الكامل في التاريخ) الطبعة الثانية - بيروت ١٩٦٧ ج ٦ ص ٦٩.

تأويلا، يذهب به مذاهب شتى ثم حصرها في ثمانية ألقاب هي[1]:

١ - الباطنية:

نسبة الى التأويل بالباطن، وهذه تسمية عامة تصدق على كل الاتجاهات التي تذهب الى التأويل الباطني.

٢ - القرامطة:

نسبة الى حمدان قرمط أحد الدعاة الباطنيين الذين ظهروا في أيام المأمون، وعاونه فيما ذهب اليه: عبد الله بن ميمون القداح[2].

٣ - الخرّمية:

نسبة الى حاصل مذهبهم وزبدته، وهو تحصيل اللذة، فان (خرّم) لفظة فارسية تدل على الشيء المستلذ وقد كان لقبا (للمزدكية) وهم أهل الاباحة من المجوس. هذا ويرى عبد القاهر البغدادي عند ذكره أخبار أصحاب الاباحة من الخرمية أنهم صنفان: صنف منهم كانوا قبل دولة الاسلام كالمزدكية، الذين استباحوا المحرمات، وزعموا أن الناس شركاء في الأموال والنساء، وهؤلاء هم الذين أسكت فتنتهم أنوشروان الفارسي[3].

والصنف الثاني من الخرّمية: هم الذين ظهروا في دولة الاسلام وهم فريقان: بابكية ومازيارية، وكلتاهما معروفة بالمحمرة وقد استباحوا المحرمات وقتلوا الكثير من المسلمين[4].

٤ - البابكية:

نسبة الى بابك الخرمي الذي خرج من بعض الجبال بناحية أذربيجان في أيام المعتصم بالله ٢١٨ - ٢٢٧هـ فوجه اليهم المعتصم جيشا قضى على حركته في عام ٢٢٢هـ.

---

(١) (عبد الرحمن بدوي) مذاهب الاسلاميين ج ٢ - بيروت ص ٤٥١.
(٢) عبد القاهر البغدادي (الفرق بين الفرق) دار المعرفة - بيروت ص ٢٢
(٣) عبد القاهر البغدادي (الفرق بين الفرق) ص ٢٦٦.
(٤) عبد القاهر البغدادي (الفرق بين الفرق) ص ٢٦٧.

٥ - الاسماعيلية:

نسبة الى محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق سابع الأئمة، والاسماعيلية هم الذين ساقوا الامامة الى جعفر. وزعموا أن الامام بعده ابنه اسماعيل، وقد افترقوا الى فرقتين:

فرقة: منتظرة لاسماعيل بن جعفر، مع اتفاق أصحاب التواريخ على موت اسماعيل في حياة أبيه[1].

والفرقة الثانية تقول: كان الامام بعد جعفر سبطه محمد بن اسماعيل بن جعفر. حيث ان جعفرا. نصب ابنه اسماعيل للامامة بعده، فلما مات اسماعيل في حياة أبيه، علم أنه انما نصب ابنه اسماعيل للدلالة على امامة ابنه محمد بن اسماعيل، والى هذا القول: مالت الاسماعيلية من الباطنية[2].

٦ - السبعية:

ولقبوا بذلك لأمرين: الأول اعتقادهم بأن أدوار الامامة سبعة، والثاني قولهم: ان تدابير العالم السفلي منوطة بالكواكب السبعة.

٧ - المحمِّرة:

لقبوا بذلك لأنهم صبغوا ثيابهم بالحمرة أيام بابك وكان ذلك شعارهم.

٨ - التعليمية:

لقبوا بذلك لأن مذهبهم، يقوم على ابطال الرأي وتصرف العقل، وعلى دعوة الخلق الى تلقي العلم من الامام المعصوم، وعلى أنه لا مدرك للعلوم الا التعليم من امام معصوم.

هذا وقد لاحظ الدكتور عبد الرحمن بدوي في كتابه (مذاهب الاسلاميين)[3] على هذه الألقاب جملة نتائج نقره عليها وهي تتمثل في الآتي:

أولا: ان لقب (الباطنية) عام تشترك فيه كل هذه الفرق، ونتصور أن التعدد في

---

(١) عبد القاهر البغدادي (الفرق بين الفرق) ص ٦٢.

(٢) عبد القاهر البغدادي (الفرق بين الفرق) ص ٦٣.

(٣) عبد الرحمن بدوي (مذاهب الاسلاميين) ج ٢ ص ٤٥١.

الاتجاه، والاختلاف في الممارسة، انما هو أيضا نهج باطني.

ثانيا: أن رقمي ٤،٣: الخرمية والبابكية، يدلان على فرقة واحدة. وكذلك رقم ٧ (المحمّرة) له علاقة بهذين المذهبين: الخرمية والبابكية. أي أن الخرمية والبابكية والمحمّرة، يمكن أن يندرجوا تحت فرقة باطنية واحدة.

ثالثا: أنه فيما عدا هذه الطائفة، أو هذه الاتجاهات التي يندرج تحتها: الخرمية والبابكية والمحمّرة، فان الفرق الباقية تتشيع لعلي وعترته.

رابعا: (الفرقة التعليمية): وصف مشترك على الفرق مثل وصف (الباطنية) وليس فرقة برأسها.

خامسا: ان القرامطة، والبابكية والاسماعيلية، كانت حركات سياسية لعبت أدواراً متفاوتة الأهمية في تاريخ الاسلام السياسي.

وأهم هذه الفرق من الناحية السياسية (الاسماعيلية) التي كونت (الفاطمية) في شكل دولة سياسية، شملت المغرب ومصر والشام واليمن فترة تاريخية.

هذا ومن الراجح أن تندرج تاريخيا تحت اسم الفرق الباطنية، فرقة (النصيرية) التي تنسب عند البعض الى ابن نصير مؤسسها وهذه الفرقة لها معتقدها وشعائرها ومخالفتها للفرق الباطنية، يتمثل في قدرة اتباعها على استعمال العنف وإحاكة المؤامرات، وهي من أنشط الفرق الباطنية تاريخيا وحتى اليوم.

هذا ويبرز بين سياق التاريخ (الباطني) فرقة (الدروز) التي تنسب إلى محمد الدرزي الذي أسس هذه الفرقة التي لها اليوم مشكلات دينية وسياسية في العالم العربي.

ولهذا فان (الباطنية)، تصنف من حيث الفرق التي تدرج تحت المذهب الشيعي باستثناء (البابكية) الى:

- الاسماعيلية - البابكية - القرامطة - الدروز - النصيرية.

هذا هو الشكل العام للمذاهب والنظريات الباطنية، أو الاطار التاريخي الذي نعرف من خلاله الطرق الباطنية حين نتناول فيما تعتقد النصوص التي تنسب اليها.

ومن الممكن أن نتعرف على الدوافع. التي حركت في هذه الفرق الاتجاهات الباطنية، حتى شكلوا أو كونوا عقائدهم على ضوئه، وأصبحوا في ظل هذه

المعتقدات الباطنية، قوة تدمير هائلة، مخاطرهم على أهل الاسلام ودياره محققة وما لم ينتبه أهل الاسلام الى مخاطر النهج الباطني في تناول أمور العقيدة وشرائع الدين، فان مشكلات جمة، ستطرح أمام ديار الاسلام والمسلمين.

ولا جدال في أن مثل هذه الافرازات التاريخية تضع أمام العاملين بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم مهام عقيدية وفكرية وتعليمية ضخمة حبذا لو أسعفتهم وحدة الهدف ووحدة الصف.

(المنهج الباطني في تناول النصوص)

عرفنا بادىء ذي بدء: أن القاسم المشترك بين الفرق الباطنية، والخاصية المشتركة بينهم، هي قولهم: بأن لكل ظاهر باطنا، ولكل تنزيل تأويلا.

ودواعي التأويل بالباطن عندهم عديدة، ونورد منها بعض ما يرونه داعيا لمنهجهم، حتى يمكن التعرف عليهم.

١- التخلص من قيد نصوص الشريعة ابتغاء التوفيق بينها وبين الرأي الذي يذهب اليه صاحب التأويل.

٢- التخلص من قيد النص، ابتغاء التوفيق بين ما يفهم من صريح اللفظ، وبين ما يقتضيه عقل القائلين بالباطن.

هذا ومما يجدر ذكره أن عملية تأويل النصوص عملية قديمة امتد تأثيرها اليوناني الأصل الى نصوص العقائد القديمة، والى النصوص القانونية والأدبية.. فمنذ صاغ هوميروس شعره الذي أصبح ذا سلطة، أخذ الأدباء اليونانيون في القرن الخامس قبل الميلاد في تأويله.

وقد سار زينون الرواقي في تفسير شعر هوميروس بهذا النهج الباطني الذي يؤول النصوص.

ثم انتقل التأويل الرمزي أو التأويل بالباطن الى اليهودية على يد (فيلون) اليهودي الذي يعتبر من أكبر ممثلي النزعة الى التأويل بالباطن في العصور القديمة، وان كان هناك في اليهودية قبل (فيلون) ممن فسروا ابراهيم عليه السلام: بأنه: (النور) أو العقل: (وسارة) بأنها (الفضيلة).. وعيد الفصح بأنه (خلق العالم)، ثم تطور

التأويل الى أن اعتقدوا بأن الجنة هي ملكون الروح. وشجرة الحياة في أخبار التوراة، بأنها خوف الله، وشجرة المعرفة، بأنها الحكمة. والأنهار الأربعة في الجنة التي تحدثت عنها التوراة، بأنها الفضائل الأربع الأصيلة. وهابيل بأنه التقوى، وقابيل بأنه الأنانية.

ومن فيلون اليهودي، وبتأثير من ثقافته انتقل التأويل الرمزي الى المسيحية، وخصوصا في العصر الذي يسمى: عصر الآباء.

وأمام عمليات الوضع للنصوص الدينية في اليهودية والمسيحية كانت جهود العلماء الذين عارضوا المنهج الرمزي والتأويل الذي جر على أتباع الديانتين من الفرقة والضياع الشيء الكثير، تضيع سدى، وخاصة أمام بعض النصوص ذات الطابع الغنائي أو الجنسي مثلما هو الحال في الكتاب المسمى (نشيد الانشاد) في اليهودية، حتى ان (مارتن لوثر) المجدد في النظر المسيحي في العصور الوسطى، والذي رفض منهج التأويل الباطني، اضطر الى قبول هذا المنهج في تناول (نشيد الانشاد) بالذات[١] والذي هو في التاريخ اليهودي منسوبا الى معتقدات اليهود الدينية مع أنه عبارة عن (نوتة) موسيقية جنسية صارخة.

هذا ومما يجدر ذكره أن التأويل بالباطن ضرورة عقدية عند اليهود والنصارى في تناولهم للنصوص التي يعتقدون أنها تتصل فيما زعموا بالأنبياء[٢].

هل حدث تأثير يهودي للباطنية!؟

اذا كان التاريخ يشير الى أن الدواعي التي كانت وراء الفرق الباطنية التي تنسب نفسها للاسلام، للقول بأن لكل ظاهر باطنا هي نفس الدواعي التي أثرت في التناول اليهودي المسيحي للنصوص الدينية والأدبية عندهم، وقد قطعت المسيحية اليهودية شوطا كبيرا في هذا المضار، حتى أصبحت الكنيسة مجرد رموز وأرقام[٣]،

---

(١) يراجع في هذا رسالتنا للدكتوراه (التراث الاسرائيلي في العهد القديم وموقف القرآن الكريم منه ط - بيروت ١٣٩٩ - ١٩٧٩ م ص ١٦٢.

(٢) المصدر السابق ص ١٦٧.

(٣) (د. فؤاد حسنين علي) (التوراة الهيروغليفية). صادر عن دار الكتاب العربي - القاهرة - بدون تاريخ صفحة ١٢٦.

فهل تأثرت الفرق الباطنية بالتراث اليهودي المسيحي، أو هل كانت الحركة الباطنية بمختلف اتجاهاتها افرازة يهودية مسيحية ضد الاسلام؟؟

يقول الاستاذ الدكتور عبد الرحمن بدوي: هذا سؤال في غاية التعقيد [1]: بحيث يصدق الى أقصى درجة قول (فردريك اميل) (ان كل الأصول أسرار).

ووجه صعوبة السؤال ما يحيط بشخصية: عبد الله بن سبأ من وجهة نظر بعض المؤرخين ممن ليس لديهم التصور الاسلامي الكامل، حول ابن سبأ أول من غلا في علي غلوا شديدا، والذي يلقي عليه معظم المؤرخين الاسلاميين تبعة ظهور التيار الباطني وادخال الأفكار غير الاسلامية وغير العربية على الساحة الاسلامية.

وفي هذا يقول الدكتور: عبد الرحمن بدوي: هل صحيح أنه كان يهوديا وأسلم، وهل كان اذا صح أصله اليهودي على اطلاع على حركة التأويل عند اليهود، ابتداء من الهجاد حتى فيلون؟. لنلاحظ أولا أن تأثير (فيلون) في الفكر الديني اليهودي من بعده كان ضئيلا، فضلا عن أن الأفكار المهدوية، أي القول بمسيح منتظر كانت منتشرة في شبه الجزيرة العربية، ولا بد أن رجلا مثل عبد الله بن سبأ، ان كان عالما يهوديا، قد كان على علم بها، وفي هذا سينحصر تأثيره أعني في كونه قد أدخل فكرة: أن عليا بن أبي طالب هو (الوصي) المنفذ لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم.

يقول الدكتور بدوي: أما عن كون عبد الله بن سبأ كان في الأصل يهوديا فذلك هو ما تكاد تجمع المصادر العربية عليه واعتمادا عليها، ساق (أ. فريد. ليندر) الحجج العديدة في دراسته المشهورة بعنوان (عبد الله بن سبأ مؤسس الشيعة وأصله اليهودي).

وحول شخصية ابن سبأ والسبئية نحب أن نشير الى أن المراجع العربية قد تناولت ترجمته والتعريف به بشيء من التفصيل، وقد اتفقت في معظمها القديم منها المتقدم والمتأخر، فضلا عن الدراسات المقارنة التي تناولت سيرة الرجل بالتمحيص حول وجود شخصيته التاريخية، فعبد القاهر البغدادي: وهو من علماء القرن الرابع

---

(١) (د. عبد الرحمن بدوي) (مذاهب الاسلاميين) ج ٢ ص ١٠.

الهجري توفي في عام ٤٢٩ هـ. يقول[١]: (السبئية: أتباع عبد الله بن سبأ الذي غلا في علي رضي الله عنـه، وزعم أنه كان نبيا، ثم غلا فيه حتى زعم أنه اله، ودعا الى ذلك قوما من غواة الكوفة، ورفع خبرهم الى علي رضي الله عنه فأمر باحراق فوم منهم في حفرتين، حتى قال بعض الشعراء في ذلك:

لترم بي الحوادث حيث شاءت .. اذا لم ترم بي في الحفرتين

فلما قتل علي رضي الله عنه زعم ابن سبأ أن المقتول لم يكن عليا وانما كان شيطانا تصور للناس في صورة علي، وأن عليا صعد الى السماء، كما صعد اليها عيسى بن مريم عليه السلام)[٢]، وابن جرير الطبري فيما روى عن يزيد الفقعسي يقول: «كان عبد الله بن سبأ يهوديا من أهل صنعاء، أمه سوداء، فأسلم زمان عثمان ثم تنقل في بلدان الكوفة، يحاول ضلالتهم، وبدأ بالحجاز ثم البصرة، ثم الكوفة، ثم الشام، فلم يقدر على ما يريد، عند أحد من أهل الشام، فأخرجوه حتى أتى مصر، فاعتمر فيهم، فقال لهم: العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب بأن محمدا يرجع! وقد قال الله عز وجل ((ان الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد)) فمحمد أحق بالرجوع من عيسى... قال: فقبل ذلك منه، ووضع لهم الرجعة فتكلموا فيها، ثم قال لهم بعد ذلك: انه كان ألف نبي، ولكل نبي وصي وكان علي وصي محمد، ثم قال: محمد خاتم الأنبياء، وعلي خاتم الأوصياء، وتناول أمر الأمة، ثم قال لهم بعد ذلك: ان عثمان أخذها بغير حق. وهذا وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانهضوا في هذا الأمر. فحركوه وابدأوا بالطعن على امرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس، وادعوهم الى هذا الأمر.

وبث دعاته وكاتب من استفسد في الأمصار وكاتبوه ودعوا في السر الى ما عليه رأيهم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وجعلوا يكتبون الى الأمصار بكتب بضعونها في عيون ولاتهم، ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك، ويكتب أهل كل مصر منهم الى مصر آخر بما بصنعون، فيقرأ أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم، حتى تناولوا بذلك المدينة، وأوسعوا الأرض اذاعة وهم يريدون غير ما يظهرون، ويسرون

---

(١) (عبد القاهر البغدادي) (الفرق بين الفرق) ط - ثيروت - ص ٢٣٣.

(٢) (عبد القاهر البغدادي) (الفرق بين الفرق) ط - بيروت - ص ٢٣٤.

غير ما يبدون، فيقول أهل كل مصر. انا لفي عافية مما ابتلى به هؤلاء الا أهل المدينة، فانهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار. فقالوا: انا لفي عافية مما فيه الناس.

هذا وفي أخبار سنة ٣٠ هـ. يذكر الطبري عن نفس المصدر وهو يزيد الفقعسي أن ابن السوداء ورد الشام ولقي أبا ذر وأنه هو الذي بث في نفسه فكرة أن المال مال المسلمين، وحركه الى الدعوة الى اشراك الفقراء في أموال الأغنياء[1].

وفي هذا الموضوع أيضا ورد أن أبا ذر الدرداء حين جاءه ابن السوداء (عبد الله بن سبأ) قال له: من أنت؟: أظنك والله يهوديا[2].

وفي أخبار سنة ٣٠ هـ. أن ابن السوداء ذهب الى البصرة واجتمع بواليها: عبد الله بن عامر الذي سأله من أنت. فأخبره أنه رجل من أهل الكتاب رغب في الاسلام ورغب في جوارك، فقال ما تبلغن ذلك: اخرج عني. فخرج حتى أتى الكوفة فأخرج منها فاستقر بمصر[3].

هذا ونرى أخبار ابن سبأ في أحداث سنة ٣٦هـ. بارزة وواضحة وقد خرج مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه مع من خرجوا، وهو عند الطبري في هذه المرحلة يسمى ابن السوداء: فهو الذي حين خرج مع علي للكوفة ألهب الفتنة وأجج النيران، فنسب اليه قوله (.. ان عزكم في خلطة الناس، فصانعوهم، واذا التقى الناس غدا فأنشبوا القتال ولا تفرغوهم للنظر، فاذا أمنتم فابصروا الرأي وتفرقوا عليه والناس لا يشعرون، وأصبح علي وقد ظهر فمضى ومضى الناس..)[4].

ومن هذا يتبين
- أن عبد الله بن سبأ هو بعينه ابن السوداء، لأن أمه سوداء.
- وأنه كان يهوديا من أهل صنعاء.
- وأنه أسلم في عهد عثمان.

---

(١) الطبري (تاريخ الأمم والملوك) طبعة مصر الأولى - ج ٥ - ص ٩٠.
(٢) الطبري (تاريخ الأمم والملوك) طبعة مصر الأولى - ج٥ - ص ١٠٠.
(٣) الطبري (تاريخ الأمم والملوك) طبعة مصر الأولى - ج ٥ - ص ١٠٠.
(٤) الطبري (تاريخ الأمم والملوك) ج٥ ص ١٩٥.

- وأنه هو الذي أثار الفتنة على عثمان بن عفان. وطوف في مصر والعراق، والشام، والحجاز لتأليب الناس على عثمان.

- وأنه أول من قال بأن عليا وصي للنبي محمد، وبأن عليا سيرجع الى الأرض.

السبأية:

أصحاب عبد الله بن سبأ. وهو عبد الله بن وهب الراسبي الهمداني كان أول من أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان، وتبرأ منهم وغلا في علي رضي الله عنه حتى زعم أنه نبي، ثم غلا فيه حتى زعم أنه اله[1]، ودعا الى ذلك قوما من غلاة الكوفة. وأدعى في كل دعواه أن عليا رضي الله عنه أمره بذلك، وأن التقية لا تجوز ولا تحل، فأخذه علي فسأله عن ذلك فأقر. فأمر بقتله، فصاح الناس اليه من كل ناحية: يا أمير المؤمنين: اتقتل رجلا يدعو الى حبكم أهل البيت، والى ولايتك والبراءة من أعدائك، فسيره علي الى المدائن[2].

ويقول علماء الملل والنحل: ان عبد الله بن سبأ كان يهوديا وأسلم ووالي عليا، وكان يقول، وهو على يهوديته: في يوشع بن نون أنه وصى موسى فقال في اسلامه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في علي بمثل ذلك. وهو أول من شهد بالقول بأن عليا لم يقتل وبأن فيه الجزء الالهي، ولا يجوز أن يستولي عليه. وأنه في السحاب وأن الرعد صوته والبرق سوطه[3].

ولما بلغ ابن سبأ وأصحابه نعى علي وهو بالمدائن منفيا فيها بأمر من علي بعد أن قدم عليهم راكب، فسأله الناس عن خبر أمير المؤمنين؟ فقال: ضربه أشقاها، ضربة قد يعيش الرجل من أعظم منها، أو يموت من وقتها.. ثم اتصل خبر موته، فقالوا للذي نعاه: كذبت يا عدو الله، لو جئتنا والله بدماغه في صرة، فأقمت على قتله سبعين عدلا، ما صدقناك، ولعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل، وانه لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه، ويملك الأرض.

---

(١) عبد القاهر البغدادي (الفرق بين الفرق) ص ٢٣٣.

(٢) الشهرستاني ج ٢ من هامش (الفصل لابن حزم) ط - بيروت - ص ١١

(٣) المصدر السابق ص ١١.

ثم مضوا من يومهم حتى أناخوا بباب علي مستأذنين استئذان الواثق، الطامع في الوصول اليه فقال لهم: من حضره من أهله وأصحابه وولده: سبحان الله! ما علمتم أن أمير المؤمنين قد استشهد؟، قالوا: انا لنعلم أنه لم يقتل ولا يموت حتى يسوق العرب بسيفه وسوطه، كما قادهم بحجته وبرهانه وانه ليسمع النجوى... ويلمع في الظلام كما يلمع السيف الصقيل الحسام.

فهذا هو مذهب السبأية، ومذهب الخرمية معهم على نفس النهج، وهم أتباع عبد الله بن عمرو الحرب الكنـدي، وقد تطورت عقائدهم بعد موت علي رضي الله عنه حتى قالوا: انه اله[1] وأنه توارى عن خلقه سخطا منه عليهم، وسيظهر بعد غيبة. واذا فقد كان من المعروف والمسلم به عند المؤرخين، وكتاب الفرق أن عبد الله بن سبأ كان يهوديا وأسلم، وأنه هو بعينه ابن السوداء وأنه شايع عليا، وأنه كان يقول بالآراء التالية:

١- أن عليا بن أبي طالب، وصي محمد، كما كان يوشع بن نون وصي موسى.

٢- وأن عليا لم يمت ولم يقتل، بل توارى عن الناس، وأنه سيرجع الى الدنيا بعد غيبته.

وهذا الرأي الثاني ذكره الأشعري للسبئية فقال: السبئية: هم أتباع عبد الله بن سبأ، يزعمون أن عليا لم يمت وأنه يرجع الى الدنيا قبل يوم القيامة، فيملأ الأرض عدلا، كما ملئت جورا.

هذا وقد أورد (أبو الحسن الأشعري) في كتابه (مقالات الاسلاميين) في الجزء الأول صفحة ٨٥ طبع القاهرة عام ١٩٥٠: زعم بعض السبئية: أن عليا في السحاب وأن الرعد صوته وقد روى عن عامر بن سراحيل الشعبي: ان ابن سبأ قيل له: ان عليا قد قتل، فقال: ان جئتمونا بدماغه في صرة، لم نصدق بموته لا يموت حتى ينزل من السماء ويملك الأرض بجذافيرها.

ويقول عبد القاهر البغدادي في كتابه (الفرق بين الفرق) صفحات ٢٣٣ -

---

(١) انظر في شأن الفرقتين (الفرق بين الفرق) ص ٢٣٣، والملل والنحل ١ / ١٧٤ ومقالات الاسلاميين ١ / ٨٥.

٢٣٤ طبعة محمد محي عبد الحميد: ان هذه الطائفة تزعم أن المهدي المنتظر، انما هو علي دون غيره.

هذا والمتتبع لسيرة ابن سبأ يجد أن غلوه في علي مرّ بطورين:

- طور أثناء حياة علي رضي الله عنه اقتصر فيه زعمه في علي على أنه وصي محمد صلى الله عليه وسلم.

- والطور الثاني: كان بعد وفاة على رضي الله عنه، وزعم فيه أول ما زعم بعد الوفاة: أن عليا لم يقتل وأنه صعد الى السماء، وأنه في السحاب، ثم يبدو أنه في وقت لاحق بدأ يقول بالألوهية والبشرية في شخص علي: ومن ثم لم يكن مشاعا أو معروفا عند الأشعري والطبري عن ابن سبأ هذه المقولة التي لم تكن قد شاعت في كل الأمصار، وان عبد القاهر البغدادي. قد تأكد له نسبة هذا الادعاء لابن سبأ فذكره وأشار الى التأثير اليهودي الذي كان ابن سبأ يتحرك على ضوئه، حتى انتهى بمقولته الى القول بألوهية علي رضي الله عنه، ومن هنا فان الشهرستاني، حين كان يعرف في كتابه (الملل والنحل) بالسبئية أخبر عنهم هكذا: (زعموا أن عليا حي لم يقتل، وفيه الجزء الالهي).

هذا وينسب الى (رشيد الهجري) على زعم أنه كان في عصر علي رضي الله عنه أنه حين قتل رضوان الله عليه دخل عليه (رشيد) وهو مسجى - فسلم وقال لأصحابه: انه - أي علي - ليفهم الآن الكلام، ويرد السلام، ويتنفس نفس الحي، ويعرق تحت الدثار الوثير، وانه الامام الذي يملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما.

وواضح تأثير المذهب الشيعي والحركة السبئية التي قادها ابن السوداء في هذا الزعم الذي يفتقد أصله في معظم المصادر الثقة فضلا عن انقطاع تواتره مع منافاته لكل ما يؤثر عن علي رضي الله عنه.

هذا وبعد أن انقسم القائلون بالباطن، الى عدة فرق ومذاهب، ظل يلازمهم ذلك المنطلق العقدي الذي تبدأ منه كل أنشطة ومذاهب الباطنيين، طوال تاريخ

---

(١) الملل والنحل «هامش الفصل لابن حزم ط - بيروت - ج ٢ ص ١١.

الحركات الباطنية سواء تلك التي تأولت في الفهم وتفسير النصوص أو تلك التي دست بتصورها ومعتقدها على الاسلام والمسلمين.

العقيدة الباطنية:

بعد أن عرفنا أن الحركة الباطنية تنطلق من منهج التأويل بالباطن وأن البداية المبكرة كانت بتأثير من الشخصية التاريخية التي لعبت دورا مهما في الحياة السياسية على الساحة الاسلامية. وأعني بها: عبد الله بن سبأ. ورأينا مرجحين كيف كان التأثير اليهودي في القيادات الشعوبية التي دست على المسلمين ثقافات وأفكاراً غير اسلامية، فقادت هذه الحركات والدعوات، داخل صف الأمة الواحدة، فمزقتها وشتتت وحدتها، فان الأمر ينتهي بالفرق الباطنية جميعا القائلين بألوهية علي وذريته أو الذين قالوا بأنه وصي. فضلا عن الفرق المسماة: بالخطابية أو المخمسة، أو الاسماعيلية، أو القرامطة، الى ذلك الوصف الموجز الذي عرفهم به الشهرستاني في كتابه الملل والنحل حين قال:[1] (.. وانما لزمهم هذا اللقب لحكمهم، بأن لكل ظاهر باطنا، ولكل تنزيل تأويلا، ولهم ألقاب كثيرة، سوى هذه على لسان قوم وقوم، فبالعراق يسمون الباطنية والقرامطة، والمزدكية، وفي خراسات يسمون: التعليمية والملحدة، وهم يقولون: نحن اسماعيلية لأننا تميزنا عن فرق الشيعة بهذا الاسم وهذا الشخص.

ثم ان الباطنية القديمة قد خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة، وصنفوا كتبهم على ذلك المنهاج، فقالوا في الباري تعالي: انا لا نقول هو موجود ولا لا موجود ولا عالم ولا جاهل، ولا قادر ولا عاجز، وكذلك في جميع الصفات، فان الاثبات الحقيقي يقتضي شركة بينه وبين سائر الموجودات في الجهة التي أطلقت عليه وذاك - في زعمهم - تشبيه، فلم يمكن الحكم بالاثبات المطلق، والنفي المطلق، بل هو اله المتقابلين، وخالق الخصمين، والحاكم بين المتضادين. ويقولون في هذا أيضا عن محمد بن علي الباقر: أنه لما وهب العلم للعالمين قيل عالم، ولما وهب القدرة للقادرين قيل هو قادر، فهو عالم وقادر، بمعنى وهب العلم والقدرة، لا بمعنى أنه قام به العلم والقدرة،

---

(١) الملل والنحل ج ٢ ص ٢٩ هامش الفصل لابن حزم ط - بيروت.

أو وصف بالعلم والقدرة، فقيل فيهم انهم: نفاة الصفات حقيقة، معطلة الذات عن جميع الصفات، قالوا وكذلك نقول في القدم: انه ليس بقديم ولا محدث، بل القديم أمره وكلمته، والمحدث خلقه وفطرته، أبدع بالأمر العقل الأول الذي هو تام بالفعل، ثم بتوسطة أبدع النفس الذاتي الذي هو غير تام،[1] ونسبة النفس الى العقل، كنسبة النطفة الى تمام الخلقة، والبيض الى الطير، وأما كنسبة الولد الى. الوالد، والنتيجة الى المنتج، واما كنسبة الأنثى الى الذكر، والزوج الى الزوج، قالوا: ولما اشتاقت النفس الى كمال العقل احتاجت الى حركة من النقص الى الكمال، واحتاجت الحركة الى آلة الحركة فحدثت الأفلاك السماوية، وتحركت حركة استقامت بتدبير النفس أيضا، فتركبت المركبات من المعادن والنبات والحيوان والانسان، واتصلت النفوس الجزئية بالأبدان وكان نوع الانسان مميزا عن سائر الموجودات بالاستعداد الخاص، لفيض تلك الأنوار، وكان عالمه في مقابلة العالم كله وفي العالم العلوي عقل ونفس كلي ووجب أن يكون في هذا العالم عقل شخص هو كل، ويحكمه حكم الشخص الكامل البالغ، ويسمونه الناطق: وهو النبي.. ونفس مشخصه، هو كل أيضا، وحكمها حكم الطفل الناقص التوجيه الى الكمال، أو حكم النطفة المتوجهة الى التمام، أو حكم الأنثى المزدوج بالذكر، ويسمونه الأساس وهو الوصي، قالوا: وكما تحركت الأفلاك، بتحريك النفس والعقل والطبائع كذلك تحركت النفوس والأشخاص بالشرائع، بتحريك النبي والوصي، في كل زمان، دائرا على سبعة سبعة حتى ينتهي الى الدور الأخير، ويدخل زمان القيامة، وترتفع التكاليف وتضمحل السنين والشرائع، وانما هذه الحركات الفلكية والسنين الشرعية لتبلغ النفس الى حال كمالها، وكمالها هو بلوغ درجة العقل واتحادها به، ووصولها الى مرتبته فعلا وذلك هو القيامة الكبرى، فتنحل تراكيب الأفلاك والعناصر والمركبات، وتنشق السماء وتتناثر الكواكب، وتبدل الأرض، غير الأرض وتطوى السموات كطي السجل للكتاب المرقوم فيه ويحاسب الخلق، ويتميز الخير عن الشر، والمطيع عن

---

(١) فند علماء العقيدة السلفية، هذا الباطل الفلسفي، وردوا عليه ردا مفحما ومن اليسير الرجوع الى العلامة: صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي في (شرح الطحاوية في العقيدة السلفية) وعند رده على المعطلة فيما قالوه عن الأسماء والصفحات صفحة ٥٣، وفي الرد على المشبهة صفحة ٦٣ من طبعة كلية الشريعة جامعة محمد بن سعود الاسلامية.

العاصي، وتتصل جزئيات الحق بالنفس الكلي، وجزئيات الباطل بالشيطان المبطل. فمن وقت الحركة الى وقت السكون، الى ما لا نهاية له هو الكمال، ثم قالوا: ما من فريضة وسنة، وحكم من أحكام الشرع من بيع واجازة وهبة ونكاح وطلاق وجراح وقصاص ودية الا وله وزان من العالم عددا في مقابلة عدد، وحكما في مطابقة حكم، فان الشرائع عوالم روحية أمرية، والعوالم شرائع جسمانية خلقية، وكذلك التركيبات في الحروف والكلمات على وزان تركيبات الصور والأجسام، ونسبة الحروف المفردة إلى المركبات من الكلمات وكالبسائط المجردة الى المركبات من الاجسام، ولكل حرف وزان في العالم، وطبيعة يخصها، وتأثير من حيث تلك الخاصية في النفوس، كما صارت الأغذية المستفادة من الطبائع الخلقية غذاء للأبدان، وقد قدر الله تعالى أن يكون غذاء كل موجود مما خلقه منه، فعلى هذه الوزان صاروا الى ذكر أعداد الكلمات والآيات، وأن التسمية مركبة من سبعة واثني عشر، وأن التهليل مركب من أربع كلمات في احدى الشهادتين، وثلاث كلمات في الشهادة الثانية، وكذلك في كل آية أمكنهم استخراج ذلك، مما لا يعمل العاقل فكرته فيه الا ويعجز عن ذلك خوفا من مقابلته بضده، وهذه المقابلات، كانت طريقة أسلافهم، قد صنفوا فيها كتبا ودعوا الناس الى امام في كل زمان، يعرف موازنات هذه العلوم، ويهتدي الى مدارج هذه الأوضاع والرسوم، ثم أصحاب الدعوة الجديدة، تنكبوا هذه الطريقة، حين أظهر الحسن الصباح دعوته وقصر على الالتزامات كلمته، واستظهر بالرجال، وتحصن بالقلاع وكان بدء صعوده الى قلعة الموت في شعبان سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة، وذلك بعد أن هاجر الى بلاد امامه وتلقى منه كيفية الدعوة لأبناء زمانه، فعاد ودعا الناس أول دعوة الى تعيين امام صادق، قائم في كل زمان، وتمييز الفرقة الناجية من سائر الفرق، بهذه النكتة وهو أن لهم اماما وليس لغيرهم امام، وانما يعود خلاصة كلامه بعد ترديد القول فيه عودا على بدء بالعربية والعجمية. انتهى الشهرستاني.

وفي هذا يقول ابن حزم في الكشف عن الدوافع التي كانت وراء هذه التيارات والثقافات الغير الاسلامية: الأصل في أكثر خروج هذه الطوائف عن ديانة الاسلام، أن الفرس، كانوا من سعة الملك، وعلو اليد على جميع الأمم... حتى أنهم كانوا يسمون أنفسهم: الأحرار والأبناء، وكانوا يعدون سائر الناس عبيدا لهم، فلما

امتحنوا بزوال الدولة على أيدي العرب، وكانت العرب أقل الأمم عند الفرس خطرا، تعاظم الأمر وتضاعفت لديهم المصيبة، وراموا كيد الاسلام بالمحاربة في أوقات شتى ،ففي كل ذلك يظهر الله سبحانه وتعالى الحق وكان من قائمتهم: (ستقادة واستاسيس، والمقنع، وبابك)وغيرهم، وقبل هؤلاء: رام ذلك:(عمار الملقب بخداش، وأبو سلم السراج)، فرأوا أن كيده على الحيلة أنجح. فأظهر قوم منهم الاسلام، واستمالوا أهل التشيع، باظهار محبة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستشناع ظلم علي رضي الله عنه ثم سلكوا بهم مسالك شتى حتى أخرجوهم عن ملة الاسلام، فقوم منهم أدخلوهم الى القول، بأن رجلا ينتظر يدعى المهدي، عنده حقيقة الدين، اذ لا يجوز أن يؤخذ الدين من هؤلاء الكفار اذ نسبوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكفر ،وقوم خرجوا الى نبوة من ادعوا له النبوة، وقوم سلكوا بهم المسلك الذي ذكرنا من القول، بالحلول وسقوط الشرائع، وآخرون تلاعبوا فأوجبوا عليهم خمسين صلاة في كل يوم وليلة، وآخرون قالوا: بل هي سبع عشر صلاة في كل صلاة خمس عشرة ركعة، وهذا قول: عبد الله بن عمرو بن الحرث الكندي، قبل أن يصير خارجا. وقد سلك هذا المسلك أيضا عبد الله بن سبأ الحميري اليهودي، فانه لعنه الله أظهر الاسلام لكيد أهله فهو كان أصل اثارة الناس على عثمان رضي الله عنه، وأحرق علي رضي الله عنه منهم طوائف أعلنوا بالألوهية. ومن هذه الأصول الملعونة، حدثت الاسماعيلية والقرامطة، وهما طائفتان، مجاهرتان بترك الاسلام جملة، قائلتان بالمجوسية المحضة، ثم مذهب (مزدك) الذي كان على عهد أنوشروان ابن قباد ملك الفرس، وكان يقول: بوجوب اشتراك الناس في النساء والأموال[1].. أي بالدعوة الى المشاع في المقدرات والثروات، حتى في الأعراض والأنساب، الدعوة الفاسدة التي كادت أن تطمس معالم ومقومات ما تبقى من آدمية الناس في عهد أنوشروان ملك الفرس.

ولعل هذا الأساس التاريخي للدعوات والمذاهب الباطنية والحركات السرية التي تنسب ظلما وعدوانا للاسلام هو الباعث والموجه لكل ما يحيط ويتصل بهذه المذاهب

---

(١) ابن حزم (الفصل في الملل والأهواء والنحل) جزء ٢ - ص ١١٦ طبعة دار المعرفة للطباعة والنشر - الطبعة الثانية عام ١٣٩٥ - ١٩٧٥.

من تحلل وفساد[١] وانحطاط خلقي وسلوك هابط الى مستوى البهيمية البحتة[٢].

منهج الباطنية في الدعوة الى مذهبهم

كان من الطبيعي، أن تكون عقيدة في السلوك كعقيدة الباطنية تتصرف في النصوص دينية كانت أم أدبية، وتعمل الظاهر والباطن في تناول أمور العقيدة. وتقتبس من أساليب الرمزية الفارسية، والمادية اليهودية، كان من الطبيعي أن يكون لها منهج في دعوة الناس الى الاقبال على ما يعتقد الباطنيون.

ومن ثم كان لا بد أن يكون المنهج في الدعوة للباطنية ترجمة أمينة تحقق ما يصبو اليه الباطنيون. ومن هنا فقد رأينا العجب التنظيمي في قواعد وأساليب الدعوة الباطنية. مما يتأكد معه تماما افتراق المنهج الباطني والباطنيين جميعا عن ساحة الدعوة الاسلامية، فبينما الدعوة الى الله في الاسلام تكون على بصيرة وحكمة وسماحة، وبغير تعقيد في الممارسة أو طقوس كهنوت، ويستوي فيها الجميع، طالما كان أهلا للمسئولية، فان القواعد الباطنية في الدعوة لهذا المذهب، تريك من الممارسات ما تجزم معه بأنه من المستحيل أن تكون أساليب كتلك في اتجاه الله تعالى أو أن تكون شكلا من أشكال الدعوة الاسلامية ومن هذه الأساليب التي لا بد وأن تتوفر في دعاتهم أولا لكي ينتقوا العناصر، التي يمكن أن تكون لها نفس الصلاحية فيما بعد وتستحق الانخراط في عضوية النشاط الباطني، الذي أفرز على مدى التاريخ حركات ومذاهب ومدارس، كانت جميعا تعمل عملها ضد الاسلام والمسلمين.

١ - التفرس والخداع:

ومعنى هذه الخاصية، أو القاعدة في النهج الباطني، أن يكون الداعي للباطنية، ذكيا فطنا، متفرسا، على درجة عالية من القدرة على الخداع ولا بد له أن يميز بين من

---

(١) صابر طعمية (الماسونية والصهيونية والشيوعية غاية وهدفا) دار الفكر العربي القاهرة - عام ١٩٧٨ ص ٢٨٠.

(٢) (عبد الرحمن الوكيل) (البهائية والصهيونية العالمية) القاهرة - الطبعة الأولى ص ١٦٣.

يطمع فيه ويوثق بلينه، حتى يقبل ما يلقى اليه، وأن يكون ذا حدس وقدرة على التلون، وتغيير الظواهر، وردها الى الباطن، وأن يكون متمتعا بالقدرة التي تعاونه على دعوة كل واحد ممن يختار بما يصلح له ليقبل، والانضواء في العمل الباطني، فلا بأس عندهم أن يدعي الشيعي، بطريق التشيع، والزاهد بطريق الزهد والماجن عن طريق المجون[1].

٢ - حيلة التأنيس:

التلون في الممارسة وتعديل أساليب الدعوة الباطنية، ينطلق من هذه القاعدة، المسماة عندهم (حيلة التأنيس) وهي في معتقدهم أن يوافق دعاتهم من يدعى للدخول في الباطنية على ما هو عليه مرحليا، استئناسا له طالما وجدوا فيه الصلاحية البعيدة المدى، لكي ينتفعوا به في تحقيق دعوتهم ضد الاسلام.

٣ - التشكيك:

ما على الدعاة الباطنيين بعد استدراج المدعو الى مرحلة التأنيس الا أن يبدأوا في قاعدتهم الباطنية الثالثة وهي حيلة التشكيك، ذلك أنه بعد أن يأنس المستجيب لدعوة الباطنية يبدأ الدعاة الباطنيون في مرحلة تغيير عقيدته، باثارة أسئلة حول بعض الأمور الشرعية، التي لا علة لها، الا حكمة التعبد والامتثال لأمر الله تعالى: فيسأل الذي كان يستأنس منذ قريب وكان يقر على ما هو عليه من ميول. يسأل في هذه المرحلة عن أمور في غالب الأمر، لا يكون هو من الذين يملكون الاجابة عليها ومن غير المجهزين بالزاد الاسلامي الكافي لتفهمها، يسأل مثلا عن المتشابهات، وأوائل السور، ولم هي هكذا، ثم يسأل الدعاة الباطنيون من يكون قد وقع في مرحلة (التشكيك) أسئلة محددة: ما بال الحائض تقضي الصوم دون الصلاة، ما بال أبواب الجنة ثمانية، وأبواب النار سبعة، وغير ذلك مما يمكن أن يقع فيه المسلم، غير المحصن، بأحكام الدين وتقواه، في مزالق شيطانية تسلمه الي ما يبتغي الباطنية من أهداف وغايات، مجردا من عقيدته الدينية التي كان عليها[2].

---

(١) (يحيى بن حمزة العلوى) (الافحام لأفئدة الباطنية الطغام) ط الاسكندرية ص ١٧.

(٢) يحيى بن حمزة العلوى)(الافحام لأفئدة الباطنية الطغام)منشأة المعارف بالاسكندرية تحقيق، فيصل برعون، صفحة ١٨.

٤ - حيلة التعليق:

شأن كل الأعمال التنظيمية السرية في بادىء أمرها، حين تجند عناصر ونماذج تؤهلهم لعضويتها، فان المنهج الباطني في الدعوة لهذا المذهب يدخل أو يطبق بعد مرحلة أو حيلة التشكيك، المرحلة التي يسميها الباطنيون (التعليق)، أي تعليق عضوية العضو، تمهيدا لربطه بالجماعة الباطنية، وذلك بعد أن يكون قد دخله الشك والريب في أمور عقيدته واهتز سكون نفسه.

٥ - حيلة الربط:

بعد حيلة تعليق العضو تنتابه الحيرة وتفترسه الشكوك وتكون حاجته الى حماية الباطني قوية، فتجيء مرحلة الربط وهي أخذ العهود والمواثيق من المدعو، وأخذ المال الذي جعلوه على من استجاب لهم، ولهم طقوس ويمين وعهد، أشبه بطقوس المحافل الماسونية عند تدرج أحد أعضائها في مقام من المقامات الماسونية[١]

٦ - حيلة التدليس:

هذه المرحلة من مراحل العمل الباطني، فيها يكون العضو أكثر من مجهز لتقبل الأفكار والمعطيات التي تقدم له. وهنا يوضع أمام من يقول له في كل ما ينظم علاقته بالعمل الباطني: ان أمر الدين ليس بهين ولا مكشوف، وهو سر الله المكتوم وأمره المخزون. ولا ينهض بحمله الا الامام المنصوب الذي هو الطريق الى علم النبي الناطق[٢].

٧ - حيلة التأسيس:

عند هذه المرحلة يكون العضو قد أوشك أن يكون باطنيا فتوضع أمامه جملة من القضايا التي لا تنكر في الظاهر، ولا تبطل الباطن، تستدرج المدعو من حيث لا يعلم، عندئذ يطرح عليه بعض ركائز منطلقاتهم حين يعرفوه: أن الظاهر قشر، والباطن لب، الظاهر رمز، والباطن المعنى المقصود، ويورد عليه أشياء، تأسيسا لقبول الباطن[٣].

---

(١) د. صابر طعيمة (الماسونية ذلك العالم المجهول)، دار الجيل - بيروت - ١٩٧٦ م ص ١٢٢.

(٢) (يحيى بن حمزة العلوى) (الافحام لأفئدة الباطنية الطغام)، ص ١٨.

(٣) (يحيى بن حمزة العلوى) (الافحام لأفئدة الباطنية الطغام)، ص ١٨.

٨ - الخلع:

هذه الرتبة الثامنة أو القاعدة الثامنة من النهج الباطني في تجنيد العناصر التي يستهدفونها لا تجيء الا بعد مرحلة التأسيس، وهذه الرتبة. معناها في التدرج التنظيمي لعضوية الباطنية: الخلع من الدين والتعبد بدين الباطنية. فيقول الداعي للمدعو: فائدة الظاهر أن تفهم ما أودع فيه من علم الباطن لا العمل به. ويقولون: لا معنى لما تقوله الظاهرية: ان العمل بالظاهر عبادة ولا معنى عندهم للعبادات، والعمل بالظاهر جهل عندهم واذا ما قبل المدعو معطياتهم له في هذه المرحلة من حيث اسقاط التكاليف الشرعية وتعطيل ظاهر الأحكام ودلالتها. دخل مرحلة الباطنية الخالصة.

٩ - مرحلة الانسلاخ:

هذه المرحلة هي الغاية المستهدفة أصلا: ولا تأتي الا بعد المراحل الباطنية جميعا: وهذه المراحل من التفرس الى التأنيس، والتشكيك. والتعليق. والربط، والتدليس، والخلع، ثم الانسلاخ متداخلة ومترابطة. وتنفذ بمهارة ودقة. ويقوم بها أكفاء من الباطنيين، مهمتهم التنسيق لحركة العضوية وربط العلاقات فيما بينها، ذلك أن الإنسان المدعو حين يدخل مرحلة التشكيك تطوى الإجابة عنه، ويترك معلقا لا يتلقى إجابة تشفي حاجته الحيرى، ويكون في نفس الوقت، قد بدأ يدخل مرحلة العهود والمواثق، أي بدأ يدخل مرحلة الارتباط بهم والثقة فيهم، وأصبح من العسير عليه فكريا، وتنظيميا أيضا الخروج الى الغير لينشد ضالته، عندهم بعد أن تورط في متاهات العمل الباطني. وهنا تأتيه مرحلة التدليس، ثم التلبيس، انطلاقا من قاعدة المذهب الباطني وهي: (منار الجهل تحكيم العقل). وعندها يبدأ التدليس في أخبار القرآن الكريم، والتشكيك في صحة جمعه. ومدى حاجتهم الى تأويل ظاهر معناه، ليعرفوا فيما زعموا حقيقته بتأويل المبنى الى المعنى. والظاهر الى الباطن ولا بأس عندهم. أثناء هذه المراحل، أن يوحوا الى العضو الجديد، بذكر اسم من أسماء العلماء النبهاء، يكون خبره، قد تناهى الى العضو المزمع خلعه من دينه، بأنه هو الآخر على الدرب من قبل، ثم يبررون له عدم الاعلان عن أسماء العلماء أمثال من ذكروه له، بأن السرية غايتهم والكتمان وسيلتهم، وهكذا يضلل العضو ويوزع بين المراحل الثمانية

حتى يتم (سلخه) من عقيدته والدخول في العقيدة الباطنية، وترك ملة الاسلام، بالانسلاخ منها والخروج من ضوابطها وأحكامها: كفرا والحادا، أو تعطيلا لأحكام الله في نفسه ومع من حوله من الناس. وعندئذ تقول له الباطنية: قد حللناك من عقالك، وأطلقناك من وثاقك، فاستعجل اللذات واستقبل الشهوات لأن هذا هو الهدف والمبتغى[1].

(خلاصة المذهب الباطني)

يوجز أبو حامد الغزالي، ويلخص المذهب الباطني في عبارات محددة حين يقول: (هو مذهب ظاهره الرفض، وباطنه الكفر المحض ومفتتحه حصر مدارك العلوم في قول الامام المعصوم...).

هذا ويمكن حصر العقيدة الباطنية وتلخيصها، على ضوء ما ذهب اليه أبو حامد الغزالي في كتابه (فضائح الباطنية) الذي حققه الدكتور عبد الرحمن بدوى في الآتي[2]:

١ - في الالهيات:

يقولون بألوهية اثنين، وعندهم أن الأول علة، والثاني معلول، والعلة السابق، والمعلول التالي، ويقولون السابق لا يوصف بوجود ولا عدم، وليس هو معلوم ولا مجهول، ولا موصوف ولا غير موصوف.

وقد ذهبوا الى أن لكل من العالم السفلي، والعالم العلوي فاعل: فالأول فاعل الأجسام النافعة والثاني فاعل الأجسام الضارة، وهذا هو قول المجوس، ثم زعموا أن دور النفس سبعة آلاف سنة، ثم يصير العالم روحانيا. وهذا قريب من مذهب المجوس فى الامتزاج.

ومن كلامهم: اذا لقيت الدهري يقول بقدم العالم، ونفى الصانع، فقد ظفرت بالحق - ونعوذ بالله مما قالوا -.

---

(١) يحيى بن حمزة العلوى (الافحام الأفئدة الباطنية الطغام) ص ١٩.

(٢) أبو حامد الغزالي (فضائح الباطنية) تحقيق وتقديم د. عبد الرحمن بدوى ص ٨.

(٣) يحيى بن حمزة العلوى (الافحام لأفئدة الباطنية الطغام) ص ٢٠.

الفرق الباطنية واتجاهاتها العقيدية

التعريف بالمذهب الباطني:

الباطنية: لقب اصطلاحي، تندرج تحته اتجاهات لطوائف وفرق مختلفة، القاسم المشترك فيما بينها. أو الصفة العامة التي تغلب عليها هي: تأويل النص الظاهر بالمعنى الباطن، تأويلا يذهب مذاهب شتى، قد يصل بالمذاهب الباطنية، التي تعمل التأويل في النص، إلى حد التناقض فيما بينها، بحيث تصبح الفرق الباطنية خارجة عن ملة الاسلام، بل فرقا من فرق الكفر[١].

ويغلب على دارسي الفرق والمذاهب العقيدية أن يعرفوا النهج الباطني في تناول النصوص: بأنه المنهج. الذي يعالج النصوص على أنها رموز واشارات، الى حقائق خفية، وأسرار مكتوبة، ومن ثم يعالجون الشعائر الدينية، والأحكام العملية على أنها رموز وأسرار[٢]. وأن العامة من الناس هم الذين يقفون أمام الظواهر، والقشور، ويقنعون بها، أما أهل الباطن (الباطنيون) فهم الذين ينفذون إلى المعاني الخفية المستورة، التي هي من شأن العلم الحق عندهم،: علم الباطن[٣]. وقد اعتقد عدد من العامة على امتداد التاريخ في بعض ديار المسلمين، بهذه العقيدة، في بعض صورها وطلاسمها، وذلك عقب غيبة العمل الاسلامي المستنير، وبتأثر من نشاط الجماعات الباطنية التي تبدو في بعض مظاهر سلوكها قائمة على الزهد والتقشف والاكثار من الصلاة والأكل من كسب اليد[٤].

وقد استقرأ أبو حامد الغزالي في كتابه (فضائح الباطنية) الاتجاهات التي اندرجت تحت منهج: التأويل الباطني، أي تفسير النص الظاهر بالمعنى الباطن

---

(١) (عبد القاهر البغدادي): (الفرق بين الفرق) ط- بيروت ص ٢٢

(٢) (المسعودي): (مروج الذهب) جـ ٤ صفحة ٦٦

(٣) أبو حامد الغزالي (فضائح الباطنية) تحقيق وتقديم الدكتور عبد الرحمن بدوي دار المعارف بمصر صفحة ٥٦.

(٤) ابن الاثير (الكامل في التاريخ) الطبعة الثانية - بيروت ١٩٦٧ ج ٦ ص ٦٩.

٢ - في النبوات:

النبي عند الباطنية عبارة عن شخص جاءت اليه النبوة من علة بواسطة معلول، وهم في عقيدتهم في النبوة، يقتربون كثيرا من مذاهب الفلاسفة غير الاسلاميين، أي أن النبي عندهم كما هو عند الفلاسفة - نعوذ بالله من ذلك - عبارة عن شخص فاضت عليه من السابق، أي من العلة، بواسطة التالي أي المعلول قوة قدسية، كما يحدث لبعض النفوس في المنام. وقالوا: ان جبريل عبارة عن العقل الفائض عليه، أما القرآن فهو تعبير محمد عن المعارف التي فاضت عليه من العقل، ولهم تأويلات في النبوات كثيرة وكافرة، فهم انطلاقا من انكارهم للوحى الالهي، ذهبوا الى أن ما روى من أخبار النبوات رموز لا يعرفها الا أهل الظاهر، فثعبان موسى فيما زعموا: هو حجته وتظليل الغمام أمر موسى. وعندهم أن معنى المسيح: لا أب له أنه لم يأخذ العلم عن امام، وانما كان شقيا من أشقياء ذلك الزمن[١]، أما أحياؤه الموتى. فاشارة الى علمه الذي يهدي به، ونبع الماء بين أصابع النبي اشارة الى كثرة علمه. وهكذا.

ومن الواضح البين أن هذه العقيدة في النبوات تتنافى وتتناقض مع العقيدة الاسلامية القائمة على ما أبلغه النبي من الوحى الالهي الذي بلغه للناس عن رب العالمين.

٣ - معتقدهم في الإمامة:

يعتقد الباطنيون أن كل عصر لا بد له من أمام يرجع اليه في تفسير الظاهر بعلم الباطن الذي هو تعبير عندهم يقتضي العصمة، واتفقوا بغير خلاف: أنه لا بد في كل عصر من امام معصوم، قائم بالحق يرجع اليه في تأويل الظواهر، وحل الاشكالات التي في القرآن - على حد ما زعموا قبحهم الله - وزعموا أيضاً أن كل نبي بشريعته له مدة محدودة، اذا انصرفت مدته بعث الله نبيا آخر، ومدة كل نبي سبعة أعمار، ثم يعتقدون أنه يقوم بعد وفاة كل نبي ستة أئمة، ويعتقدون أيضا أن لكل نبي (سوس) (الفكرة فارسية يهودية): والسوس هو الباب الى علم النبي في حياته، والوصي بالتالي بعد وفاته، والامام لمن هم في زمانه...: (هكذا يعتقدون)[٢]

---

(١) يحيى بن حمزة العلوى (الافحام لأفئدة الباطنية الطغام) ص ٢١.

(٢) د. عبد الرحمن بدوى (مذاهب الاسلاميين) جـ ٢، ش ٤٥٠.

هذا وقد اتفق الباطنية على انكار القيامة، وقالوا: ان هذا الكون لا يفنى... وهنا عند هذا المعتقد في القيامة والميعاد، وما يترتب عليها من الاعتقاد في البعث والحشر والصراط والميزان والجنة والنار، ظهر أثر الغزو الفلسفي اليوناني لعقيدة الباطنية فقد أولوا: القيامة، بأنها رمز لخروج الامام، وقالوا: معنى الميعاد عود كل شيء الى أصله، على ما يقوله الفلاسفة.

وعند نهاية المطاف في عقيدة الباطنية التي عرضنا لها في ايجاز، يرى الدارس أنه أمام عقيدة باطلة فاسدة كافرة، غير متأولة فقط بل خرجت عن الاسلام خروج كفر بعد أن تأثرت واصطبغت بالثقافة الفارسية واليونانية، حتى عندما اعتقدوا بالاباحة المطلقة لكل محظور، ورفعوا الشرع من أمام وجوههم، لم يكونوا أكثر ولا أقل من التعبير عن الدعوات الوثنية التي سبقتهم، وبالأخص دعوة مزدك وماني، فقد دعا كل منهما الى الاباحة المطلقة. لكن وزر ماني ومزدك قد يكون أقل من الباطنيين، اذ أنهما عندما دعوا الى رفع الحدود الاخلاقية وأباحا كل شيء، كان الشرع الذي أمامهما شرعا وضعيا ماديا، فيه من العجز والقصور ما فيه، أما الباطنيون فقد خرجوا على شرع الله ودعوا الناس الى شركاء من دون الله، شرعوا لهم ما لم يأذن به الله، فبئس ما دعو اليه وبئس ما يصنعون.

الصوفية في ضوء العقيدة الاسلامية

دلالة التسمية:

لاحظ المستشرق (نيكلسون) في كتابه (في التصوف الاسلامي) أن هناك تعريفات كثيرة للتصوف. وخاصة في مرحلة القرنين الثالث والرابع الهجريين، أي بعد أن بدأت ظاهرة التصوف في الانتشار، وأن كل انتساب فيما لاحظ (نيكسون) الى (الصوف) يقابله[1]، اثنا عشر تعريفا تعتمد على الصفاء الذي حاول الصوفية أن ينتسبوا اليه.

وصاحب (اللمع) يريد هو الآخر أن يسير على نفس الخط فيقول: ان العبد اذا صفا من كدر البشرية يقال له: قد صوفى فهو صوفى[2].

ولئن كان هذا الاشتقاق أو هذه التسمية مرفوضة حتى عند (القشيري) في الرسالة القشيرية، لكون هذا الاشتقاق بعيدا في اللغة فهناك من مؤرخي وكتاب الفرق من

(١) (في التصوف الاسلامي) - (نيكلسون) ترجمة عفيفي أبو العلا طبعة لجنة الترجمة والنشر - القاهرة ص ٢٨.

(٢) «اللمع» أبو نصر السراج - تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود - القاهرة عام ١٩٦٠ ص ٤٧.

يحاول أن يشتق لدلالة (التصوف) معاني من (صفّة المسجد) على غرار تلك التي كانت في مؤخرة مسجد النبي ﷺ بالمدينة، حيث كان ينزلها الفقراء من المسلمين ممن ليس له أهل ولا مكان يأوي اليه: وكان فقراء المسلمين من الذين يأوون الى الصفة، أو من أهل الصفة اذا جاز التعبير يكتسبون عند امكان الاكتساب، الذي لا يصدهم عما هو أوجب أو أحب الى الله من الكسب، وأما اذا أحصروا في سبيل الله عن الكسب. فكانوا يقدمون ما هو أقرب الى الله ورسوله، وكان الرسول ﷺ يبعث اليهم بما يكون عنده[1].

ومن الواضح الجلى أن ادعاء المتصوفة ومن ذهب معهم من الكتاب اشتقاق التسمية (تصوف) من (صفَّة المسجد) يستهدف به ارتباط التصوف في نشأته الأولى بعصور تاريخية متقدمة بل يستهدف.ارتباطه بعصر النبي ﷺ والزعم في نفس الوقت بأن الرسول ﷺ. قد أقر منهجهم في الافتقار والاعتزال والتجرد والتواكل المزعوم، وهذا مالا يقبله عقل منصف اطلع على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ بالاضافة الى سيرة السلف رضوان الله عليهم.

ومن أجل التدليل على الزعم الذي يذهب الى اشتقاق نشأة التصوف من صفَّة المسجد يقول السهروردى في كتابه (عوارف المعارف): (قد اجتمعوا بمسجد المدينة، كما يجتمع الصوفية قديما وحديثا في الزوايا والرّبط لا يرجعون الى زرع ولا الى ضرع ولا الى تجارة وكان - فما زعم السهروردي بغير حجة ولا سند متصل يؤكد ما يذهب اليه في زعمه رسول الله ﷺ يحث الناس على مواساتهم ويؤاكلهم ويجالسهم.

ويكفي في رفض هذا الزعم ودحض هذا الرأي الذي يربط (التصوف) بصفَّة المسجد أن اشتقاقه اللغوي سقيم ومرفوض، لأن مقاييس اللغة لا تعين عليه فضلا عن سيرة الرسول ﷺ مع أصحابه وعدم وجود نمط من أصحابه يعتبر أساسا في سلوكه لهذه الدعوى الصوفية.

وفي مجال البحث التاريخي المجرد يجيء (جورجي زيدان) الكاتب النصراني فيعقد صلة بين الكلمة العربية (تصوف) والكلمة اليونانية (سوفيا) فيقول: انها

---

(١) مجموعة الرسائل والوسائل) شيخ الاسلام بن تيمية ط القاهرة عام ١٩٥٢.

مشتقة من لفظة يونانية الأصل هي (سوفيا) ومعناها الحكمة فيكون الصوفية عند جورج زيدان قد لقبوا بذلك الاسم الذي عرفوا به نسبة الى (الحكمة)، لكن المستشرق (نولدكة) استبعد هذه الصلة لأسباب لغوية يونانية نعتقد أن الكاتب النصراني جورج زيدان كان يجهلها وهي: أن (سيجما) اليوناني حرف يمثل في العصور المتأخرة، بحرف السين العربي في جميع ما عرب من كلمات يونانية لا بحرف الصاد[1].

هذا ومما يجدر ذكره أن هناك نسبة ضعيفة للفظة (تصوف) لم تجد عند الباحثين استحسانا مثل النسبة الى الصفة، إذ أن كلمة التصوف عند من ذهب هذا المذهب من المتصوفة تعني - في زعمهم - بالاتصاف بالصفات الحميدة وترك الصفات الذميمة[2].

وهذه النسبة لم تلق من الاستحسان فضلا عن عدم الاستقامة العلمية ما حصرها في نطاق الرأي الضعيف الذي لم ينظر اليه تاريخيا بعناية.

هذا ونسبة (التصوف) الى الصوف، أقرب الى الاشتقاق اللغوي خاصة اذا نظرنا الى الظروف التاريخية التي نشأ فيها بعض الذين انخرطوا في سلك المتعبدين بالقلوب المعطلين لأسباب العبادة والسعي والذين تميزوا في الحياة العامة بارتداء ثوب الصوف، ثم تطور منهجهم في تناول بعض المسائل الدينية الى المستوى الذي أصبحوا فيه أبعد ما يكونون عن المنطلقات والبدايات التي كان عليها علماء السلف رضوان الله عليهم، بل إن التطور في تناول بعض المسائل الدينية عند أولئك الذين تميزوا بارتداء ثوب الصوف قد أصبح أبعد ما يكون عن البدايات المستقيمة نوعا ما عند بعض الذين نهجوا تعبديا عرف بالتصوف.

ويبدو أن البداية عند بعض المؤرخين في دراسة سلوك التصوف كان اعتقاد البعض منهم من ذوى القلوب الحية والضمائر النقية أن ارتداءهم للصوف، انما هو محاكاة، واقتداء بالصالحين، وخاصة فيما اعتقدوا أنه اقتداء بأصحاب رسول الله ﷺ، مع أننا نستبعد هذا التصور، لكن المسعودي روى في (مروج الذهب) في الجزء

(١) (نشأة التصوف الاسلامي) د. ابراهيم بسيوني ط دار المعارف بمصر عام ١٩٦٩ ص ١٠.

(٢) (نشأة التصوف الاسلامي) د. ابراهيم بسيوني ط دار المعارف بمصر عام ١٩٦٩ ص ١١.

الأول صفحة ٤١٨، في أخبار أبي عبيدة بن الجراح أنه حين كان بالشام يظهر على الناس وهو يرتدي الصوف الجافي لامه على ذلك بعض أصحابه وقالوا له: (انك بالشام وحولنا الأعداء، فغير من زيك وأصلح من شارتك، فقال: ما كنت بالذي أترك ما كنت عليه في عهد الرسول ﷺ.

ولا نعتقد أنه ان صح هذا الموقف حول أبي عبيدة رضي الله عنه، أن البدايات الأولى لحركة بعض الزهاد كانت تستهدف سلوكا تعبديا واجتماعيا على غرار القائد الجليل أبي عبيدة، فقد عرف عن معظم أولئك الذين كانوا البدايات السلوكية لظاهرة الزهد: القعود والتواكل والافتقار الى الناس.

كما ينسبون الى الحسن البصري قوله: (أدركت سبعين بدريا كان لباسهم الصوف)[1].

ويبدو أن لتأثير الرهبنة المسيحية التي كان فيها الرهبان يلبسون الصوف وهم في أديرتهم كثرة كثيرة من المنقطعين لهذه الممارسة على امتداد الأرض التي حررها الاسلام بالتوحيد أعطى هو الآخر دورا في التأثر الذي بدا على سلوك الأوائل من رواد حركة الزهد والانقطاع له كما أعطى تأثيرا في سلوك العناصر التي رغبت في التقشف والانكماش في هذا النهج المتخفف من جهاد الحياة والكد فيها.

غير أن مسار هذه الجماعات التي انطلقت تحمل مؤثرات غير اسلامية بالمستوى الذي كان عليه السلف من المسلمين فتعرج في عدة اتجاهات حتى كادت أن تنقطع الصلات والروابط التي بينهم وبين الاسلام وحتى إنه ليمكن القول وبغير تجاوز أنه قد ضل على مسار التاريخ الاسلامي الطويل معظم المنخرطين في سلك الجماعات الصوفية وكان من أمرهم ما كان مما سنعرض له في الصفحات التالية.

نظرة تاريخية على ظاهرة التصوف

على ضوء حقائق التاريخ الاسلامي، وسيرة الصدر الأول، بالاضافة الى سلوك وحياة علماء السلف رضوان الله عليهم فضلا عن عهد النبي ﷺ وطوال مرحلة الخلفاء الأربعة، لم تكن ظاهرة التصوف وما تمثله من منطلقات ومظاهر تمثل سلوكا

---

(١) أبو نعيم الاصبهاني: (حلية الأولياء) جـ٢، ص ١٣٤.

معينا متميزا تقوم به جماعة من المسلمين دون غيرهم.

والمحاولات أو المواقف التي كان فيها بعض المسلمين من أصحاب القلوب الرقيقة، أو ممن كان لهم مواقف متصلبة وآذوا كثيرا من المسلمين قبل اسلامهم ثم أرادوا التنطع والغلو في تناولهم لتعاليم وتوجيهات الاسلام أو أرادوا التفرغ الكامل والزهد والاعتكاف عن ضزوب الجهاد كل أيام عمرهم، كان رسول الله ﷺ ينهاهم عن ذلك الاقبال أو هذا الانضواء والانطواء، حين كان ﷺ يقول: (انما بعثت بالحنيفية السمحة)[١].

وحين يقول ﷺ: (فان لجسمك عليك حقا، وان لعينيك عليك حقا، وان لزوجك عليك حقا)[٢].

وحين يقول ﷺ: (ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة، ولا الآخرة للدنيا، ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه)[٣]

وحين دخل (بهلول بن ذئيب) على النبي ﷺ باكيا وقد تغيرت ملامح بهلول، فسأله النبي عن سر بكائه: فقال: (يا رسول الله... لقد ركبت ذنوبا إن يأخذني الله ببعضها... خلدني في جهنم، ولا أرى الا أنه سيأخذني).

بهلول هذا رضي الله عنه كان قد مضى الى الجبال بعد شعور ركبه ويأس سيطر عليه في أنه لن يشمله عفو الله ورحمته فأغل نفسه بالحديد، ووقف بالجبل ينادي: يا إلهي وسيدي ومولاي... هذا بهلول مغلولا مسلسلا معترفا بذنوبه[٤].

وحين علم النبي ﷺ بأمر رجل على شاكلة بهلول بن ذئيب صام النهار ولم يفطر الليل قال له ﷺ: (من أمرك أن تعذب نفسك؟ ثلاث مرات...)[٥].

وحين طوقت (الحولاء بنت نويت) نفسها بحبل حتى لا يغلبها النوم وعلم صلى الله

---

(١) مسند أحمد جـ٥، ص ٢٦٦.

(٢) مسند أحمد جـ٥، ص ٢٦٦.

(٣) ابن قتيبة (عيون الأخبار) ط دار الكتب المصرية عام ١٣٢٥ هـ. ص ٣٧٥.

(٤) (أسد الغابة) جـ١ - ص ٢١٠، ٢١١.

(٥) (مسند أحمد) جـ٥ - ص ٢٨

عليه وسلم بذلك حين حدثته عائشة رضي الله عنها في شأنها قال: (عليكم من العمل ما تطيقون، فان الله لا يمل حتى تملوا، وأحب العمل اليه أدومه وان قل)[1].

هذا ويروى أنس فيقول: دخل الرسول ﷺ المسجد، فاذا حبل ممدود بين ساريتين، فقال ما هذا الحبل؟ قالوا: لزينب. اذا فترت تعلقت به، فقال النبي: لا... حلوه... ليصل أحدكم نشاطه.. فاذا فتر فليقعد)[2].

خلاصة القول من كل هذا ومن هذه النماذج التي عرضنا لها أن عصر صدر الاسلام، لم يكن في حاجة الى أن تنشأ فيه هذه الظاهرة، ولا أن يكون بين أهله من يحاول التميز بسلوك ينفرد هو به دون غيره أو أن يذهب يفسر شططا بعض أمور العقيدة[3] على ضوء ما يروق له في ظل ظروفه الخاصة، أو على ضوء ما بدر منه، فالمسلمون جميعا أهل تقوى وزهد وعكوف على الطاعات منقطعين لله تعالى، اذا ما انتهوا من كدهم وكدحهم في الدنيا على ضوء ما أمر الله ورسوله ولم يكن بينهم من يريد أن يستقل بسلوك أو بنهج في التعبد يخرج به عن نطاق ما في كتاب الله والعمل بسنة رسوله ﷺ.

وكان أفضل وأكرم اسم يحبون أن يعرفوا به هو أنهم أصحاب رسول الله ﷺ وأنهم مسلمون، وحتى الجيل الثاني الذي شهد أصحاب رسول الله ﷺ كان الشرف الذي يحرضون على أن يحملوه والسمة التي يحبون أن يعرفوا بها، وأن يعيشوا على هديها هو أنهم ممن صحب أصحاب رسول الله ﷺ، خلاصة القول أن القرن الأول كله لم يشهد على كثرة ما حدث فيه من انقسام أمة الاسلام الى فرق سياسية وخاصة بعد مقتل علي رضي الله عنه أقول لم يشهد القرن الأول تسميات للدلالة على سلوك البعض من القبيل الصوفي، كدلالة معينة على سلوك البعض واتجاههم نحو الزهد والتقشف والانقطاع الذي يعتبره المتصوفة أساسا تاريخيا عندهم بدأ مبكرا بل كان أكرم وأشرف ما يتمنى الورع التقى الذي هو المسلم الملتزم بأحكام كتاب الله وسنة نبيه

---

(١) (حلية الأولياء) جـ٢ - ص ٦٥.

(٢) (حلية الأولياء) جـ٢ - ص ٦٥.

(٣) (شرح منازل السائلين) للانصاري. شرح الفركاوى. طبع المعهد العلمى الفرنسي للآثار بالقاهرة عام ١٩٥٣. ص ٤١.

والجاهد ساعيا في سبيل دعوة الاسلام والكسب الحلال، كان أكرم وأشرف ما يتمناه بعد رضا الله أن يعرف بأنه: صحابي، أو تابعي، ولم تكن اصطلاحات وتسميات، صوفي، وزاهد وعابد ومنقطع، وصاحب مقام كذا وكذا مما لم يعرف في عصر صدر الاسلام قد نشأت بعد.

غير أن بعض المؤرخين يرون أنه لما فشا الاقبال على الدنيا في أواخر القرن الثاني الهجري وما بعده وجنح الناس الى مخالطة المتاع الدنيوي، قيل للخواص من المسلمين ممن لهم شدة عناية، بأمر الدين: الزهاد، أو العباد، ثم لما اشتد ساعد الفرق السياسية وانقسمت فيما بينها وخرجت متأولة بعيدة عن منهج والتزام أهل السنة والجماعة من العلماء وجمهور الأمة، ونشب الصراع الفكري بين هذه الفرق دست كل فرقة على غيرها، أخبار مجموعة من الزهاد والعباد الذين أحيطت سيرتهم بهالة من التقديس والتكريم، دون أن يعرف أحد من الذين انتهت اليهم سيرتهم عنهم شيئا أو أن يقفوا لهم على تراث أو رأي، الأمر الذي أدى الى أن ينتحى في ظل الصراع جانبا منه مجموعة من العباد أطلقوا على أنفسهم أو أطلق عليهم اسم (المتصوفة) بحكم ما ميز مظهرهم وهو لبس الصوف في أغلب الأحوال، ومع ذلك لم يذع اسم (المتصوفة) ويشتهر على الألسنة، ويتداول كمنهج في التبتل أو الانقطاع أو العبادة يخالف ما عليه جمهور الأمة قبل المائتين من الهجرة[1].

هذا ويقول: عمر رضا كحالة في كتابه (الفلسفة الاسلامية وملحقاتها) المطبوع في دمشق عام ١٣٩٤ - ١٩٧٤م: ورد لفظ: (الصوفى) لقبا مفردا في النصف الثاني للهجرة اذ نعت به جابر بن حيان الكوفى.

وأما صيغة الجمع: (الصوفية) فانها ظهرت فيما انتهى اليه عمر رضا كحالة عام ١٩٩ هجرية فكانت تدل على قرابة ذلك العهد على مذهب من مذاهب التصوف الاسلامي، يكاد يكون شيعيا، وكان (عبدك) في آخر أئمة هذا المذهب، وهو من القائلين بالتعيين، وكان لا يأكل اللحم، توفي ببغداد حوالي ٢١٠ هـ. واذن فكلمة (صوفى) ودلالتها على نمط من السلوك كانت في أول أمرها وحتى نهاية القرن الثاني

(١) الكندي): (القضاة والولاة) نشرة كست - طبع اليسوعيين بيروت عام ١٩٠٨ ص ١٦٢.

الهجري مقصورة على الكوفة، حيث المؤثرات الفارسية والهندية القديمة كانت تطل في شكل افرازات فكرية على الساحة الاسلامية.

وقد أطلق: الصوفى والمتصوف، بادىء الأمر في هذه الحقبة التاريخية بالذات أي بعد انقضاء مائتي عام من الهجرة مرادفا للزاهد والعابد والفقير، ولم يكن لهذه الألفاظ معنى يزيد على شدة العناية بأمر الدين ومراعاة أحكام الشريعة، ولم يكن الفقر والزهد ولبس الصوف يتجاوز نطاق هذه الدلالات الى ما استحدث بعد ذلك في سلوك المتصوفة وبدعهم ورسومهم، أي أنه من الممكن القول أنه حتى القرن الثاني للهجرة كانت دلالة الفقر والزهد والتقشف ولبس الصوف المظاهر التي كانت تؤدي الى نعت بعض الناس بهذه الصفة: صوفي: تختلف في دلالتها عما انتهت اليه نفس المظاهر حين أصبحت تعبيراً عن دلالات أخرى افتقدت الاخلاص لله وسلامة السلوك ونظافة القلب.

ومن الجدير بالذكر أن أحكام الشريعة كانت حتى ذلك الحين تتلقى في معظمها من صدور الرجال، لا فرق بين عباداتها ومعاملاتها وعقائدها، ثم تحدث الناس في الأمور الدينية على ما سمي بالنظام العلمي، ونشأ التدوين فكان أول ما اتجهت اليه الهمم، وانصرفت اليه الأفكار هو علم الشريعة، بمعنى الأحكام العملية، حتى حسب الناس أن الاشتغال بهذا العلم والعمل به هو غاية الدين.

وفي مواجهة هذه الغاية الشرعية التي اتجهت اليها همم الرجال لتدوين أحكام الشريعة والانشغال بهذا الجانب، وذلك لتعليم أجيال المسلمين أحكام الاسلام وقواعد الشريعة فضلا عن اعداد الرجال لحمل دعوة الاسلام، خرجت من البصرة في العراق مجموعات طورت من سلوكها وأدخلت بعض المظاهر والطقوس على ما اعتبروه زهدا وعبادة، حتى افترق الناس في أمر هؤلاء الذين زادوا في مظاهر عباداتهم، وغالوا في نهجهم وأحوالهم، واتخذوا لذلك حلقات وأماكن وخلوات خاصة بهم يجتمعون فيها مع من يريدون ومن يصطفون، بطريقة ونهج لم يعرف عن أصحاب رسول الله حين كانوا يقومون بأمر ربهم، أو حين كانوا يمارسون ضروب العبادة المختلفة.

ومن هنا رأينا قوما يذمونهم وينتقدون شأنهم، ولا يستريحون اليهم.

وقوم يبجلونهم ويحترمون أمرهم، حتى انقسم المتصلون بالاسلام وشريعته من أهل

الديار التي لم تكن مسلمة وانتسبت بالفتح لأمة الاسلام الى قسمين رئيسيين.

انقسم بعد ذلك عن القسمين الرئيسيين انقسامات وفرق كثيرة، كانت في معظمها ، شيعية وباطنية وصوفية.

هذا وقد كان القسم الأول من القسمين الرئيسيين الذين ترتبا على ظهور ونمو حركة التصوف أن القسم الأول، يدعو الى العمل، على أن يكون العمل بالأعمال الشرعية الظاهرة التي تجري على الجوارح والأعضاء الجسمية، وهي العبادات، كالطهارة والصلاة والزكاة والصوم... وأحكام المعاملات كالحدود والزواج والطلاق والعتق والبيوع والفرائض والقصاص، وسمى هذا العلم علم الفقه وهو في جملته وقواعده مخصوص بالفقهاء وأهل الفتيا الذين انشغلوا وركزوا جل اهتمامهم بالعبادات والمعاملات وذلك لبناء المجتمع الاسلامي متميزا على غيره من المجتمعات.

والقسم الثاني يدعو أصحابه لما أسموه: العلم بما يدل على الأعمال الباطنة ويدعو اليها من خلال ما أسموه: أعمال القلوب، وسمى هذا المنزع كما أحب أن يطلق عليه أتباعه والذين ينخرطون في طريقه: بعلم التصوف، وأحيانا يسمونه: علم القلوب.

كما أحب المتصوفة في هذا المقام أن يسموا أنفسهم: أرباب الحقائق، وأهل الباطن، وسموا من عاداهم أهل الظاهر وأهل الرسوم، ومن هنا أحدث المتصوفة الفجوة الجوهرية التي بينهم وبين جمهور أمة الاسلام ممثلا في منهج وعقيدة أهل السنة والجماعة.

وحتى منذ هذه المرحلة أعنى من القرن الثاني الهجرة، والتصوف يمكن أن يقال عنه أنه لم يتجاوز نطاق الحركة داخل أخلاق الاسلام وان كان بعيدا عن معاني العبادة الحقة وجوهر الالتزام الصحيح في الاسلام حول كتاب الله وسنة نبيه، غير أنه حتى هذا التاريخ لا تبدو على المتصوفة دلائل تأثيرات وافدة من خارج البيئة الاسلامية، ولم يكن لجهد مفكري الصوفية في تأويل المعاني وتخريج دلالات لها لم يكن لهذا الجهد سلبية متصلة بما يسمى بأعمال القلوب كما وقع الزعم بعد ذلك قويا أو واضحا.

وحتى الألفاظ التي دارت بين الصوفية، وانفردوا بها عمن سواهم، لا نجدها واضحة أو ظاهرة على لسان وأخبار أولئك الذين كانوا قد بدأوا يقطعون صلتهم

بالنهج التعليمي الشرعي في مجتمع الاسلام وأخذوا شوطا باطنيا شخصيا، واتجهوا لربهم بما أسموه أعمال القلوب، ولم يكن خروجهم عن ساحة العقيدة الاسلامية قد قطع شوطا أو أصبحوا يمثلون دورا متميزا في الابتعاد عن أحكام وقواعد الاسلام. بحيث يتعذر تصور خروج معظم من اشتغل بما أسموه أعمال القلوب عن ملة الاسلام.

لكن بداية الانفتاح، وبروز ظاهرة التصوف كتيار ديني منحرف في التناول الفكري وممارسة العقيدة داخل المجتمع الاسلامي واعتباره مظهر خروج على نهج وعقيدة السلف كان بعد ذلك أعني بعد مرحلة القرنين الثالث والرابع الهجريين[1] وخاصة حين ازدهر العمل الصوفي في هذه الفترة بأثر من الدس الشعوبي الأمر الذي عاون على ابراز مجموعة ضخمة من المتصوفة على امتداد الديار الاسلامية، حتى كان من أمر التصوف في البيئة الإسلامية باعتباره نهجا غريبا عن الأصول الاسلامية ما كان حين أحدث سلبيات وانحرافات في السلوك. أدت لظهور أجيال بعد ذلك في المجتمع الاسلامي، وهي معزولة تماما عن ثقافة دينها، وعن العمل بأحكام كتاب ربها ومن هنا لم تستطع الصمود أمام غزو الأفكار الوافدة، وما استتبعها بعد ذلك من غزو لمعظم ديار المسلمين.

تطور ظاهرة التصوف وشيوعها

ما إن أقبل القرن الثالث الهجري، إلا وكانت السمة التي تميز سلوك مجموعة من العباد الذين استهواهم النهج الصوفي وما سمى بأعمال القلوب، قد دخلت طورا أصبحت بغداد فيه عاصمة للظاهرة التي عرفت باسم (التصوف). وبينما كانت حلقات الدرس والتناظر حول أحكام الشرع الاسلامي، في مسائل الفقه والتوحيد تتخذ نهجا هادىء النبرات، قوي الحجة كان ضجيج شيوخ المدارس الصوفية فيما بينهم، وبين مريديهم يعلو كل صوت، وينفذ إلى معظم ديار المسلمين، متسللا من خلال عباءات الشيوخ وعذب حديثهم للعامة وتساهلهم وتنازلهم عن كثير مما هو مندوب أو

---

(١) (في التصوف الاسلامي وتاريخه).. (نيكلسون) ترجمة الدكتور أبو العلا عفيفي - لجنة الترجمة والنشر مصر - عام ١٩٤٧ - ص ١٢٠.

واجب في السنة المطهرة الأمر الذي يروق لأئك الذين كانوا حديثي عهد بالاسلام، وذلك لكي يروج النهج الصوفي ويكثر أتباعه في معظم الديار، بعد أن أحيط بهؤلاء الذين أطلق عليهم أهل الباطن أو أرباب الحقيقة بهالة من التقديس والاحترام المصنوعين ،حتى يشتد اقبال الناس عليهم والانضواء تحت لوائهم.

هذا وقد ذكر الكندي مثلا[1] في محاولة منه غير موضوعية أن يوحي بغير سند أو برهان أن التصوف عرف بمصر منذ سنة ٢٠٠ هجرية، أي قبل مرحلة تطور ظاهرة التصوف بأكثر من مائة عام وهذا ما لم يقل به أحد من المؤرخين الثقاة.

يقول: (وظهرت بالاسكندرية طائفة يسمون بالصوفية، يأمرون بالمعروف - فيما زعم - ويعارضون السلطان في أمره، فترأس عليهم رجل منهم يقال له: أبو عبد الرحمن الصوفي الذي ولى الاسكندرية سنة ٢٠١ هجرية.

وما إن انتهى القرن الثالث الهجري بعد تسرب الصوفية إلى الديار الاسلامية حتى امتلأت الساحة الاسلامية بالمدارس والمذاهب الصوفية التي صنعت للمريد لكي يدخل إلى مقام شيخه أو ينخرط في سلك عضوية طريقه، نوعا من الرسوم والطقوس، أطلقوا عليها اسم الأحوال والمقامات تدرجا في طريق العشق والوجد والفناء والاتحاد والحلول وغير ذلك.[2]

ومع أن قلة قليلة من شيوخ المتصوفة، لم يطمس عقلهم التيار الصوفي المتدفق، من مصادره العديدة التي وفدت من الافكار الهندية واليونانية والمسيحية وأن كان كان قد شاب صحة عقيدتهم، ما شابها مثل: - الجنيد القائل فيما نسبوا اليه:: مذهبنا هذا مقيد بالاصول: الكتاب والسنة، الا أن السمة العامة لمذاهب التصوف والقاسم المشترك، والنهج المميز للمتصوفة في تناول أمور العبادة وغيرها هو ما يسمونه: - (الذوق) وهذا المعيار أو قل هذا النهج واسع وسع كل الميول والعواطف والمشارب الانسانية التي قد تكون في بعض منطلقاتها تمثل تناقضا فيما بينها ،فضلا عن أن هذا الذوق الذي يخرج عن قيد النص الشرعي. ودلالته المباشرة الى التناول

---

(١) (الكندي). (القضاة والولاة). نشرة كست طبع اليسوعيين - بيروت - عام ١٩٠٨ ص ١٦٣.

(٢) (نشأة التصوف الاسلامي) د. ابراهيم بسيوني ص ١٧٠.

الذوقي بما يفسد المعاني ويؤول الالتزامات، لا يستقيم مع قواعد الشرع وفرائضه، ومن هنا فقد تعذر على القلة القليلة من العناصر النقية والتقية من التي ظنت أن التصوف منهج في العبادة يعبر عن حاجة العبد وافتقاره إلى ربه، أن يحموا النهج الصوفي من التأثر والاندماج ثم الامتزاج بأفكار ومعتقدات غير اسلامية[1]، شكلت في العصور المتأخرة جوهر السلوك الصوفي.

هذا وقد لاحظ مؤرخو الفرق والمذاهب، أنه كلما مضت مرحلة بعد الاخرى منذ انتهاء القرن الثالث الهجري، ومعدلات الجهل بالدين وانتشار البدع وسط بيئة التصوف وبين جماعات المتصوفين في ازدياد مستمر.

هذا وقد امتلأت ديار المسلمين منذ حوالي ألف عام بعناصر صوفية، انضوت تحت مذاهب وطرق بعضها نقيض الآخر. من حيث الممارسة وفن التعبير مما سمي(بالطريق)، ذلك أن بعضهم لم يجد وسيلة للتعبير عن علاقته بربه، بعد انطفأ نور العقل عندهم، وقهرت أحكام الشريعة في حياتهم، وأصبحوا نماذج افساد في مجتمعاتهم يمارسون الرقص في حلقات والتصفيق مجموعات، وذلك هو ما ميز ملامح الطرق الصوفية على طول مراحل التاريخ الأخير سوى الاستسلام للشيطان.

وقد لاحظ كتاب الفرق أن المتصوفة في سبيل نجاح ذلك الشكل الرمزي الذي استهووا به العامة وضعوا لانفسهم شارات وعلامات ورايات، واتخذوا طبولا ودفوفا، ونوتة موسيقية كاملة، ومن اعتدل منهم ولم يلجأ إلى هذا الشكل المادي الحسي الذي يكاد أن يكون ضربا من ضروب الوثنية، والذي يشبه ماكان عليه بعض الجاهلين من اتخاذهم بين أساليب العبادة الوثنية المكاء والتصدية انشغل، بما أسموه: الذكر الذي قسمه (السهروردي) في (عوارف المعارف)[2] إلى أربعة أقسام.

ذكر باللسان، وذكر بالقلب، وذكر بالسر، وذكر بالروح، فإذا صح فيما زعموا ذكر الروح سكت السر والقلب واللسان عن الذكر، وذلك عندهم هو ذكر المشاهدة.

وإذا صح ذكر السر سكت القلب واللسان عن الذكر، وذلك ذكر الهيبة.

---

(١) النيسابوري: - (عقلاء المجانين) دمشق عام ١٩٥٤ ص ٩٠

(٢) (عوارف المعارف) (السهروردي) المكتبة العلامية سنة ١٣٥٨هـ ص ٥٦.

واذا صح ذكر القلب فتر اللسان عن الذكر ، وذلك ذكر الآلاء والنعماء - فيما ذكروا -

واذا غفل القلب عن الذكر أقبل اللسان على الذكر وذلك ذكر العبادة.

بهذا الترتيب الذي لم يكن معروفا ولا متداولا في عصر صدر الاسلام. فضلا عن افتقاد معناه ودلالته وهيئته في السنة رتب المتصوفة منهجهم هذا. اذ ترفع بعضهم عن الهبوط بمستوى الممارسة الصوفية إلى أساليب التأثيرات المادية والأشكال الرمزية. والاستعانة بالأدوات الفنية.

هذا ويرى بعض الباحثين أنه قد نجا بعض رجال الصوفية وان كانوا قلة قليلة من الوقوع في متاهات الطقوس المادية وأشكال الممارسة الرمزية التي تعاون على تقديس وتبجيل الشيخ الصوفي من قبل أتباعه.

وحول هذا المعنى المزعوم يروي صاحب (الحلية) [1] عن منصور بن عمار الذي يقول فيما نسب اليه صاحب الحلية: (... تكلمت في مجلس فيه سفيان بن عيينة والفضيل. وعبد الله بن المبارك.. فأما سفيان فترغرغت عيناه ثم نشفتا. وأما ابن المبارك فسالت دموعه. وأما الفضيل فانتحب فلما قام الفضيل وابن المبارك قلت لسفيان يا أبا محمد: ما منعك أن يجيء منك ما جاء من صاحبك؟ قال: هذا أكمد للحزن، فان الدمعة اذا خرجت استراح القلب).

هذا وعلى نفس النهج الذي يعبر عنه في الفكر الغربي المعاصر بالمزاج (الميلودرامي) فان ولع الصوفية في العصور المتأخرة التي غاب فيها عمل اسلامي راشد يقف في وجه انحرافهم قد دخل طور فن المناجاة والايقاعية مع صخب التأثير الفني للأدوات الموسيقية وذلك للتأثير في الجماعة واحداث هدير وصخب في حركتها بحيث تشيع العفوية والارتجالية، بعيدا عن كل التزام شرعي انطلاقا من احساسهم الخاص بما أسموه أهمية (الاشارة) قبل (العبارة)، ليدفعهم ذلك النهج حين يملأهم الطرب ويستولي عليهم الاندماج في المقام إلى ما يشبه حلقات الرقص الفردي أو الجماعي، ولا يستطيع المرء، أن يميز بينهم وبين مجموعات ترقص في حانة للابتذال والفساد.

---

(١) (حلية الأولياء) أبو نعيم الأصفهاني جـ ٧ - ص ٣٠٢ مطبعة السعادة بمصر عام ١٩٣٢م.

وفي هذا يقول (يحيى بن معاذ المتوفي سنة ٢٥٨ هجرية).

دققنـــــــــا الأرض بالرقص عـــــلى غيـــب معانيكـــــا
ولا عيـــب عـــلى رقـــصلعبـــد هـــائم فيكـــــا
وهـــذا دقنـــا لــــلارض اذا طفنـــا بواديكـــــا[1]

هذا ويخطىء الصوفية تماما حين يربطون بين ما يعبرون عنه اثناء ممارستهم لطقوس التصوف بما أسموه: مذاقات الحب والفناء في المحبوب، وبين قول الرسول ﷺ: (ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا) فان طعم الايمان لا تعبير عنه الا بالاسلام ممثلا فيما شرع الله لعباده وفق القواعد التي أرادها الله في كتابه، وعلمها رسوله ﷺ وسلم في سنته، لا وفق الذوق الصوفي ولا الوجد الروحي. حتى لا يجد المسلم نفسه أمام متاهات النهج الصوفي وقد خرج تماما عن روح الشرع الاسلامي ولم يعد يملك منه حين يقوم به الا أن يقول في سلبية ممجوجة كما يقول ابن العربي:

يا ربّ جوهر علم لو أبوح بهلقيـــل لي أنت ممن يعبـــد الوثنـــا

وهذا الخلل الفكري في تناول أمور العقيدة الدينية الذي روج له المتصوفة دفع بعض الباحثين من القدامى والمحدثين الى الوقوع في نفس المنزلق الفكري الذي يبعد المسلم الذي يتورط في الوقوع في هذه المتاهة عن قواعد الشرع الاسلامي وضوابطه. حتى يصبح الأمر بعد ذلك أمام المتصوفة ميسرا لمختلف كل الأذواق، وسهل التناول لجميع الأمزجة، طالما هم اطمأنوا إلى خداع ذلك المنطق المزعوم، وهو أن جوهر العلم الذي يشبه الوثن عند ابن العربي نهج يفوق التدين والالتزام بقواعد الشرع.

وفي هذا الخطأ الصوفي بل في هذا الخلل الفكري وقع بعض الباحثين[2] حين حاول أن يترجم هذا الفساد السلوكي بأنه سلوك ديني بقوله: (... والواقع أن التصوف يفوق التدين والتفلسف في تخليص القلب لهذا الحب وتنقيته لاستقبال تلك العاطفة، ذلك لأنه في التدين التقليدي. ينبغي أن تظل مجموعة من الأمور خافية عن

---

(١) (اللمع) أبو نصر سراج الدين - القاهرة عام ١٩٦٠ ص ٤٥٢.

(٢): (دكتور ابراهيم بسيوني): (نشأة التصوف الاسلامي) - دار المعارف مصر عام ١٩٦٩ ص ١٦٧.

الانسان، بينما تحاول التجربة الصوفية، أن تميط اللثام عن كل شيء، وأن تذيب الفواصل التي تغلف هذه الخافيات...).

وهذا النهج الفكري الذي أراده الصوفية في التفريق بين ما ذهبوا اليه وبين قواعد التدين الشرعي في العبادات وغيرها والخروج عن نطاق الالتزام بعقيدة السلف هو المستهدف أصلا من غزو الأفكار الغير الاسلامية للساحة الاسلامية وذلك لخلق جيل من المسلمين علاقاتهم بربهم من خلال التدرج في مقامات الصوفية بدءا من إرادة المريد حتى مقام الحلول المزعوم لكي يتم لهم كما يزعم بعض المتصوفة التفوق على التدين التقليدي والذي هو ارتباط بقواعد الشرع وعقيدة أهل السنة والجماعة، وذلك حتى تحقق الصوفية أهدافها المباشرة والتي كانت بأثر مباشر من نظرية الفيض الغنوصية التي طورت على يد ابن عربي فيما بعد، بعد أن دستها الثقافة اليونانية على يد الاسماعيلية الباطنية الذين كانوا أدوات نقل جيدة لأفكار الفرس واليهود واليونان والنصارى من بعد، حتى يمكن عزل جمهور أمة الاسلام عن الاعتصام بحبل الله المتين وسنة نبيه ﷺ والانضواء تحت لواء أهل السنة والجماعة.

وهذا هو الدور الرئيسي الذي قامت به المذاهب الصوفية على امتداد ديار المسلمين حين عملوا على استقطاب أجيال من المسلمين بينهم وبين منهج وعقيدة أهل السنة والجماعة فجوة نفسية وروحية وعقدية، سلطان شيخ الطريق على نفوسهم هو الذي يصنع هذه الفجوة وهو الذي ما بعده سلطان[1].

رسوم التصوف وشعائره:

يقوم المذهب الصوفي بأشكاله المختلفة في العصر الحديث بعد أن مر بمراحل وتطورات عديدة أفسح فيها المجال دعاته والمؤمنون به والمروجون له للثقافات والمفاهيم والممارسات الغير الاسلامية حتى ولا العربية يقوم على جملة من الآراء والنظريات ومناهج التناول تدل على مدى تأثر الفكر الصوفي بالنهج الباطني الشعوبي القديم الذي كانت عليه عقائد الكهنة عند الفرس القدامى وبين يهود السبي ابان مراحل التشريد، حين اضطروا لوضع قواعد ورسوم تنظم علاقاتهم بالكاهن أو

---

(١) (لويس ماسينيون): (التصوف) - دائرة المعارف الاسلامية الجزء الخامس ص ٢٩٧.

بالقائم على أسرار الدين ومن هذه الرسوم على سبيل المثال لا الحصر ما يسميه المتصوفة بالطريق.

الطريق الصوفي ودلالاته:

الطريق الصوفي هو على ضوء ما كتب المتصوفة وما عرفه عنهم الراصدون والمؤرخون هو أن يختار جماعة من المريدين شيخا لهم يسلك بهم رياضة خاصة بهم على دعوى وزعم تصفية القلب لغاية الوصول إلى معرفة الله[1].

بهذا التصور ومن خلال تلك الغاية يفرض الطريق على المريدين اتباع الشيخ، الاتباع الأعمى وتبجيله على اعتقاد من المريدين بأن الشيخ الصوفي (شيخ الطريق) قد انكشف له الحجاب وتجلت له الأقدار وعرف الأسرار إلى غير ذلك مما يروج على ألسنة أتباع الطريق.[2]

وعلى المريد ان كان يريد الاستمرار والتدرج في طريق صعود الطريق المواظبة على ما يردده الشيخ من أدعية وأذكار، على أن يكون في كل علاقاته بشيخه كما عبر الشيخ (القشيري)[3]: كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف يشاء، لا حركة ولا تدبير، وعندئذ يكون المريد قد أصبح عضوا في طريق الله على حد ما يزعمون، من خلال شيخ صوفي من أهل الطريق، عرفوه بأنه: الولي الذي يتولى أمر أتباعه في قيادتهم نحو آخر المطاف في الطريق.

والولي عند الصوفية هو الواصل الى مرتبة العرفان عن الطريق الموصلة إلى أهدافهم المتصورة، وعلى ضوء حالات ومراحل المعرفة عندهم، والتي هي فيما يعتقدون مما اصطلحوا هم عليه مرحلة: الكشف أو الإشراق[4].

هذا ويعتقد الصوفية جميعا بغير خلاف، القدامى منهم والمحدثون أن: العارف هو

---

(١) أبو حامد الغزالي (أحياء علوم الدين) جـ ٤ - ص ٦٤ طبعة المعرفة.

(٢) (القشيري) (الرسالة القشيرية) تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود الطبعة الأولى عام ١٩٦٣ م صفحة ٩٥.

(٣) المصدر السابق ص ١٢٠.

(٤) أبو حامد الغزالي (أحياء علوم الدين) جـ ٣ - ص ١٧.

الذي تنكشف له الحجب ويشهد من علم الله ما لا يشهده سواه. وتظهر على يديه الكرامة التي هي عندهم أمر خارق للعادة يتكرر كبرهان لهذا الولي الصوفي المزعوم.

وقد ظل هذا النهج والتدرج في مراحل الطريق القائم والمعتمد على شخص بعينه أو من ينيبه عنه في حله وترحاله. أو من يخلفه بعد مماته هو الشكل المادي ومصدر التوجيه الروحي الذي تلوذ به جماعة المريدين بغير تنظيم طرائقي في مراحل الصوفية المبكرة أي منذ القرن الرابع الهجري، حتى أخذ العمل الصوفي في العصور المتأخرة الشكل الجماعي والأسلوب التنظيمي، وأصبح بشكل أساسي أحد التيارات الاجتماعية المعبرة عن شكل سياسي في البلد الذي يعمل فيه أتباع الطريق في مواجهة شكل أخر.

هذا وقد أنشأ عبد القادر الجيلاني المتوفي سنة ٥٦١ هجرية الطريقة (القادرية) التي نرجح أنها أول طريقة منظمة لأهداف صوفية منذ ذلك التاريخ.

في هذا يقول الدكتور أحمد غلوش في مجلة المقتطف: ليس من خلاف بين الطرق الصوفية من حيث الأسس والمبادىء الأصلية، وإنما الفرق في نوع الأذكار والأوراد التي يواظب عليها المريد من أتباع كل طريقة منها.

ثم يعقب على ذلك الدكتور أحمد غلوش متأثرا إلى حد ما بمنهجهم فيقول: قد يفتح الله تعالى على واحد منهم بطريق الالهام، ويؤتى حظا كبيرا من الأنوار القدسية فيكاشف بفائدة ذكر اسم معين من أسماء الله الحسنى، فيكون ذلك سببا أو أساسا لانشاء طريقة جديدة، مشتقة من طريقته القديمة.. ومن ثم كان تعدد الطرق الصوفية على تقادم العصور[1].

ولا نعتقد أن ذلك سبب كاف لتعدد وتنوع الطرق الصوفية بل نعتقد أن تعدد الطرق الصوفية إنما هو نهج باطني يستهدف بالتعدد القاء المزيد من الغموض والابهام حول الأهداف والبواعث الحقيقية للحركة الصوفية باعتبارها فكرا وافدا على النهج الاسلامي الصحيح استهدف تحريف العقيدة وتعطيل عقل الأمة في ارتباطه بشرع الله وسنة نبيه ﷺ.

---

(١) عمر رضا كحالة (الفلسفة الاسلامية وملحقاتها) ط دمشق عام ١٣٩٤ - ١٩٧٤ ص ٢٦٤، ٢٦٥.

هذا ويعتقد أتباع الطرق الصوفية. أن سلوك الطريق يبدأ عند المريد باستشعار رغبة ملحة تستولي على القلب أي قلب الصوفي طبعا فتنبعث بها في باطن المرء داعية قوية نحو تذوق الايمان بالوجدان. وعدم الوقوف عند حد التصديق أو اليقين الذي حصل عليه بالتوارث أو بالاستدلالات المنطقية والعقلية.

هذا ويبلغ الغلو الصوفي مداه وهو يكشف عن مدى تبلد عقل المتصوفة في النظر إلى قضايا العمل الشرعي والالتزام به حين يعبرون عن تدرج مراحل السالكين في الطرق الصوفية بقولهم: ان الرغبة في اتباع الطريق تأخذ في القلب ازديادا وتمكنا في القلب بمقدار صفاء الروح واستعداد النفس إلى الرقي الروحي، فيتملكها الحنين والشوق إلى معرفة خالقها معرفة ذوقية لا نقلية[1] ولا عقلية، ويغلب أن تساور الانسان في هذه الحالة شكوك وظنون وأوهام خفية، فيما يتعلق بالمعتقدات الدينية دون أن يجد من عقله مرشدا كافيا يحل معضلاتها. فيلجأ عند ذلك أحد المرشدين إلى طريق الحق، من المشايخ الصوفية المحققين العارفين بالله عند من يعتقد أنه سبق لهم سلوك هذا الطريق بعينه، وهو مأذون، من شيخه بالتسليك فيه، ويطلب إليه أن يدخله في عداد أتباعه الآخذين في السلوك الى الله على يديه، ففي هذه الحالة يسمى الطالب مريدا. أي يريد السير في الطريق، وهذه أولى المنازل وتسمى عند أتباع الطرق الصوفية منزلة: الارادة. وعندها يتلقاه الشيخ بالفرح والسرور، ويأخذ عليه العهد بالتوبة من ذنوبه. والتبري من حوله وقوته، واخلاص النية في مقصده، وغايته القيام بما يفرضه الطريق على السائر فيه، والأذكار والأوراد المشروعة عندهم، فضلا عن القيام بما يوجبه الدين من اتباع أوامره واجتناب نواهيه.

وهذه الفقرة الأخيرة هي اللازمة التقليدية التي تدس فيها مخاطر الطريق يوصي بملازمة التقوى في السر والعلانية، ومراقبة الله في كل حال ثم يلقنه الذكر، ويعطيه الأوراد، ومن ثم يبدأ سلوك المريد ويسمى عند ذلك (سالكا)، جاعلا أكبر همه في

---

(١) لاحظ هنا أن الهدف الصوفي هو أن تكون العلاقة بين الله وخلقه من خلال ذوق العبد واحساسه لا من خلال كتاب الله وشرعه. فالهدف على ضوء النص الصوفي الذي بين أيدينا، أن تكون معرفة الله ذوقية لا نقلية وهذا بغير شك يخالف منهج أهل السنة والجماعة مما يتأكد معه خروج النهج الصوفي عن عقيدة السلف.

الدنيا الاشتغال بـ العبادة والزهد والرياضة بحسب ما يرسمه له الشيخ، فيقبل على الله بصدق النية وتصوفية القلب عما سوى الله - هكذا زعموا - حيث ينتقل بذلك إلى مقام يسمى مقام (العبودية) ويظل السالك يجاهد في الطريق نفسه وهواه حتى يتغلب عليهما بالاكثار من الضراعة والتذلل، والتزلف الى بارئه، على أن تكون الضـراعة، بالأوراد والأذكار التي تميز الطريق عن غيره.. وعند هذه المرحلة يعتقد أهل الطرق الصوفية، أنه بعد مقام (العبودية) يصبح العبد أهلا لأن تقبل عليه العناية الالهية بعد أن تقبل مناجاته وضراعاته لترتقي بعد ذلك في القلب لتصير عشقا لله، وعند هذه يكون ابن الطريق قد دخل مقام (العشق)[1]. وعليه أن يظل سالكا مواظبا على أذكاره وأوراده التي يتلقاها من شيخه، وعلى ضوء توجيه شيخه تحسب الخطوات هنا في هذا المقام بدقة محسوبة، فان كان السالك أهلا للمزيد، فإنه يشغل وقته قارنا ذلك بالعزلة والخلوة والاقلال ما أمكن من الطعام والشراب والكلام والنوم، حتى تتملكه فيما يزعم الصوفية حالة علوية شريفة ينتقل بها إلى مقام (الوجد والهيام) وهو أسمى من مقام (العشق)[2].

وعند هذا المقام الذي فيما زعم المتصوفة يستولي على جميع النفس ويعطل عمل الجوارح غالبا ويقتل الهمة والارادة الانسانية. بل يميت في نفس المسلم عقيدة الجهاد والعمل على تبليغ الدعوة استغراقا وتفرغا لقطع الطريق في متاهات وضروب الخط الصوفي الطويل.

عند هذا المقام المزعوم الذي يستولى على جميع النفس تتوراد على قلب السالك ما أسموه النفحات الربانية[3]، والبركات الالهية تواردا متصلا، يعتقد أهل الطريق من الدراويش أنه بها تزداد معرفة السالك الباطنية لصفات الذات العلية (تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا). وهنا يصل السالك فيما زعموا الى الحقيقة المجردة التي استهدفها يوم سلك الطريق، وتسمى عندهم هذه المرحلة: (بمقام الحقيقة).

---

(١) الشعراني (الطبقات الكبرى) جـ ١ ص ٦ طبعة مصر ٥ ١٣١٠هـ.

(٢) عمر رضا كحالة (الفلسفة الاسلامية وملحقاتها) ص ٢٦٥.

(٣) يراجع هذا الترتيب عند الصوفية في كتاب (هذه هي الصوفية) للعام السلفي حامد الفقي تحقيق الدكتور سيد رزق الطويل صفحات ١٤٠ - ١٤٥ القاهرة.

وليت الأمر يقف عند هذا المستوى بالقوم فيما ضلوا به عند هذه الحقيقة المزعومة، بل يعتقد أهل الطريق فيما زعموا أن وصول السالك الى هذا المقام المدعي (الحقيقة) يمكنه من أن يظل يرتقي الى منازل ثلاثة يزعمونها وتسمى عندهم التسمية التي تؤكد بنهاية الشوط الصوفي وقوع الأتباع والرواد في شرك الوثنية الحلولية التي قال بها اليهود والنصارى ومن قبل الفرس واليونان، هذه المنازل الثلاثة هي: (الفناء، اللقاء، البقاء).

وهذه المراحل الثلاث التي يعنون بها فناء العبد عن حظوظه وعن نفسه في الله - تعالى الله - على اعتقاد أنه أي العبد من خلالها تتجلى له عظمة الخالق سبحانه على قلب السالك، فلا يرى أمامه الا الله، ولا يجد في الوجود جميعا الا واجب الوجود سبحانه، وتمحي آثار الموجودات من أمام عينيه الا وجود الله سبحانه وهم في هذا المقام يعتبرون السالك في سكر عن الوجود الا ربه، وعندئذ يكون المعنى الذي عناه الحلاج وضل به وأضل (ما في الجبة الا الله) قد أصبح أمام أهل الطريق محدد المعالم واضح القسمات كأنه لا يحمل بين صريحه ودلالته عقيدة كفر حلولية لا يمكن أن تقوم برهانا أكثر من كونها تعبيرا عن ردة تنقل صاحبها الى معتقدات وعقائد الفرس واليونان ولا يمكن أن تكون تعبيرا عن عقيدة الايمان بالله في الاسلام.

هذه هي الأصول المشتركة لكل الطرق الصوفية، والنماذج التي أتينا عليها هي بعض الملامح العامة لكل المنطلقات والغايات الصوفية وإن اختلفت الوسائل وتنوع الاداء وتعدد الاسلوب، فأن الغاية المستهدفة هي خلق أجيال تنتسب إلى الاسلام وليست تعبيرا عنه في جهاد أو كفاح فضلا عن عقيدة تضبط وتوجه نهج حياة المسلمين، بغير خضوع لذوق شيوخ الصوفية ولا تدرج مقامات الطريق[1].

أدب صوفي في الحب:

كان من الطبيعي، ومن بين مدارج السالكين[2] في الطريق الصوفي شعارات وشارات وممارسات، أساسها الذوق، أن يكون لهم في لغة حبهم ما يميزهم عن غيرهم، أو ما به يعرفون.

---

(١) عمر رضا كحالة (الفلسفة الاسلامية وملحقاتها) ص ٢٦٥.

(٢) النيسابوري (عقلاء المجانين) دمشق عام ١٩٢٤ م ص ٩٥.

ومن هنا رأينا على لسان شعرائهم وأدبائهم نتاجا أدبيا. يضع بعضهم في مستوى من الذوق الذي ادعوه سلوكا تعبديا وتدرجا في مقام الطريق. مع مستوى شعراء الحب والغزل، بل وفي مستوى أكثر حدة عن مستوى معظم ما يسمى بالفنون الحسية والجمالية، التي أفرزتها الثقافة المسيحية في ظل تفسيرات الكنيسة للاهوت الديني عندهم، ونصوص كتبهم المتوارثة عبر التاريخ،.

وهم أي المتصوفة في خلجاتهم ووجداناتهم. كلفون بالتقسيمات والتفريعات والتخيلات الفنية التي لا يمكن أن تقوم برهانا على سمو روحي، بل أنها لا تعبر الا على الاستجابة لقهر الحس وسيطرة الغرائز، واذا ما سئلوا عن مثل هذه الظاهرة وتطورهم في هذا النهج الحسي. بينما هم فيما زعموا يتدربون في مقامات الطريق على التجرد، أجابوا: أنه بسبب التغيرات النفسية التي تطرأ على قلوبهم بسبب الأحوال التي تعرض لهم، أثناء تدرجهم بين المقامات والاهداف[1] ومن هنا تجيء هذه النغمات بل هذه الصور الحسية التي لا تستقيم مع قلب مشغول بالله.

ولننظر بعض الانتاج الادبي الصوفي الذي ينسب لبعضهم فيما زعموا على أنه معاناة، أو تجربة صاغوها في علاقاتهم بربهم الذي كثيرا ما يتحدثون عنه حديث العارف.

أقول: فلننظر الى نماذج من أحاديث الذوق التي انفردوا بها او قل بنهج الاشارة قبل العبارة المنهج الذي ما عرفه علماء السنة، ولا يعثر عليه الباحث في تاريخ السلف إبان مراحل جهادهم في خدمة دعوة الاسلام وتبليغ كلمة الله للناس.

من بين حشد الادب الحسي الذي ملأ به النيسابوري كتاب عقلاء المجانين نرى في ترجمة ميمونة السوداء قولها «الذي لا مضمون له ولا دلالة عليه سوى ذلك المعنى الوجداني الغامض الذي لا يفصح عن علاقة منظمة بين العبد وربه أساسها نهج بلغه النبي ﷺ عن ربه.

تقول ميمونة فيما نسب اليها النيسابوري[2]: -

---

(١) أبو نعيم الاصبهاني (حلية الاولياء) ج ٨ ص ٢٧٩.

(٢) النيسابوري (عقلاء المجانين) ترجمة ميمونة.

قلوب العارفين لها عيون	ترى ما لا يراه الناظرونا
وألسنة بسر قد تناجى	تغيب عن الكرام الكاتبينا
وأجنحة تطير بغير ريش	الى ملكوت رب العالمينا
فتسقيها شراب الصدق صرفا	وتشرب من كئوس العارفينا[1]

وأما ريحانة التي ترجم لها النيسابوري أيضا في عقلاء المجانين فهي التي تقول: -

حسب المحب من الحبيب بعلمه	أن المحب ببابه مطروح
والقلب فيه إن تنفس في الدجى	بسهام لوعات الهوى مجروح[2]

وصاحب الرسالة القشيرية ينقل عن (عتبة الغلام) قوله: - (إن تعذبني فأنا لك محب وإن ترحمني فأنا لك محب) [3].

أما داود الطائي فحين خرج على الناس ذات يوم وقد بدا عليه الانشراح وسئل عن السبب في ذلك فقال: - (أعطوني الصباح شراب الانس فاليوم عيد)[4].

ولا يعرف قطعا غير داود الطائي ومن هو على شاكلته ما هو شراب الانس هذا الذي يجعل اليوم عيدا.

أما أبو علي الروزباري صاحب الجنيد فهو الذي قال حين قالوا له: - (غدا العيد) فقال لهم كما نقل عنه صاحب الرسالة القشيرية: - قالوا غدا العيد ماذا أنت لابسه: فقلت خلعة ساق حبه جرعا

قالوا: غدا العيد ماذا أنت لابسه،	فقلت خلعة ساق حبه جرعا
فقر وصبر هما ثوباي تحتهما	قلب يرى إلفة الأعياد والجمعا
أحرى الملابس أن تلقى الحبيب به	يوم التزاور في الثوب الذي خلعا
الدهر لي مأتم إن غبت يا أملي	والعيد ما كنت لي مرأى ومستمعا

---

(١) النيسابوري (عقلاء المجانين) ترجمة ريحانة.

(٢) الرسالة القشيرية ص ٩٨.

(٣) المصدر السابق.

(٤) أبو نعيم الاصبهاني (حلية الاولياء) ج ٧ ص ٣٤٦.

هذا وللصوفية ولع كبير في إنتاج أدبهم وتسجيل حبهم بمحاكاة الحب العذري، واحيانا كثيرة بالنهج الجنسي، لكنهم خشية الوقوع في الحرج يلجأون دائما الى التأويل والتخريج، فمن المعروف أن السمة الغالبة على شعر المحبين والعاشقين التركيز على ذكر اسم المحبوبة، وذكر مواطن اللقاء، وتصوير أيام الصبا ولقاءات الهوى والحب بين المحبين، كما هو الشأن مثلا في شاعر بني عامر الذي افتتن بحب ليلى العامرية، وعرفه الادباء وذاع صيته: باسم مجنون ليلى، أنه كما يقول عنه صاحب (اللمع) اذا نظر الى الوحش قال: - ليلى واذا نظر الى الجبل قال: - ليلى، وإذا نظر الى أحد من الناس قال: - ليلى، حتى إذا قيل له ذات يوم: - ما اسمك؟ قال: - ليلى، ونسبوا اليه: -

أمر على الديار ديار ليلى ... أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي ... ولكن حب من سكن الديارا

وعلى هذا النسق الحسي الفاسد، ذهب الصوفية في أدبهم، وحاكوا شعراء الغزل في انفعالاتهم نحو محبوبيهم، وأرادوا أن يدفعوا تهمة تسميتهم محبوبهم باسم الأنثى على غرار نهج شعراء الجنس فقال أحدهم:

أسميك ليلى في نسيبي تارة ... وآونة سعدى وآونة ليلى
حذارا من الواشين أن يفطنوا لنا ... والا فمن لبنى فديت ومن ليلى[1]

ومن هنا رأينا (الشبلي) في زعمه عن الحب الالهي يعبر عنه ويصوغه على النحو التالي:

لقد فضلت ليلى على الناس كالتي ... على ألف شهر فضلت ليلة القدر
فيا حبها زدني جوى كل ليلة ... ويا سلوة الأيام موعدك الحشر[2]

ولما كان اطلاق اسم المحبوب الأنثى عند شعراء الغزل، قد تجاوز الاسم للذات، الى اسم الديار والنسب والصفات، فانه لا بأس عند (الشبلي) أن ينشد لابن أبي ربيعة قوله:

---

(١) الراغب الاصفهاني (محاضرات الأدباء) طبع مصر عام ١٢٨٧هـ جـ٢ - ص ٦.
(٢) أبو نصر السراج (اللمع) تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود - القاهرة - عام ١٩٦٠ ص ٣٢٢.

أيهـا المنكـح الثريـا سهيـلا عمرك الله كيـف يجتمعـان
هي شاميـة اذا مـا استهلـت وسهيـل اذا ما استهـل يماني[1]

ونرى آخر يقول:

لا تقـل دارهـا بشرقي نجـد كـل نجـد للعامريـة دار
ولهـا منزل عـلى كـل مـاء وعـلى كـل دمنـة آثـار[2]

يقول الدكتور ابراهيم بسيوني في تعليقه على ظاهرة العلاقة بين شعر الغزل وأدب الصوفية:[3] يحدثنا تاريخ ابن عربي أنه قد أولع بجمال فتاة حجازية ولعا نفذ به من جمال المخلوق الى جمال الخالق، أو من الحسن المتكثر، الى الجمال المطلق وكانت الفتاة ابنة أبي شجاع زاهر بن رستم بن أبي الرجاء الاصفهاني.

فهل يقودنا ذلك الى أن نستنتج أن أصحاب الحب الالهي (المزعوم) لا بد وأن يتمرسوا بتجربة الحب البشري قبل أن يعانوا الحب الالهي. وأن الانطباعات الأولى قد التصقت بهم حين انتقلوا الى الجو الجديد؟.[4]

وينتهي الدكتور بسيوني وهو المتأثر كثيرا في دراسته بالجو الصوفي القائم على النهج الرمزي في تفسير كل ما لا يستقيم مع السياق العام الذي يكون بصدده الى أن المسألة تعود الى رهافة الحس ممتزجة بما أسماه بالاستعداد الروحاني، ويستشهد بما يرويه عن (الشبلي) حين يقول: (... يا قوم هذا مجنون ليلى بني عامر، كان اذا سئل عن ليلى يقول: أنا ليلى، فكان يغيب بليلى عن ليلى، ويغيب عن كل معنى سوى ليلى، ويشهد الأشياء كلها بليلى، فكيف يدعي من يدعي محبته وهو صحيح مميز يرجع الى معلوماته وحظوظه فهيهات!! أني له ذلك ويزهد في ذرة منه ولا زالت عنه صفة من صفاته[5].

---

(١) الشعراني (الطبقات الكبرى) طـ مصر سنة ١٣١٥هـ ص ١١٧.
(٢) أحمد الكمشخانوي (جمع الأصول) ط القاهرة - عام ١٩١٠ ص ٥٨ نقلا عن ابراهيم البسيوني في نشأة التصوف الاسلامي ص ٢٢٠.
(٣) نشأة التصوف الاسلامي - ابراهيم بسيوني - ص ٢٢٠.
(٤) د. ابراهيم بسيوني (نشأة التصوف الاسلامي) صفحات ٢٢١ - ٢٢٣ بتصوف
(٥) المصدر السابق.

وعلى هذا النهج الغير المستقيم في الربط والتأويل يذهب أبو سعيد الخراز هو الآخر في نهج الدكتور بسيوني فيما رواه عن أبي نعيم في الحلية حين يروي أبو نعيم في الحلية[1] قول أبو سعيد الخراز:

أسائلكم عنها فهل من مخبر ... فمالي بنعم مذ نأت دارها علم
فلو كنت أدري أين خيم أهلها ... وأي بلاد الله اذ ظعنوا أموا
اذا لسلكنا مسلك الريح خلفها ... ولو أصبحت نعم ومن دونها النجم

أما النصر أباذي فيشكو من صعوبة وصالها. فيقول:

ومن كان في طول الهوى ذاق سلوة ... فاني من ليلى لها غير فائق
فأكثر شيء نلته من وصالها ... أماني لم تصدق كلمحة بارق

وهكذا على هذا النهج حاكى أقطاب التصوف شعراء الغزل حتى رأينا ابن عطاء المتوفى عام ٣٩٠ هجرية يرضاها في كل أحوالها ويقول عنها:

اذا نطقت جاءت بكل مليحة ... وان سكتت جاءت بكل مليح[2]

ومن قبله أبو الحسين الوراق المتوفى عام ٣٢٠ هجرية هو القائل:[3]

أتطمع في ليلى وتعلم أنما ... يقطع أعناق الرجال المطامع

أي أن الأمر عند هؤلاء هو كما يحاولون دائما أن يبرروا به احساسهم الحسي هذا بأن الحب أرهف احساس المحبين، لكننا كما نرى من النماذج التي بين أيدينا أنه خرج عن حدود العلاقة التي تنضبط بشرع الله بين العبد وربه.

فهؤلاء المتصوفة كنظرائهم من شعراء الغزل والحب تغنوا بالمحبوبة.. باسمها وأوصافها، وديارها ونسبها، وكشف لهم حب الحس عن مواطن الفتنة في طرفها وجيدها ووجهها ولفتتها وحديثها، وكانت ليلاهم على حد ما زعموا وخدروا به احساسهم فريدة في توحدها وتمنعها وعزتها..

---

(١) أبو نعيم الاصبهاني (حلية الأولياء) جزء ١٠ ص ٢٤٨.

(٢) شهاب الدين السهروردي (عوارف المعارف) ص ١٩٩.

(٣) أبو عبد الرحمن السلمى (طبقات الصوفية) نشرة وتقديم بيدرج (ليدن) عام ١٩٦٠ ص ٣٠١ - نقلا - عن نشأة التصوف الاسلامي - ص ٢٢٣.

وليس أدل على رهافة الحس عند المحبين من هذه النوبات التي كانت تصيبهم. اذا ترامى الى أسماعهم وقلوبهم حديث الحب. فرب بيت من الشعر ينشده انسان بقصد أو بغير قصد، يصيب المحب بانقلاب نفسي. أو عضوي عارم، فيطرب أو يرقص، ويبكي أو يتشنج. ويزعق أو يشهق. ويرغى ويزبد، بل قد تذهب روحه في نوبة من تلك النوبات.

وأمام مثل هذا النمط من العاطفة المرضية والعلاقة الحسية المؤججة بنار اللوعة والحرمان. لا يمكن أن يصح أو يصدق زعم أرباب الطرق في أنهم نقلوا سلوك الزهد والتقشف من عالم العبارة كما يقولون الى عالم الاشارة كما يزعمون.

هذا ويسجل لنا الأدب الصوفي انموذجا مغرقا في شطحات الهوى الصوفي أقرب ما يكون في الدلالة على ابطال الزعم الفاسد عن الحب الصوفي الالهي، الذي زعموه فيما سجل أو فيما زعمه الحلاج بالحب الإلهي والذي عبر عنه عمر ابن أبي ربيعة من قبل بقوله..

ومن كان لا يعدو هواه لسانه	فقد حل في قلبي هواك وخيّما
وليس بتذويق اللسان مصوغه	ولكنه قد خالط اللحم والدما[1]

فقد قال الحلاج مصورا ملازمته المدعاة لربه[2]، حتى ما عاد مع هذه الملازمة المزعومة الا شعورا واحساسا لهذه الملازمة لا غيرها. يقول:

والله ما طلعت شمس ولا غربت	الا وحبك مقرون بأنفاسى
ولا خلوت الى قوم أحدثهم	الا وأنت حديثي بين جلاسى
ولا ذكرتك محزونا ولا فرحا	الا وأنت بقلبي بين وسواسى
ولا هممت بشرب الماء من عطش	الا رأيت خيالا منك في الكاس[3]

وعلى هذا النمط سار معظم الانتاج الأدبي للمتصوفة، حتى استهوى عذب الحديث ووقع الجرس الموسيقي للأوصاف والجمل والتعبير الحسي البليغ،

---

(١) الرسالة القشيرية - ص ١٣٧.
(٢) الاغاني - جـ ١ - ص ١٠٧ طبعة التقدم.
(٣) الديوان الشعري لأبي العتاهية - طبع - بيروت - القطعة رقم ٣١.

استهوى العامة، وشد حواس وانتباه معظم أولئك الذين وجدوا فيه متنفسا تعبيريا أسقطوا به حالات الألم والمعاناة التي لم ينجحوا في علاجها أو وضع الحلول الشرعية لها، الأمر الذي يتعذر معه بل ويستحيل تصور أن يكون ذلك نهج عبادة أو منطق دين.

ومن هنا رأينا أجيالا من المتصوفة تنخرط في هذا المجال وتعمق علاقاتها بالحالات النفسية المرضية التي استعصى عليها أن تقود بـدا أو أن تحمل دعوة مثل تلك النماذج التي أبانت عنها الروح الأدبية عند المتصوفة، حين ذهبت تعطل في حياتها اليومية شرائع الله وفرائضه من صلاة وصوم وحق وخير، فضلا عن تبليغ دعوة أو رفض ظلم.

ومنذ القرن الخامس الهجري وحتى اليوم، فان معظم الفرق الصوفية ان لم تكن جميعا تنتظم حلقات للدرس الطرائقي والورد الصوفي وهم في ذكرهم وحلقاتهم، مجموعات مجموعات من الرجال والنساء، معا وبغير حجاب، وبعض هذه المجموعات في الغالب الأعم حين اختلاط هذه المجموعات في سن مبكرة وعند مواسم ذكر الشيخ أو ميلاد أئمة الطريق يقومون في حلقات للانشاد الجماعي أو للهمس الجماعي أشبه ما يكون برقص جماعي في زعم فاسد ودعوى كاذبة وهي أن الملائكة تحضر معهم وتباركهم على هذا النغم الراقص، وقد دفع بكاتب هذه السطور ذات يوم في سن الشباب الى بيت أحد الشيوخ من أصحاب طريقة شهيرة في إحدى بلاد الاسلام فوجد في حلبة الذكر الجماعي، رجلا ضخم الجثة يمسك عصا حديدية ومسبحة، ويضرب بهما متنقلا بين زحام الذكر التي غصت بالرجال والنساء وبينهم شباب وشابات في سن العشرين، وكان الرجل في خبث (مايسترو) يتنقل وهو يردد قول الحلاج السابق الذكر والذي حاكى فيه ابن أبي ربيعة في حبه العذري.

ولا ذكرتـك محزونا ولا فرحا الا وأنـت بقلـبي بين وسواسي
ولا هممت بشرب الماء من عطش الا رأيت خيالا منك في الكاس

واذا بصوت نسائي يصدر من بين الحلبة التي علا ضجيجها يعلق على هذين البيتين، حين كان الرجل يرددهما بالنغم المميز للطريق بحركة (هيستيرية) مندفعة بين الصفوف تروح وتجيء وهي في سن الشباب ترتدي ثوبا أبيض ضاق بجسدها الممتلىء

وهي تقول: يا روحي يا روحي يا روحي ثلاث مرات الهبت حماس جميع من في الحلقة، فتحولت العبادة المزعومة وذكر القلب المدعي الى هدير راقص، كان فيه المنشد أشبه بمقام (المايسترو) وحين أدرك أنهم اجهدوا وبدأو يتساقطون أمسك عنهم وهم بين الأنات والآهات والصراخ، وقام كاتب السطور وهو في ريعان شبابه يضرب كفا على كف وهو يقول لا حول ولا قوة الا بالله، وتترجم له مشاعره أسئلة حيرى حول هذه الظواهر السلبية القاتلة، وهو يقول بعد مرور الأيام والاعتصام بكتاب الله وسنة نبيه من خلال ما عليه وما رضيه أهل السنة والجماعة، ما الذي كان يمكن أن يكون عليه المسلمون اليوم، لو انشغل السلف في صدر دعوة الاسلام، بمثل هذا التشتت الفكري والذهني فضلا عن الخروج والابتعاد عن قواعد الشرع وتعطيل أحكام الله وفروضه. هل كان من الممكن أن ينتشر الاسلام بين الأمم والديار التي ذهب اليها على يد أولئك الذين كانوا لهم شرف حمل دعوة الاسلام الى الناس وتبليغهم اياها وهدايتهم بها تطبيقا لأمر الله وعملا بأحكامه وبنهجه في العبادات والمعاملات.

نعتقد أنه لو انشغل المسلمون بشيء في عصر صدر الاسلام من هذه الأساليب الوافدة والمتطورة مع حاجات الحس، ووفق اذواق أرباب الطرق، ما تمكن المسلمون من أن يصدوا عدوانا أو يبلغوا دعوة أو أن يتركوا في الناس ذلك التراث العلمي الرصين الذي أشعت عليه السنة المطهرة بقواعدها وضوابطها، فكان صمام الأمن والملجأ والملاذ لأمة الاسلام بعد كتاب الله، في مواجهة هذه الافرازات السلوكية المعطلة لارادة وقوة الايمان في قلوب المسلمين.

وفي نهاية المطاف نستطيع القول وفي يقين بأن التراث الأدبي الصوفي بمحاكاته لأدب الحب العذري عند شعراء الغزل، لم يضف الى الرصيد الفكري للأدب العربي، فضلا عن التاريخ الاسلامي، أية قيمة أدبية، ساهمت في دفع الأمة الاسلامية تاريخيا الى بعض أهدافها على طريق الله الحق، وتطبيق أحكامه في الناس، ولعله أي التراث الصوفي مضافا الى الحشد الضخم من النتاج الفكري لافرازات فرق الباطنية وأساليب الشعوبية، هو الذي كان وراء ذلك الحشد الضخم من الطرق، والمذاهب التي لا يحصيها عد ولا يجمعها حصر، والتي تقف اليوم حجر عثرة بما صنعته من تمزيق لوحدة عقيدة شباب الاسلام في بعض ديار المسلمين ضد امكان حشد طاقة هذا

الشباب المسلم نحو محو الأمية الفكرية والعقلية واستقامة وصحة عقيدته الدينية وذلك حتى لا يقبل هذا الشباب على الانضواء تحت لواء كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وحت ينسلح الشباب والشيوخ معا من الاعتصام بعقيدة أهل السنة والجماعة والتي أثبتت على امتداد تاريخ الاسلام أنها هي وحدها التي شكلت قوة التعبير عن عقيدة الاسلام في مواجهة أعداء الأمس، وهي وحدها التي تقدر على تعبئة أمة الاسلام حتى تتطهر الساحة الاسلامية من تأثيرات الرواسب الصوفية ضد أعداء اليوم المثلين في موجات الغزو الصليبي في بعض ديار المسلمين والتمدد الماركسي في بعضها الآخر. وما ذلك على الله ببعيد.

الخوارج وظاهرتا الغلو والعدوان

مقدمة تاريخية:

اذا ما علم المرء حجم العوامل والمتغيرات التي أحدثت صداما مسلحا بين المسلم وأخيه المسلم عقب المرحلة التي تلت مقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه وكانت هي بعينها المقدمات التي أعاقت الامام علي عن أن يسكن نيران الفتنة التي مزقت شمل الأمة الواحدة، أدرك لماذا آثر بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الصمت، والابتعاد عن مؤثرات وتأثيرات الصراع الذي سدد بسببه المسلم سهمه نحو رقبة أخيه المسلم يريد ازهاق روحه وتيتيم أطفاله وترميل نسائه، وكان في مقدمة هؤلاء الرجال نماذج من أمثال عبد الله بن عمر وأبي موسى الأشعري وسعد بن أبي وقاص وأبي بكرة، وغيرهم.

ولقد كانوا على بصيرة من الأمر فلم تستفزهم الحادثات، ولم يستخفهم ما استخف الرجال من طلب الدنيا، ولما استحضروا ما تركه فيهم منذ قليل رسول الله صلى الله عليه وسلم أدركوا أنهم أمام فتنة وعليهم أن يمسكوا عنها حتى لا يقعوا فيها وعلا صوت بعضهم[1] يذكرهم بوصية رسول الله وتحذيره أن: (... ستكون فتن القاعد فيها

---

(١) روى أبو بكرة أن رسول الله خطب الناس فقال: (ألا تدرون أي يوم هذا...) أليس بيوم النحر؟

خير من القائم والقائم خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، من تشرف لها تستشرفه، فمن وجد ملجأ أو معاذا فليعذ به)[1].

لكن موضوع الخلافة، ومنذ المراحل الأولى عقب وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم: هو الذي حرك في النفوس كثيرا من المطامح، ومن ثم جر على التاريخ الاسلامي كثيرا من المشاكل والاضطرابات وخاصة منذ واقعة (الجمل الشهيرة).

ومع أن بوادر غير طيبة نجمت عن موضوع الخلافة قبل: (واقعة الجبل) لكن صولة الدين في نفوس المؤمنين كانت قوية: وكان الناس حديثي عهد بالنبوة فكبحهم دينهم وقرب عهدهم بالنبوة وسلامة قلوب العامة، فلم يرخ الجميع لأهوائهم أعنتها، فخلاف المهاجرين والأنصار يوم السقيفة وتلكؤ بني هاشم عن بيعة الصديق، وابطاء العباس، وتأخر علي رضي الله عنه، فيما يذهب البعض عن المبايعة ستة أشهر[1] حتى ماتت فاطمة رضي الله عنها: كل ذلك يعطينا دلالة عن المدى الذي اعتلجت به نفوس البعض حول موضوع الخلافة.

ومع أن الأمة الاسلامية عقب حروب الردة مباشرة أصبحت تحت لواء الخليفة أبي بكر، ومع أنه لم تبرز مشاكل ذات أهمية على سطح الحوادث حول موضوع الخلافة وتطلع البعض اليه في عهد عمر رضي الله عنه، الا أنه فيما يبدو كان كل من الرجلين بالرغم مما انشغل به من أمر توسيع رقعة الأرض الاسلامية ونشر الدعوة ومواجهتها لحروب الروم والفرس، يجابه الواحد منهما بعد الآخر مشكلات جانبية حول طموح بعض الناس في الخلافة.

فقد دخل ذات يوم عبد الرحمن بن عوف على أبي بكر في علته التي مات فيها فقال: (... أراك بارئا يا خليفة رسول الله فقال أبو بكر:[2] أما أني على ذلك لشديد

= (قلنا بلى يا رسول الله) قال: (أي بلد هذا أليست بالبلدة الحرام)؟: (قلنا بلى يا رسول الله) قال: فان دماءكم وأموالكم وأعراضكم وأبشاركم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا: ألا هل بلغت؟ (قلنا: نعم) قال: اللهم فاشهد، فليبلغ الشاهد الغائب: من كتاب الحج في صحيح البخاري طبع ليدن.

(١) صحيح البخاري ج ٤ ص ٣١٥ ليدن والحديث عن أبي هريرة.

(٢) الطبري: (تاريخ الأمم والملوك) جزء ٢ صفحة ٦٢٠.

(٣) الكامل للمبرد ج١ صفحة ٥ مكتبة المعارف بيروت بدون تاريخ.

الوجع ولما لقيت منكم يا معشر المهاجرين أشد عليّ من وجعي.

اني وليت أموركم خيركم في نفسي (يقصد عمر بن الخطاب) فكلكم ورم أنفه أن يكون له الأمر من دونه. والله لتتخذن نضائد الديباج وسطور الحرير، ولتألمن من النوم على الصوف الأذربي، كما يألم أحدكم من النوم على حسك السعدان. والذي نفسي بيده لأن يقوم أحدكم فتضرب عنقه في غير حد خير له من أن يخوض غمرات الدنيا. وأنتم أول ضال بالناس غدا، فتصدونهم عن الطريق يمينا ويسارا).

ومن هنا أخذ ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه قريشا وهي على ما هي عليه في علاقتها بالاسلام والمسلمين أشبه ما تكون بأسرة حاكمة. أخذها بسياسة فيها من المضاء والعزم بمقدار ما فيها من نفاذ البصيرة وبعد الغور والغوص في خبايا النفوس وطواياها. حتى إنه رضي الله عنه حظر في مرحلة من حكمه العادل على أعلامهم من المهاجرين الخروج الى البلدان الا باذن وإلى أجل، ولما اشتكوا له وبلغه قال: (الا واني قد سننت الاسلام سن البعير: يبدأ فيكون جذعا، ثم ثنيا، ثم رباعيا، ثم سدسيا، ثم بازلا، ألا فهل ينتظر بالبازل الا النقصان؟ وإن الاسلام قد بزل، ألا وإن قريشا يريدون أن يتخذوا مال الله معونات دون عبادة، ألا فأما وابن الخطاب حي فلا: اني قائم دون شعب الحرة فآخذ بحلاقيم قريش وحجزها أن يتهافتوا إلى النار.)[1].

هذا وقد فعل رضي الله عنه ما فعله مه هؤلاء الصفوة رضوان الله عليهم لما رآه بعين بصيرته من أن هؤلاء الطيبين الأخيار الأطهار، هم من أجلة أصحاب رسول الله، قد يئس منهم الشيطان أن يعبدوه، وبعد أن أبلوا في نصرة الاسلام وتمكينه في الأقطار أحسن البلاء، وصبروا في سبيل الله على شظف العيش والحرمان من الطيبات حتى صار يضرب بهم المثل، في قوة التحمل والرجولة والتشمير عن ساعد الجد، ولا خوف عليهم الا أن يحيد بهم الطريق السوي الذي هم عليه الى الغنى والترف، فكان عمر رضي الله عنه أحرص على سلامة هؤلاء الأصحاب وعافيتهم. فحال دون خروجهم الى الأمصار ومعاينة مفاتن الدنيا وبهارجها.

---

(١) الطبري ج ٥ صفحة ١٣٤.

وكان رضوان الله عليه يصارحهم بخطته معهم دون التواء أو غموض ويقول لهم (... ان أخوف ما أخاف عليكم انتشاركم في البلاد)[1].

وبهذه الخطة جمع عمر الناس جميعا على قلب رجل واحد حين جمع زعماءهم في يده، وتحت قبضته، فأشرف على سرهم وعلانيتهم.

وهذه الخطة كما قد ترتب عليها مع شدتها الظاهرة وقسوتها الرحيمة بعض الضغوط على بعض الرجال لكنها تنطوي على بعد نظر، وعلى قلب مؤمن مشغول بمصالح الناس جميعا، فان انتشار هؤلاء القادة في الأمصار كان يمكن أن يؤدي الى أن يشتروا الصياع ويقتنوا العبيد ثم يتبعهم الناس فرقا وأحزابا، فيتعرض المسلمون لأن تتصدع وحدتهم التي ربطت في عهده المبارك أطراف الجزيرة كلها.

وهذا الشمل القوي يخشى عليه في تقدير عمر له من أن تفتنه الزعامات، وكان رضي الله تعالى عنه دقيقا يحمل قلبا كبيرا يرصد به بشارات رسول الله وانذاراته في الناس، فلم ينس رضوان الله عليه قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (... انما أخشى عليكم من بعدي ما يفتح من بركات الأرض)[2].

ومن هنا لما حملت اليه بالمدنية الأخماس من غنائم (جلولاء) قال: (والله لا يجنني سقف بيت حتى أقسمه): وبات بالفعل عبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن أرقم في صحن المسجد يحرسانه، فلما أصبح جاء في الناس فكشف عنه جلابيبه وهي الأنصاع، فلما نظر الى ياقوته، وزبرجده، وجوهره... بكى، فقال له عبد الرحمن ما يبكيك يا أمير المؤمنين، فوالله أن هذا لموطن شكر. فقال عمر (فوالله ما ذاك يبكيني. وتا الله ما أعطى الله هذا قوما إلا تحاسدوا وتباغضوا ولا تحاسدوا إلا ألقى بأسهم بينهم)[3].

مدخل متأول: -

في مسند الإمام أحمد رواية حول شخصية الرجل الذي ولي أمر المسلمين بعد عمر رضي الله عنه وكان عهده الكريم، لينا، ولجت منه العناصر والقيادات التي كان

---

(١) الطبري ج ٣ صفحة ٤٢٣٦.

(٢) الجامع الصحيح للبخاري.

(٣) الطبري ج ٣ ص ١١٧.

يمسك عمر معظمها بيد من حديد، حتى أصبحت في وضعها الجديد تمثل هذه قوة جذب لمجموعات من المسلمين دون غيرهم، وكان البعض من هذه المجموعات يلوذ بهذه العناصر على أمل في الغد، حين اتسعت الديار. أن هم قدموا لهم اليوم بعد أن حلوا في ديار جديدة وأمصار بعيدة، ما يعاون على تشكيلهم الجديد، بعد أن أذن لهم في الخروج، والسياحة في الامصار، والاستقرار في الاقاليم بعيدا عن عين أمير المؤمنين.

وهذه الرواية جاءت على النحو التالي[١]: - جاء رجل الى عائشة رضي الله عنها فقال لها: - (إن أحد بنيك يقرئك السلام، ويسأل عن عثمان فإن الناس قد شتموه....) فقالت: - (.... لعن الله من لعنه فوالله لقد كنت قاعدة عند نبي الله صلى الله عليه وسلم، وهو مضطجع على فراشه ورسول الله مسند ظهره اليه، وأن جبريل ليوحي اليه القرآن، وأنه ليقول: - أكتب يا عثيم (تقول عائشة) فما كان الله لينزل تلك المنزلة الا كريما على الله ورسوله[٢].

هذا وقد روى عن سعيد بن العاص، أن أبا بكر أستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو مضطجع على فراشه لابس مرط عائشة، فأذن - لابي بكر وهو كذلك، فقضى اليه حاجته ثم انصرف، ثم جاء عثمان فأستأذن عليه فجلس، وقال لعائشة:- (اجمعي عليك ثيابك، وقضى إليه حاجته، ثم انصرف، فقالت عائشة:- (يا رسول الله مالي لم أرك فزعت لابي بكر وعمر كما فزعت لعثمان؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: - (إن عثمان رجل حيي، وإني أخشى إن أذنت له على تلك الحال ألا يبلغ اليّ حاجته)[٣].

واذا فنحن أمام رجل كريم حيي، ولقد آثرنا الاستشهاد بموقف فيه عائشة بالذات، وكأنها تعطي شهادة للتاريخ في حق عثمان رضي الله تعالى عنه، نظرا لما أشاعه المغرضون، حول خلاف نجم بينها وبين الخليفة عثمان في أثناء توليته الخلافة مع أنه - رضي الله عنه - حج بأمهات المؤمنين مرة بأمر من عمر، وكان معه عبد

---

(١) مسند أحمد ج ٦ ص ٢٦١.
(٢) مسند أحمد ج ٦ ص ٢٥٠.
(٣) مسند أحمد ج ٦ ص ١٥٥.

الرحمن بن عوف، أحدهما بين أيديهن والآخر من خلفهن، ولا يسايرن رضوان الله عليهن أحدا.

والثانية حين ولى الخلافة: - (حج بأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان يصنع عمر، فكان عبد الرحمن بن عوف في موضعه وجعل في موضع نفسه سعيد بن زيد: - هذا في مؤخر القطار وهذا في مقدمه[1].

وها نحن أولاء نرى عائشة رضي الله عنها تقول حين سئلت عنه: - (لعن الله من لعنه)[2].

الا أنه رضي الله عنه لم يأخذ الناس بما أخذهم به عمر ولان جانبه ورقت حاشيته لهم، فانساحوا في البلاد، فلما رأوها ورأوا الدنيا ورآهم الناس، انقطع اليهم المغمورون من الناس وصاروا حاشيتهم وأتباعهم وأملوهم وقالوا في أنفسهم غدا يؤول الملك الى هؤلاء فنكون قد عرفناهم، وتقدمنا في التقرب اليهم والانقطاع اليهم.

وهكذا وجد التمزق مجاله الى وحدة الأمة وظل هكذا حتى كان بعد فترة من أمر هذه الأمة ما فرقها وأضاع وحدتها مما سنعرض له في الصفحات التالية[3].

علي بن أبي طالب والخلافة

الذي نود أن ننبه اليه بادىء ذي بدء أن موضوع الخلافة على جلال قدره وطموح نفوس الكبار ممن كانوا حول رسول الله اليه، لم يشد اهتمام علي رضي الله عنه كثيرا، فسيرته رضوان الله عليه مع الخلفاء الثلاثة الذين سبقوه اليها، تؤكد أنه لم يكن طالب دنيا، وأنه كان يرضى ويستريح لرأي الجماعة طالما هو في نطاق كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

ولما لم يعهد اليه الرسول صلى الله عليه وسلم بالخلافة ولا لأحد من المسلمين إعمالا للشورى من أوسع الأبواب فإن فيما يرويه البخاري عن ابن عباس ما يضيف الى سيرة

---

(١) الطبري ج ٣ ص ٢٥٠.
(٢) مسند أحمد ج ٣ ص ٢٥٠.
(٣) الطبري ج ٣ ص ٤٢٧.

الرجل بعدا أخلاقيا يؤكد أنه رضوان الله عليه لم يكن بالرجل الذي يقبل السكوت على مؤامرة انتهك فيها حد من حدود الله ،... حين قتل عثمان وعهد اليه المسلمون بالخلافة ،... وفيه في نفس الوقت ما يؤكد أن عليا لم يكن مستشرفا للخلافة متطلعا اليها في مرض رسول الله أو بعد أن بايع المسلمون الخليفة أبا بكر رضوان الله عليه.

فيما يرويه البخاري عن ابن عباس أن عليا رضي الله عنه خرج من عند رسول الله في وجعه الذي مات فيه. فقال الناس يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله؟ فقال قد أصبح بحمد الله بارئا. فأخذ بيده العباس رضي الله عنه وقال: - « أنت والله بعد ثلاث عبد العصا. وإني والله لأرى رسول الله سيتوفى في وجعه هذا، إني أعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت فأذهب بنا إليه نسأله فيمن هذا الأمر، فإن كان فينا علمناه، وأن كان في غيرنا كلمناه، فأوصى بنا فقال علي: - « أما والله لئن سألناه فمنعناها لم يعطناها الناس من بعده وإني والله لا أسألها ».

والذي حدث بعد ذلك أنه عقب مقتل عثمان رضي الله عنه ثالث الراشدين، بايع المسلمون عليا، وأصبح أميرا للمؤمنين، لكن أحداثا وقعت إبان عملية المبايعة وأثنائها أدت الى التمهيد للصراع السياسي تمثل في ظهور تيارات وأفكار ومذاهب كثيرة، كان من بينها ظهور (الخوارج) كتيار ديني سياسي أخذ أبعد المواقف وانحرف الى أسفل الغايات.

مبايعة علي بن أبي طالب: -

بعد أن اقتحم الثوار بيت الخليفة عثمان متغلبين على من حول الدار من أمثال محمد بن أبي بكر والحسن والحسين ابني علي وعبد الله بن الزبير، ولم يحل انكباب السيدة الجليلة (نائلة) زوجة عثمان عليه لتحول بين قتله ،..!!اقتله الغافقي بحديدة كانت معه[1]. انتهبوا بيت مال المسلمين وبيت عثمان وكان ذلك يوم الثامن عشر من ذي الحجة سنة ٣٥ هجرية الموافق ٦٥٦ ميلادية وبويع عليّ رضي الله عنه يوم الخامس والعشرين من تفس الشهر (ذي الحجة).

واذا علمنا أن المسلمين ذهبوا الى سقيفة بني ساعدة للبحث في موضوع الخلافة

---

(١) الطبري ج ٥ ض ١٣٠.

عقب موت الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة، وانتهوا من المبايعة لأبي بكر قبل أن يدفن الرسول، لتبين لنا طبيعة المناخ السياسي والاضطراب الذي كانت عليه الأمة يوم مقتل عثمان، بحيث يمكن القول بأن عليا لم يقبل الخلافة الا بعد سبعة أيام أو خمسة على أقل تقدير[1]. وأن المسلمين لم تجتمع كلمتهم حول الخليفة الجديد لمبايعته والانضواء تحت لوائه الا بعد هذه الفترة[2].

ونستطيع القول بأن هذه الفترة في تاريخ المسلمين من عام ٣٥ هجرية تعتبر أول فصول المأساة التاريخية التي مزقت وحدة الأمة المسلمة الى شيع، وأدت الى ظهور الخوارج كتيار ديني وسياسي منحرف[3].

أحداث هامة قبيل مبايعة علي: -

يروي الطبري[4]: - أنه لما كثر الناقمون على عثمان كان طلحة رضي الله عنهما في طليعة الناقمين، وحين حاصروه في بيته، تهيأ ليكون الخليفة بعد اعتزاله أو قتله، ومن أجل ذلك بادر - فيما يرويه الطبري - فاتخذ على بيوت الأموال مفاتيح وحراسا، الأمر الذي أوحى به الى الناس أن الامر يوشك أن يكون بيده، مما دفع عثمان رضي الله عنه الى الاستعانة بعلي، مذكرا اياه بكل ما بينهما من اخاء وعهد وميثاق، ونهض علي فعلا بما طلبه منه عثمان على خير وجه، متوجها الى دار طلحة ومعه أسامة بن زيد، ونادى عليّ: (يا طلحة ما هذا الأمر الذي وقعت فيه؟)[5]، فقال: يا أبا الحسن: - أبعد ما مس الحزام الطبيين؟ لكن عليّا حين توجه الى بيوت المال أصدر أمرا وشجع الناس على تنفيذه وذلك بكسر بيوت المال حتى ينصرف الناس عن بيت طلحة ليبقى وحيدا مضطرا أن يرجع الى عثمان قائلا: - (يا أمير المؤمنين أستغفر الله وأتوب اليه: أردت أمرا فحال الله بيني وبينه.

---

(١) القاضي أبو بكر بن العربي (العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة) تحقيق: محب الدين الخطيب ص ١٠٦.

(٢) المسعودي مروج الذهب ج ١ ص ١٣٠٧.

(٣) حسن ابراهيم: تاريخ الاسلام ج١ ص ٣٧١.

(٤) الطبري ج ٣ ص ٤٥٣.

(٥) أبو حيان التوحيدي الامتاع والمؤانسة ج ٣ ص ١٩٩.

ومن هنا كانت بداية المحنة التي تعرض لها المسلمون حين تلكأ طلحة وأمثاله عن مبايعة عليّ، حتى اضطروا اليها على زعم زعموه فيما بعد عندما تفجرت الحوادث، وهو أنهم أنما بايعوا عليا ليكونوا معه في الامر أو ليوليهم امارات. ويقطعهم ما شاؤوا[1].

وقد أضيف لموقف طلحة موقف الزبير وإن لم يبلغ مبلغه فضلا عن الظروف التي أحاطت ببني أمية منذ كانوا يرون في عثمان تعبيرا عن مصالحهم وقد ذهب مقتولا، فضلا عن الملابسات التي اجتهدت في حل غموضها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فقد ساهمت عوامل في تشكيل موقفها رضي الله تعالى عنها عندما أصرت على الخروج ضد عليّ وعدم الاعتراف بأمامته بالرغم من نصح أم سلمة زوج الرسول صلى الله عليه وسلم رضي الله عنها لعائشة بعدم الخروج، فقد أرسلت اليها كتابا طويلا تطلب اليها العدول عن الخروج وتقول لها: - «لو علم رسول الله أن النساء يحتملن الجهاد لعهد اليك»: أما علمت أنه نهاك عن القراطة - مجاوزة الحد - في الدين؟ فإن عمود الدين لا يثبت بالنساء إن مال، ولا يرأب بهن إن انصدع، جهاد النساء غض الأطراف وضم الذيول، وقصر الموادة. ما كنت قائلة للرسول صلى الله عليه وسلم لو عارضك - قابلك - ببعض هذه الفلوات ناصة قعودا - أي حاثة الناقة القعود - من منهل الى منهل وغدا تردين على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقسم لو قيل لي يا أم سلمة: - ادخلي الجنة لاستحييت أن ألقى رسول الله هاتكة حجابا ضربه علي فاجعليه سترك وقاعة البيت حصنك، فإنك أنصح ما تكونين لهذه الأمة لو قعدت عن نصرتهم[2]، لكن أم المؤمنين عائشة رضي الله كانت ترى أنه عليها واجب التدخل لحسم الصراع الذي بدأ يتفجر بين شيع المسلمين قبل أن يستفحل وكان ذلك مرادها، كما يتضح من الرد الذي أرسلته الى أم المؤمنين أم سلمة فقد أرسلت اليها تقول: - (أما بعد فما أقبلني لوعظك، وأعرفني لحق نصيحتك، وما أنا بمعمرة بعد تعريج، ولنعم المطلع مطلع فرقت فيه فئتين متشاجرتين من المسلمين، فإن أقعد فعن

---

(١) الطبري ج ٣ ص ٤٥١.

(٢) ابن عبد ربه (العقد الفريد) ج ٣ ص ٦٩.

غير حرج، وإن أمض فإلى ما لا غنى بي عن الازدياد منه والسلام[1].

وقبل أن تمضي بنا الحوادث في تداخلها نود أن نشير الى أن خروج أم المؤمنين لم يكن تحت تأثير شخصي، أو لعداوة بينها وبين علي رضي الله عنهما: فقد جهزها علي بما تحتاج اليه في سيرها حين خرجت من المدينة معتمرة وحاجة وزارها في البيت الذي نزلت فيه، وأوفد أولاده ليشيعوها وودعها بنفسه يوم رحلت[2]. حتى قالت فيه رضي الله عنه: - (والله ما كان بيني وبين علي في القديم الا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وانه عند - على معتبي - من الأخيار.

ويرد علي رضي الله عنه ويقول: (أيها الناس صدقت والله وبرت، وإنه ما كان بيننا الا ذلك، وانها لزوجة نبيكم صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة[3].

ومن هنا نستطيع القول، وبغير تجاوز أن كلا الفريقين، فريق علي ومن بايعه وظل على ولائه له، والفريق الذي مثلته أم المؤمنين رضي الله عنها، أو الفريق الذي انضمت اليه واجتهدت في تفسير موقفه، لم تكن تعوزه النية الطيبة، ونقاء السريرة، والاجتهاد الصادق في البحث عن الحق والتعبير عنه، ولكل منهما عند الله أجره، لكن الذي حدث أن اشتغلت الاجواء التي أحاطت بالمجتمع الاسلامي وبحركته المضطربة بحثا عن الحق وعملت الأهواء عملها في عناصر أخرى حديثة عهد بالاسلام، أوليست علاقتها به علاقة صدق ونقاء، فاندست تقود الحوادث وتوجه مجريات الأمور حتى وقعت واقعة الجمل الشهيرة.

هذا وقد كثرت تعليلات وتحليلات الباحثين حول دوافع القتال الذي نشب بين المسلمين في موقعة الجمل، وقد حاول الكتاب المحدثون من أصحاب النوايا السيئة والمغرضة أن يطمسوا معالم المرحلة التاريخية الأولى لنضال المسلمين وذلك بالعمل على إبراز جوانب شخصية وعدوانية في واقع الفرق المتقاتلة.

والواقع أن الدور الذي أداه (السبئيون) ومن مالأهم من قتلة عثمان هو الذي أدى

---

(١) ابن عبد ربه (العقد الفريد) ج ٣ ص ٩٦.
(٢) ابن سعد (الطبقات الكبرى) ج ٣ ص ٣٠.
(٣) ابن سعد (الطبقات الكبرى) ج ٣ ص ٥٦.

الى النتائج الوخيمة في واقعة الجمل وما تلاها. فقد كان الصلح بين الفريقين يوشك أن يتم بعد إن اتفقوا على أن لا يقتتلوا. حتى يبدأوا يطلبون بذلك الحجة على الآخرين، بل ان عليا رضي الله عنه كان قد ذهب في التدليل على حسن نيته ومقدرته على السيطرة على الموقف الى أبعد مدى، فقد طلب من أحد مؤيديه أن يحمل مصحفا ليدور به على أصحاب الفريق الآخر آمرا له أن يعرضه عليهم قائلا (هو بيننا وبينكم من أوله إلى آخره. والله في دمائنا ودمائكم).

واستنادا على هذا فان الأمر كما يقول القاضي ابن العربي[1]: يتمثل في أنه لم يكن في نية أحد من الطرفين القتال، لكن وزر نشوب الحرب يقع على قتلة عثمان ومن إليهم من السبأية وعناصر الفتنة التي لم يكن أحد من أصحاب رسول الله يمثل فيها تيار الهوى أو المصلحة الشخصية.

وفي تعليقه على اجتماع مكة الذي سبق الحرب وكانت قيادته ممثلة في مروان بن الحكم وبني أمية وطلحة والزبير بعد أن بايعا عليا تحت قيادة السيدة عائشة رضي الله عنها يقول: لأن قصد الذين خرجوا من مكة ودافعهم إلى الخروج لم يصح فيه نقل ولا يوثق فيه بأحد، لأن الثقة لم ينقله، وكلام المتعصب لا يسمع، فيحتمل أنهم خرجوا خلعا لعلي لأمر ظهر لهم[2] مع أن هذا الاحتمال الذي ذهب اليه القاضي ابن العربي مستبعد من هؤلاء الصفوة من أصحاب رسول الله ﷺ. ثم يعود القاضي ويقول: (... ويحتمل أنهم خرجوا في ضم طوائف المسلمين وردهم الى قانون واحد حتى لا يضطربوا فيقتتلوا وهذا هو الصحيح لا شيء سواه وبذلك وردت صحاح الأخبار)[3].

هذا ويذهب القاضي الباقلاني الى نفس رأي القاضي ابن العربي القائل بأن الحرب بين أصحاب رسول الله لم تنشب الا بعد أن خشي قتلة عثمان أن ينكشف أمرهم ويتعرف المسلمون عليهم فقرروا أن ينقسموا الى قسمين، منهم من ينضم الى

---

(١) القاضي أبو بكر بن العربى (العواصم من القواصم) ص ١١٢.

(٢) القاضي ابو بكر بن العربى (العواصم من القواصم) ص ١١٢.

(٣) القاضي أبو بكر بن العربى (العواصم من القواصم) ص ١١٢.

هذا الفريق، بينما ينضم الباقي الى الفريق الآخر. حتى يبدو الموقف أن طلحة والزبير قد غدرا ويترتب عليه أيضا في الجانب الآخر أن عليا قد غدر وساعتها تستعر نار الحرب وتشتد.

موقعتا الجمل وصفين

في مكان يعرف عند المؤرخين (بالخريبة) في البصرة، وفي منتصف جمادى الآخرة عام ٣٦ هجرية دارت الحرب بين أهل الشام والعراق، وكل من قادة الفريقين يجتهد في الوصول الى الحق غير واضع في الاعتبار الدور السري الذي أداه السبئيون وقتلة عثمان في اشعال النار، فقد كان الهدف المبتغى عند طرف من القادة من صحب رسول الله ﷺ أنهم حين تحركوا انما يدعون الى المبايعة لعلى، وتأليف الكلمة على الامام الذي بايعه جمهور الأمة من المهاجرين والأنصار، وطرف آخر من القادة خرج يدعو الى التمكين من قتلة عثمان ويقولون مجتهدين لا نبايع من يؤوى القتلة[1]، وصوت علي يصل الى مسامع الجميع يقول: لا أمكن طالبا من مطلوب، ينفذ فيه مراده بغير حكم ولا حاكم، ومعاوية رضي الله عنه يقول هو الآخر: لا نبايع متهما أو قاتلا له[2]، وهو أحد من يطلب فكيف نحكمه أو نبايعه؟.

وبعيدا عن تفاصيل معركة الجمل، وبطولة الفريقين المتقاتلين استبسالا في التعبير عن موقفها، فان خسائرها كانت قليلة، وتجلت في موقعة الجمل سماحة ومروءة الامام علي رضي الله عنه على أفضل وأكرم ما تكون أخلاق المسلمين، فقد أوصى أصحابه، وأمرهم أن يكفوا أيديهم وألسنتهم عن اخوانهم، وطلب منهم أن يصبروا حتى وان هزموا اخوانهم، فلا يجهزوا على جريحهم أو الهاربين، أو يمثلوا بالقتلى، أو يهتكوا الأستار[3] ولا يدخلوا بيوتهم بغير اذن ولا ينهبوا أموالهم، ويرفقوا بالنساء حتى لو سبيت لأنهن مؤمنات.

هذا وقد ترحم رضي الله عنه عليهم وقال: (اللهم اغفر لنا ولهم).

---

(١) القاضي العربي (العواصم من القواصم) ص ١١٩.
(٢) القاضي العربي (العواصم في القواصم) ص ١٢٠.
(٣) الحافظ ابن كثير (البداية والنهاية) ص ١٣٦٠.

ولما سئل رضي الله عنه عما اذا كان قتلى الجمل مشركين، أو منافقين أجاب: (من الشرك فروا، ان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا انما هم اخواننا بغوا علينا)[١].

هذا وقد انتهت حرب الجمل. ولم تسفر عن الانشقاق السياسي والديني الحاد الذي أسفرت عنه بعد ذلك بعدة شهور موقعة (صفين) التي انبثق عن نتائجها تيار (الخوارج). فقد كانت موقعة الجمل أشبه ما تكون بتشابك رحيم بين أخوين. سرعان ما انفض، ولم تترك آثارها لا فيما بعد وعلى يد من وسعوا هوة الصراع من غير قيادات الطرفين والذين كان من بينهم بعض أصحاب رسول الله ﷺ.

وحين بدأت عمليات الحشد والتجميع لمعركة صفين، بأن أجمع الناس على المسير الى صفين، وتجهز معاوية هو الآخر حتى نزل صفين، كان علي قد عبر بالناس الجسر ثم مضى حتى نزل على دير أبي موسى على شاطىء الفرات ثم أخذ على الأنبار[٢] بعد أن سار من الكوفة الى صفين في تسعين ألفا. وسار معاوية من الشام في خمسة وثمانين ألفا[٣]، وعسكر في موضع سهل على الفرات وبات علي وجيشه في البر عطاشا لأنه حيل بينهم وبين الماء.

هذا وقد بدأت معركة صفين بعد أن أرسل الامام صفوة من رجاله أجلوا جند معاوية عن الماء، ثم أرسل اليه يدعوه الى توحيد الكلمة والدخول في جماعة المسلمين.

لكن يبدو أن رسل الطرفين عليا ومعاوية لم يكونوا من المرونة التي يجب ان تتوفر لمفاوضات كتلك المفاوضات بل كانت فيهم شدة فتوسعت هوة الخلاف بين الطرفين[٤] وعاد القتال بين علي ومعاوية في صفر عام ٣٧ هجرية واشتعلت الحرب فيما بينهما أياما متوالية حتى تمكن أصحاب علي من الزحف على جند معاوية، وأشرفوا على الفتح. لولا أن ظهر في ميدان القتال ذلك العمل الجماعي الذي لجأ اليه جند معاوية، وفيما يقول المسعودي بتوجيه من عمرو بن العاص بعد أن طلب اليه معاوية. ما يختبىء في صدره من براعة

---

(١) المسعودي (مروج الذهب) ج ٢ ص ١٧.

(٢) ابن قتيبة الدينوري (الامامة والسياسة) جزء (صفحة ١٤٦.

(٣) حسين ابراهيم (تاريخ الاسلام السياسي) جزء (صفحة ٣٧٦.

(٤) الطبري ج ٥ ٣٤٣.

التصرف حين تشتد الأزمات، ولجأوا الى حيلة رفع المصاحف. فحين رأى أهل العراق المصاحف مرفوعة قالوا: (نجيب الى كتاب الله). ولم يسمعوا لنصح علي الذي انتبه الى أن ذلك خدعة حرب، ولكنهم أبوا وطلبوا من علي أن يرسل للأشتر في وقف القتال:. وما كان من علي الا أن قال للرسول الذي بعثه للأشتر مرة بعد الأخرى: (ويحك.. قل للأشتر أن يقبل فإن الفتنة قد وقعت).

التحكيم بين علي ومعاوية:

بعد أن سكتت نيران الحرب في صفين بين علي ومعاوية دون أن تحقق لأي منهما نصرا حاسما وخاصة بعد خديعة رفع المصاحف. أرسل علي الأشعث بن قيس الى معاوية يستطلع رأيه. فقال له معاوية: (نرجع نحن وأنتم الى ما أمر الله في كتابه.. تبعثون منكم رجلا ترضونه، ونبعث منا رجلا، ثم نأخذ عليهما أن يعملا بكتاب الله).

ولما رجع الأشعث الى علي برأي معاوية قبله ورضي. واختار أهل الشام عمرو بن العاص بينما اختار أهل العراق أبا موسى الأشعري.

ومع أن المسعودي يرى أن عليا كان غير راض عن أن يمثله في هذه المفاوضات أبو موسى الأشعري[1] الا أن عمرو بن العاص والأشعري اجتمعا في دومة الجندل التي تقع على الطريق بين دمشق والمدينة وكتبا عقد التحكيم[2]، بعد أن كان مع كل حكم منهما نيابة عن الطرف الذي يمثله أربعمائة رجل.

هذا ويذكر المسعودي، أن عبد الله بن عباس، قال لأبي موسى قبيل التحكيم: ان عليا لم يرض بك حكما لفضل على غيرك[3]، والمتقدمون عليك كثير، وان الناس أبوا غيرك، واني لأظن ذلك شرا يراد بهم، وقد ضم داهية العرب معك، إن نسيت فلا تنس أن عليا بايعه الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان. وليس فيه خصلة تباعده عن الخلافة، وليس في معاوية خصلة تقربه من الخلافة.

لكن من البداية لا بد وأن ندرك أننا أمام موقف فيه معاوية وأهل الشام قد

(١) المسعودي (مروج الذهب) جزء ٢ صفحة ٢٢.
(٢) الطبري ج ٦ صفحة ٣٠.
(٣) المسعودي (مروج الذهب) جزء ٢ صفحة ٢٥.

اتفقوا فيما بينهم حين اختاروا عمرا. وفيه علي وقد كره خضوعا لرأى أهل العراق على أن يمثله فيه أبو موسى الأشعرى. وقد استطاع عمرو فيما يرويه المسعودي استدراج أبي موسى الأشعري. حتى تم كتابة الصحيفة. التي أشار اليها الطبرى وساق نصها في الجزء السادس من كتابه (تاريخ الأمم والملوك) صفحات ٢٩ - ٣٠ والتي قبل فيها أبو موسى الأشعري خلع عليٍّ ومعاوية بينما لم يقبل عمرو بن العاص خلع معاوية.

وقد قبل أبو موسى ما ذهب اليه على أمل أن يستقبل المسلمون أمرهم من جديد[١].

وما إن انتهى الى علي أمر التحكيم بهذه النتائج التي أحدثت فرقة وضجيجا في وسط الجماعات الاسلامية التي كانت تنضوى تحت لوائه الا وقد أخذ يستعد لأن يبادر بموقف أكثر حسما للأمور. وأكثر قدرة على الحركة والنفاذ الى خصومه.

وبينما هو يجهز من معه للقتال ضد جيش معاوية وقيادته التي أبت الا المراوغة جاءته الأخبار أن العناصر التي أخذت موقفا أوليا عند بدء التحكيم بالرفض قد طورت موقفها من مبدأ التحكيم وأصبحت بالانشقاق السياسي الذي مثلته قوة عسكرية عرفت لكي تميز نفسها عن باقي الفرق المتقاتلة بإسم (الخوارج) بعد أن اعتزلت عليا ومن بقي معه وظل على ولائه له. وقد تحددت ملامح القوى التي أطلق عليها (الخوارج) بعد أن سارت نحو المدائن متجمعة هناك مستهدفة بين ما تستهدفه عليا وأصحابه قبل غيرهم.

الخوارج سياسيا

قبل أن نعرف الحركة السياسية والمنطلقات الدينية التي شكلت موقف الخوارج من قضية التحكيم وانتهت الى ما انتهت اليه حتى أصبحوا قوة عسكرية اضطر الفريق الذي ظل تحت لواء على أن يكون في حرب مع فريق معاوية ومجموعات الخوارج، يتعين علينا أن ننظر هل كان علي رضي الله عنه محقا أو مضطرا الى قبول

---

(١) الطبري جـ٦. ص ٢٩ - ٣٠.

التحكيم، والذي هو بمثابة قبوله ضمنا التنازل عن الخلافة التي ألبسها اياه جمهور الأمة، ولو فترة التحكيم، فان قبول التحكيم معناه سياسيا أن الامام على الخليفة خلال مدة التحكيم قد أصبح بمعزل عن الخلافة، ومن ثم فقد أصبح المسلمون بلا خليفة، الأمر الذي أوقع كثيرا من الناس في بلبال وحيرة. كما سول لكثير من الناس أن يستخفوا بالخلافة، وأن يخرجوا على طاعة الامام وهم معه وفي مصزه[1].

وأيضا هل كانت هناك قوة ضاغطة في جناح علي وهو الخليفة الذي خرجت معه الجماعات التي تنضوي تحت لواء بيعته لتقاتل من لم يبايع. أو لتدعو باقي الأمة في الأمصار الى المبايعة؟ هل كانت هناك قوة تفرض عليه حين قبل مبدأ التحكيم من يمثله في المفاوضات كأبي موسى الأشعري وهو غير راض عنه؟ الأمر في تقديري يحتاج الى تريث وأناة في الحكم وذلك لكي يلقى البحث ضوءا على البواعث التي كانت وراء ما انتهت اليه مجريات الأحداث السياسية.

هذا ويرى بعض الكتاب المعاصرين[2] أن قبول التحكيم فضلا عن الاستجابة للضغط الذي مورس حتى مثل أبو موسى عليا قد أضعف حق الامام على السياسي في الخلافة، بل وأسقط حجته التي كان يحتج بها على معاوية من أنه الخليفة الذي بايعه المسلمون.

وعندهم أيضا أن عليا بعد أن رأى الكيد أمامه والخلاف عليه[3]، ولما لم يكن أمره مستقيما على الوجه الذي يمكن له من إنفاذ رأيه، وإمضاء عزيمته، فضلا عن إدراكه المبكر لخديعة الاحتكام إلى كتاب الله تعالى[4]. فقد قبل التحكم.

ولما لم يكن أيضاً أمام ما أحاط بجيش على الا أن يرد طلب التحكيم ويحارب أو يقبل التحكيم فان الامام على كان أمام موقف صعب للغاية. فانه ان رد التحكيم

---

(١) عبد الكريم الخطيب (علي بن ابي طالب) ط الأولى عام ٦ دار الفكر العربي - القاهرة صفحة ٥١٨

(٢) المصدر السابق صفحة ٥٢٠

(٣) نهج البلاغة جـ١ صفحة ١٢٢

(٤) نهج البلاغة جزء ١، صفحة ١٢٢

وحارب فسيحارب بجيش قد دبت فيه الفرقة . وان قبل التحكيم كما فعل فقد قبله وسيدخل الى مفاوضاته بجماعة قد عملت فيها الفرقة أيضا عملها ، ومن هنا رضي الله عنه اختار العافية وآثر السلم ، خاصة وان الامام كان يعمه عن يقين وبغير تجاوزات ، أو تأويلات أنه ان حارب . فانما يحارب مسلمين . وان قاتل وقتل فانما يقتل من جماعة المسلمين ، فهي حرب هو مكره عليها كما يكره المرء على قطع جزء من أعضائه لصلاح بقية الأجزاء .

وفي حوار بينه وبين جماعة من الخوارج الذين أنكروا عليه أمر التحكيم ، ورموه بالكفر هو ومن رضي هذا التحكيم ، قال لهم : (الم تقولوا عند رفعهم المصاحف ، اخواننا وأهل دعوتنا استقالونا واستراحوا الى كتاب الله سبحانه فالرأي القبول منهم والتنفيس عنهم؟ . فقلت لكم هذا أمر ظاهره ايمان وباطنه عدوان ، وأوله رحمة ، وآخره ندامة . فأقيموا على شأنكم . والزموا طريقكم . وعضوا على الجهاد بنواجذكم ، ولا تلتفتوا إلى ناعق نعق ، إن أجيب أضل ، وإن ترك ذل ، وقد كانت هذه الفعلة وقد رأيتكم أعطيتموها . والله لان جنبتها ما وجبت عليَّ فريضتها ولحملني الله ذنبها : . والله ان جئتها ، اني للمحق الذي يتبع وان الكتاب لمعي ما فارقته منذ صحبته ولقد كنا مع رسول الله ﷺ وان القتل ليدور بين الآباء والأبناء والاخوان والقرابات ، لا نزداد على كل مصيبة وشدة الا ايمانا ومضيا على الحق ، وتسليما للأمر وصبرا على مضض الجراح ، ولكن انما أصبحنا نقاتل اخواننا في الاسلام ، على ما دخل فيه من الزيغ والاعوجاج والشبهة والتأويل ، فاذا طمعنا في خصلة يلم الله بها شعثنا ، ونتدانى بها الى البقية فيما بيننا رغبنا فيها وأمسكنا عما سواها[1] .

هذا وحين جاءته حكومة الحكمين بما أشاع الاضطراب بين صفوف رجاله ، وبما دفع الخوارج الى ما انتهوا اليه واتهامهم اياه ، بالخروج عما في كتاب الله قال لهم : (... انا لم نحكم الرجال وانما حكمنا القرآن ، وهذا القرآن انما هو خط مسطور بين الدفتين .. لا ينطق ، بلسان ولا بد له من ترجمان ، وانما ينطق عنه الرجال . ولما دعانا القوم الى أن نحكم بيننا القرآن ، لم نكن الفريق المتولى عن كتاب الله ، وقد قال الله سبحانه : (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول) فرده الى الله أن نحكم بكتابه ،

(١) المصدر السابق صفحة ١٢٠

ورده الى الرسول أن نأخذ بسنته فاذا حكم بالصدق في كتاب الله . فنحن أحق الناس به ، وان حكم بسنة رسول الله ﷺ فنحن أولاهم بها .

وأما قولكم لم جعلت بينكم وبينه أجلا في التحكيم؟ فانما فعلت ذلك ليتبين الجاهل ويتثبت العالم، ولعل الله أن يصلح في هذه الهدنة أمر هذه الأمة[1])

لكن الذي حدث وابتلى به الامام علي رضي الله عنه أن تعرض لما وصفه هو بنفسه فيما ينسب اليه بعد أن نفض كثيرون ممن كانوا حوله في العراق أيديهم عنه حتى قال: (منيت بمن لا يطيع اذا أمرت، ولا يجيب اذا دعوت، لا أبا لكم. ما تنتظرون بنصر ربكم؟، أما دين يجمعكم؟ ولا حمية تحمسكم؟ أقوم فيكم مستصرخا وانديكم متغوثا، فلا تسمعون لي قولا ولا تطيعون لي أمرا، حتى تكشفت الأمور عن عواقب المساءة، فما يدرك بكم ثأر ولا يبلغ بكم مرام[2].

علي بن أبي طالب والخوارج

الذي يتابع تاريخ الخوارج ويتفحص في المقدمات والنتائج التي انتهوا اليها يجد أن عوامل خارجية بعيدة عن الساحة الاسلامية هي التي أدت الى ما انتهت اليه الأمور أبان هذه الفتنة. ويجد أن الذين قادوا الجماعة أول الأمر كانوا أكثر الناس ولاء لعلي، وأحرصهم على سلامة دينهم. بل ومن أكثر الناس زهدا في الحياة، كان هذا شأن الجماعة (الخوارج) قبل المرحلة التي ذهبوا فيها يتأولون، أو يفسرون ما ذهبوا اليه تفسيرا أفسح فيما بعد المجال لواردات العقل اليوناني والهندي والفارسي حتى تطور موقف الخوارج سياسيا ودينيا في المجال التاريخي بحيث أصبحوا قوة صدام للاسلام والمسلمين.

هذا ومما يجدر ذكره في هذا المقام أن الخلاف كان بعيد المدى عميق الغور بين أول الخوارج حين خرجت متأولة تحاول أن تجتهد فيما ذهبت إليه حتى وقعت في الكبائر التي وقعت فيها. وبين آخرها حين أصبحت متأثرة بالثقافة والأفكار غير الاسلامية

---

(١) نهج البلاغة جـ١ ص ١٢٣

(٢) المصدر السابق، ص ١٢٢

عليّ التحكيم، وعلى عثمان أثرته لأهل بيته، ويرون أن الخلافة تكون شورية النظر منها لعقلاء الأمة، ولا تتعين في بيت ولا شخص، ولا يعترفون بالسلطة الشخصية).

وهؤلاء يردون الأحاديث الواردة عن طريق عثمان وعليّ ومعاوية ومن كان من حزبهم، كما يردون أقوالهم في الفقه ولا يعملون بالسنة، ولهم أقوال فقهية ومسائل، وعلى مقتضى مذهبهم يجوز الخروج عن الأئمة لمجرد الفسق.

... بل يكفرون بالمعاصي. انطلاقا من بعض القواعد التي اعتنقوها على ضوء تناولهم لبعض آيات الذكر الحكيم وآحاديث الرسول ﷺ مما سنعرض له عند تناولنا لمعتقداتهم الدينية.

واذا كان الخوارج قد سبقوا غيرهم في القول بالخروج على الامام، ونفى اشتراط أن يكون في قريش بل وتجاوزهم هذا المعنى إلى تكفير الأمام بالمعصية أو بالقعود عن أمر في كتاب الله دون أمر أخر، فأن عقيدتهم هذه كان لها من رد الفعل المعاكس ماكان وخاصة نظريات الشيعة المختلفة في عقيدتهم نحو عليّ وبنيه، وخاصة طائفة الغلاة منهم، ذلك أن الشيعة لم يكونوا أكثر من رد فعل مضاد لجنوح الخوارج وتطرفهم في تكفير معارضيهم وعلى رأسهم عليّ، فكان من اليسير أن يظهر المدافع عنه المرتبط به، وأن يسلك نفس النهج المتطرف: فمقابل التكفير لعليّ ومن انضوى تحت لوائه من جانب الخوارج، ظهرت فكرة التأليه لعليّ وأبنائه بواسطة الشيعة الغلاة.

هذا ويذهب الدكتور (الريس) إلى أن نظريات الخوارج لم تصغ فترة طويلة في قالب علمي له منهجه أو وجاهته، بل ظلت نظرياتهم تتجمع على عليّ، وعلى طول امتداد حياتهم[1].

هذا وقد ذهب الرازي[2] إلى أن فرق الخوارج تصل الى واحد وعشرين فرقة، بينما هم عند الأمام الأشعري، لا يتجاوزون أربع فرق.

لكن (الملطى) وهو من أقدم من كتب في الفرق، فعصره هو ٣٧٧ هـ الموافق ٩٨٧م يقسمهم الى الفرق الآتية، ولعله فيما ذهب اليه هو الأقرب الى الصحة من

---

(١) الدكتور / محمد ضياء الدين الريس (النظريات السياسية الاسلامية) القاهرة صفحة ٤٨.

(٢) الرازي (أعتقادات فرق المسلمين والمشركين) صفحة ٥١.

حيث التصنيف لهم وهو ما نميل إليه ونرجحه

المحكمة: -

وهم الذين كانوا ينزلون بسيوفهم إلى الأسواق ويجمعون الناس منادين الى شعارهم الشهير (لا حكم الا لله) ثم يضربون بسيوفهم كل من يجدونه ويقضون على الناس في الطرقات والميادين في هجمات مفاجئة، فيقتلون كل من يلحقون به، ولا يزالون هكذا يقتلون الناس حتى يقتلوا ولذا خشيهم الناس وكانوا يتقون أماكن تواجدهم أو تجمعهم.

وهم في دفاعهم عن هذا المبدأ (لا حكم الا لله) يعتقدون أنه لا تحكيم في دين الله لأحد من الناس الا بالله، وهم لهذا السبب يكفرون كل من يتولى أمر لا يعبر عن حكم الله في الناس.

ولعل المحكمة. وميلهم للتعبير عن عقيدتهم بالعدوان. ومقاومة من يخالفهم، هم مصادر مباشرة للافكار والمذاهب التي اعتنقها البعض ممن ينتسب للاسلام ويلجأ الى العنف كوسيلة للتعبير أو الحوار.

الفرقة الثانية: - الازارقة.

وهم أتباع نافع بن الأزرق وأتباع عمرو بن قتادة. ومع أن الملطي [١] يرى أنهم أقل الخوارج شرا، لانهم لا يرون أهراق دماء المسلمين، ولا غنم أموالهم، ومع ذلك فهم يعتقدون بكفر العاصي، ويتبرأون من عثمان وعليّ رضي الله عنهما.

وفي التعريف بهم يقول ابن حزم [٢] عنهم انهم قالوا بأبطال رجم من زنى وهو محصن، وقطعوا يد السارق من المنكب. وأوجبوا على الحائض الصلاة والصيام في حيضها، وأباحوا دم الأطفال ممن لم يكونوا في عسكرهم. وقتل النساء أيضا ممن لم يكنّ في عسكرهم، وبرأت الازارقة من قعد عن الخروج لضعف أو غيره. وكفروا من خالف هذا القول بعد موت من قال به منهم. ولم يكفروا من خالفه فيه في حياته،

---

(١) أبن الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي في كتابه (التنبيه والرد على أهل الاهواء والبدع) ص ٥١.

(٢) أبن حزم (الفصل في الملل والأهواء والنحل) ج ٣ ص ١٨٩.

وقالوا باستعراض كل من لقوه من غير أهل عسكرهم، ثم يقتلونه اذا قال أنا مسلم، ويحرمون قتل من انتمى الى اليهود أو النصارى أو المجوس، وبهذا شهد عليهم رسول الله ﷺ بالمروق من الدين كما يمرق السهم من الرمية، اذ قال عليه السلام: انهم يقتلون أهل الاسلام. ويتركون أهل الأوثان، وهذا من أعلام نبوته ﷺ اذ أنذر بذلك..)[1]

الفرقة الثالثة من الخوارج: النجدية:

النجدية هم أصحاب نجدة بن عويم الحروري، وهم في جملة ما يعتقدون، يكفرون السلف والخلف. وليس مهم عندهم أن يكون بينهم امام يرجعون اليه وينتهون عنده، بل الأفضل عندهم أن يتعاطى الناس الحق فيما بينهم، على ضوء ما يرونه من المصالح التي يتعاملون بها. وقالوا: بكفر من قعد عن الهجرة الى عسكرهم.

وهم بين فرق الخوارج أشبه مايكونون بالجناح المحافظ أو المتشدد فعندهم مثلا أن من كذب ولو مرة واحدة أو عمل عملا هينا ليس في كتاب الله فأصر عليه ولم يتب منه فهو كافر مشرك مخلد في النار[2].

الفرقة الرابعة من الخوارج: الاباضية:

الاباضية هم أصحاب: أباض بن عمرو الذين خرجوا من الكوفة مجموعات في شكل جماعة قاتلة قتلت الناس في الطريق وسبت النساء وقتلوا الأطفال أيضا وكفروا الأمة جميعا وأشاعوا الكثير من الفساد والعنف الدموي.

يقول ابن حزم الأندلسي في التعريف بهم[3]: (... شاهدنا الاباضية عندنا بالأندلس يحرمون طعام أهل الكتب، ويحرمون أكل قضيب التيس والثور والكبش، ويوجبون القضاء على من نام نهارا في رمضان فاحتلم .ويتيممون وهم على الآبار التي يشربون منها الا قليلا منهم، ويرون الحج في جميع شهور السنة، ويحرمون أكل السمك

(١) ابن حزم (الفصل في الملل والأهواء والنحل) جـ ٣، ص ١٩٠.
(٢) المصدر السابق ص ١٩٠.
(٣) المصدر السابق ١٨٩.

حتى يذبح، ولا يرون أخذ الجزية من الجوس. ويكفرون من خطب في الفطر والأضحى، ويقولون: أن أهل النار في النار في لذة ونعيم وأهل الجنة كذلك)[1].

هذا ومن الجدير بالذكر أن الاباضية بمعتقداتهم المختلفة التي عبرت عنها الفرق التي أشرنا اليها لازال منهم بقايا بسواد الكوفة.

هذا ويذهب (فنسنك) في دائرة المعارف الاسلامية[2] إلى أن حركة الاباضية وجدت في بلاد العرب تربة خصبة، حتى أصبحت مع الزمن المذهب السائد في بعضها مثلما هو الحال اليوم في عمان، بينما ينتشر بعضهم في صحراء تونس و الجزائر ويحيون حياة اجتماعية خاصة، ولطوائفهم وقبائلهم علاقات اتصال مع بعضهم حتى مع بعد الديار، فللأباضيين في عمان وزنجبار علاقات بمن في تونس والجزائر وليبيا[3].

الفرقة الخامسة من الخوارج: الحرورية:

الحرورية هم الذين يكفرون الأمة متولين للشيخين أبي بكر وعمر. ويتبرأون من عثمان وعلي، ويسبون النساء ويستحلون الأموال والأعراض. ويستمدون أحكامهم من القرآن فقط غير معترفين بالسنة اطلاقا.

وكانت بداية هذا التيار المتطرف (عقيديا في نهج الخوارج وفكرهم): أن يزيد بن قيس الأرجى جمع عددا ضخما من قبل وبعد (النهروان)، فشكل بهم القوة التي رأى الامام عليّ أن يلقاها بنفسه ويعذر اليهم قبل أن يقاتلهم، فدعا: صعصعة بن صلحان العبدي، فقال له: ائت القوم ودلني على الرجل المقدم فيهم، فركب الامام اليهم متجها الى حروراء، فجعل يتخللهم حتى صار الى مضرب (يزيد بن قيس) فصلى فيه ركعتين، ثم خرج فاتكأ على قوسه، وأقبل على الناس ثم قال: (هذا مقام من فلج يوم القيامة)!!

انشدكم الله: ..أعلمتم أحدا منكم كان أكره للحكومة مني؟

---

(١) المصدر السابق ١٨٩.

(٢) فنسنك وآخرين (دائرة المعارف الاسلامية) ص ١١.

(٣) يحى بن معمر (الاباضية في موكب التاريخ) ص ١٢٠.

قالوا: لا.

قال: أفعلمتم أنكم أكرهتموني حتى قبلتها قالوا: نعم.

فعلام خالفتموني ونابذتموني؟

قالوا: إنا أتينا ذنبا عظيما فتبنا الى الله، فتب الى الله منه واستغفره نعد لك.

قال: اني استغفر الله من كل ذنب.

فرجعوا معه وهم ستة الاف، فلما استقروا بالكوفة أشاعوا أن عليا رجع عن التحكيم ورآه ضلالا وقالوا: - أنما ينتظر أمير المؤمنين أن يسمن الكراع ويجبى المال، فينهض الى الشام.

فأتى الاشعث بن قيس. عليًا كرم الله وجهه، فقال: - كرم الله وجهه - «يا أمير المؤمنين أن الناس قد تحدثوا أنك رأيت الحكومة ضلالا، والاقامة عليها كفرا، فخطب عليها الناس فقال: - «من زعم أني رجعت عن الحكومة فقد كذب، ومن رآها ضلالا فهو أضل[1]. فخرجت الخوارج فحكّمت، فقيل لعلي: -أنهم خارجون عليكّ، فقال: -لا أقاتلهم حتى يقاتلوني وسيفعلون[2].

وهؤلاء هم الذين سماهم الشهرستاني باسم (المحكمة الأولى).

وهؤلاء المحكمة هم الذين اجتمعوا (بحروراء) من ناحية الكوفة ورؤساؤهم: عبد الله بن الكوا، وعتاب بن الأعور، وعبد الله بن وهب الراسبي، وعروة بن جرير، ويزيد بن العاصم المحاربي، وحرقوص ابن زهير، المعروف بذي الندبة، وكانوا يومئذ في اثنى عشر ألف رجل...... .

. وحول هؤلاء فيما روى الشهرستاني يقول: - قال النبي ﷺ تحقر صلاة أحدكم في جنب صلاتهم، وصوم أحدكم في جنب صيامهم. ولكن لا يجاوز إيمانهم تراقيهم، وهم المارقة الذين قال فيهم، سيخرج من ضئضىء هذا الرجل قوم يمرقون من الدين، كما يمرق السهم من الرمية وهم الذين أولهم ذو الخويصرة، وأخرهم ذو الندبة.......

---

(١) (الكامل) للمبرد ج ٢ ص ١٣١.

(٢) الشهرستاني (الملل والنحل) ج ١ ص ١٥٨.

وأما خروجهم في الزمن الأول على أمرين:

أحدهما بدعتهم في الأمامة أذ جوزوا أن تكون في غير قريش. وكل من ينصبونه برأيهم، وعاشر الناس على ما مثلوا له من العدل، واجتنب الجور كان أماما، ومن خرج عليه يجب نصب القتال معه، وأن كان غير حسن السيرة وعدل عن الحق وجب عزله أو قتله.

وهم أشد الناس قولا بالقياس وقد جوزوا أن لا يكون في العالم أمام أصلا وأن احتيج اليه فيجوز أن يكون عبدا أو حرا أو نبطيا أو قرشيا.

والبدعة الثانية أنهم قالوا أخطأ عليّ في التحكيم، أنحكم الرجال، ولا حكم الا لله تعالى؟

وقد كذبوا على عليّ - كرم الله وجهه - من وجهين: أحدهما في التحكيم: أنه حكم الرجال، وليس ذلك صدقا، فهم الذين حملوه على التحكيم.

والثاني أن تحكيم الرجال جائز، فأن القوم هم الحاكمون في هذه المسألة وهم رجال، ولذا قال عليه السلام: - «كلمة حق أريد بها باطل».

يقول الشهرستاني عن هذه الفرقة. وتخطوا عن التخطئة الى التفكيرّ، ولعنوا عليا عليه السلام فيما قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين. فقاتل الناكثين منهم، وما اغتنم أموالهم، ولا سبى ذراريهم ونساءهم، وقاتل القاسطين وطعنوا في عثمان للاحداث التي عدوها عليه، وطعنوا في أصحاب الجمل وأصحاب صفين. (انتهى الشهر ستاني)

هذا وتحفل مصادر الفرق الاسلامية بالجدال واللجاج، والخصومة العقيدية بين علي والخوارج، فهم عندما أعلنوا شعارهم (لا حكم الا لله) فلن يؤاخذ عليا من يفهم كتاب الله جيدا، مسترشدا بسنة نبيه محمد ﷺ، واستراح من كان حوله مطمئنا لعلاقة عليّ بكتاب الله إلى تعليق عليّ على هذا الشعار بقوله (كلمة حق أريد بها باطل).

وحين جادلوه رضي الله عنه بأنه حين رضي التحكيم نزع نفسه من أمرة المؤمنين، رد عليهم: - بأأنه كان له في رسول الله أسوة حسنة، لأنه قبل أن يتخلى عن (محمد

رسول الله) ليكتب لقريش بدلا عنها (محمد بن عبد الله).

ولما سألوه عن عدم قتله أياهم يوم صفين أجابهم. بأنه انطلق من قوله تعالى (.... ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) فعزف عن حربهم لقلة عدد من كانوا معه.

ولما سألوه عن تحكيم الرجلين كانت له أسانيده التي رآها في كتاب الله، فقد قال لهم: - إن الله حكم في أرنب يساوي ربع درهم، يقول تعالى: - (يحكم به ذوا عدل منكم) ولو استرشد الحكمان بما جاء بكتاب الله. لما وسعني الخروج من حكمهما[1].

هذا وقد أخذ (الملطي) في كتابه (التنبيه والرد على أهل الاهواء) يناقش فكر الخوارج وعقيدتهم ويقول: - (هم في دفاعهم عن هذا المبدأ (لا حكم الا لله) يعتقدون أنه لا تحكيم في دين الله لأحد من الناس إلا بالله. ولهذا السبب لا يحكمون بينهم حكما، فمن أين لهم هذا المعتقد والله عز وجل يقول في كتابه: - (يحكم به ذوا عدل منكم)[2].

وقال تعالى: -(وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما....)[3].

وقال تعالى: - (وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها.....[4]).

وقال تعالى:- (....ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لا تبعتم الشيطان إلا قليلا)[5].

فهذه الايات العديدة التي جعل فيها القرآن الكريم أحكاما كثيرة الى وجوه الناس للنظر فيما لم ينزل بيانه من عند الله، كانت السند والمرجع الذي اعتمد عليه الأمام عليّ فيما رضيه من تحكيم الرجلين.

---

(١) أبن الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي (التنبيه والرد على أهل الاهواء والبدع) ص ٥١.

(٢) المائدة - ٩٥ -

(٣) النساء ١٢٨.

(٤) النساء ٣٥.

(٥) النساء ٨٣.

ثم يقول الملطي في هذه القضية بالذات[1] وكيف أحلوا أهراق دم المسلمين، مع أنه لا يحل دم المؤمن الا لاسباب ثلاثة: - أما زنا بعد احصان أو ارتداد بعد أيمان، أو قتل النفس عمدا، فجهلهم هو الذي أدى إلى أطلاقهم عى أهل القبلة ما أطلقوا بالقتل.

وأما قولهم بأن عثمان وعليا كانا حقا مؤمنين وليين للمؤمنين بالاجماع. ثم كفرا، فمردود عليهم قولهم هذا، بما أصبحا عليه حال الخوارج أنفسهم. لانه ينطبق عليهم، ما روى عن النبي ﷺ بأجماع الأمة: أنهم مارقة.

الخوارج وتكفير الأمة الإسلامية -

كان شيئا طبيعيا عند الخوارج، على ضؤ ما انتهوا اليه وقد كفروا عثمان وعليّا أن ينهجوا نهجا في تأويل كتاب الله وتناوله بحيث يكفرون أمة الأسلام من أولها إلى أخرها، وهذا هو ما فعلوه، فهم كما سبق القول، يكفرون مرتكب الكبيرة أقيم عليه الحد أو لم يقم، وبعض فرقهم كما أشرنا يكفر المسلم على المعاصي البسيطة، أو ترك ماهو مندوب ومستحب، وهم في سبيل ذلك قد ذهبوا يتناولون كتاب الله على وفق ما ذهبوا اليه من القول بتكفير صاحب الكبيرة انطلاقا من الدليل الذي رأوه في قوله تعالى: - (ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله)[2].

وقوله تعالى: - (إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا)[3].

وقوله تعالى: - (هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن)[4].

هذا وقد رد عليهم (الملطى) ردا ذهب به مذهب المعتزلة في التناول، الا أن الرجل لم يكن اعتزاليا، فهو عند مثل هذه الايات التي ساق الخوارج دليلهم على ضوئها، اعتبر الخوارج قد أخطاؤا القياس في هذه المسألة لان الله تعالى يقول: - (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة

---

(١) الملطي (التنبيه والرد على أهل الاهواء والبدع) ص ٥٣.

(٢) سورة المائدة - الاية رقم ٥.

(٣) سورة الرحمن - الاية رقم ٣.

(٤) سورة التغابن - الاية رقم ٢.

أبدا وأولئك هم الفاسقون) [١] - فوضع الفاسق في منزلة بين الايمان والكفر، فلم يقرن سبحانه الفسق بالكفر، بل نص على فسقهم فحسب، كما لم يقل أنهم بالرغم من فسقهم مؤمنون كما رأت المرجئة [٢].

يقول الملطى: وأيضا من أخطاء الخوارج عدم التفرقة بين الكبائر والصغائر من الأفعال بينما فرق الله تعالى بقوله (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما) [٣].

فالخوارج ان حاولوا حجة في تكفير الأمة لم يجدوا، وان جعلوا الذنوب كلها كبائر لم يجدوا الى الحجة سبيلا عن عقل ولا سمع [٤].

هذا ولم يسكت علماء أهل السنة والجماعة على مفتريات الخوارج، فالامام ابو المعين النسفي المتوفى سنة ٥٠٨ هـ - ١١١٤م أورد حججا أكثر من الملطى في تفنيد مزاعمهم، انطلاقا من قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا) فالتوبة النصوح لا تكون الا من الكبيرة [٥].

هذا ومما يجدر ذكره في هذا المقام عن الخوراج أنهم وقعوا في خطيئة عدم التفرقة بين الكبائر والصغائر من الأفعال، بينما فرق الله سبحانه بينهما في قوله تعالى:: (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما) [٦].

---

(١) سورة النور - الاية رقم ٤.

(٢) الملطى (التنبيه في الرد على أهل الملل والاهواء والبدع) ص ٥٣.

(٣) النساء: الآية رقم ٣١.

(٤) المالطي (التنبيه في الرد على أهل الملل والأهواء) ص رقم ٥٣.

(٥) النسفي (بحر الكلام في علم التوحيد) ص ٤٨.

(٦) سورة النساء: الآية رقم ٣١.

محتويات الكتاب

الموضوع	صفحة

الموضوع	صفحة